



الرَّوْضَةُ الْغَنَاءُ
فِي
دَمَشَقِ الْفِيحَاءِ

سلسلة التوثيق والحفظ
٤

الروضة الغناء في دمشق الفيحاء

تأليف
نعمان قساطلي

دار الرائد العربي
بيروت • لبنان
ص.ب. ٦٥٨٥

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى
١٢٩٩هـ = ١٨٧٩م

الطبعة الثانية
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

فاتحة الكتاب

حمداً لمن جعل الارض للانسان سكناً . واولاه ان يعمرها منازل ومدناً .
فاصبحت مدائنه على سطحها كالنجوم الزهر في القبة الزرقاء . والازهار النضيرة في
الروضة الغناء . حمداً توضع ارجحة فطر الاكوان . وحملة نسيات التسبيح الى
العقول فصاح لسان حال الكل سبحان سبحان

اما بعد فيقول العبد الفقير نعمان بن عبد بن يوسف القساطلي الدمشقي
انه لما كانت دمشق اقدم مدينة لم ينخفض قدرها الى الآن ولم ينحط عمرانها مع
ما انتابها من تقلبات الزمان مما دل على عناية صديقية اوجبت لها التفضيل على
غيرها من المدائن انتدبني علائقي الوطنية ان افحص عن اخبارها وكلما كنت
استقري ما قيل في حقها في صحف الاخبار والتاريخ كنت استغرب ما يقال فيها
اذ كان بعضه ايجازاً مخلاً وبعضه في بعضها اطناباً ملاً فزادني ذلك ترشلاً
للاستقصاء وحماني على ان اتبع ما قيل فيها وما يقال بتدقيق يستلزمه حسن
الدليل ولما كان كثيرون يطمنون ان يقولوا على ملخص اخبارها وآثارها ومشتلاتها
وليس لهم مورد لذلك يروي الغليل تجشمت كل المصاعب لتلخيص ما جاء في
حقها في كتاب يشفع لي عند ذوي العرفان فتم بحولہ تعالی لي المراد وجاء بايجاز
بقتضيه المقام وقد سميت بالروضة الغناء في دمشق الفيحاء وما انا في ما اوردته
فيه بمعتقد كالي ولا معتصم من اخلاي على اني بحساسة اقول انه حوى زينة اقوال
الرواة العدول دون عدول يحيى به تعصب ديني او ميل غرضي وقد جعلته
خدمة لوطني العزيز ملتصاً من ذوي الانتقاد العفو عن القصور

والنقصير . متوسلاً اليه تعالی ان ينفع به قارئيه فانه اكرم

مسؤول وخير مأمول وهو حسبي

والله اعلم

المقدمة

في جغرافية الشام

الشام . بلاد واقعة بين ٣٠° ٣٤' و ٣٧° ٣٠' من الطول الشرقي و ٣١° ٣٠' و ٣٤° ٣٠' من العرض الشمالي وقد سماها الاقدمون سوريا وقسموها الى قسمين الاول سوريا والثاني فلسطين واما الرومانيون فسموا القسمين معا سوريا ولما استولى العرب المسلمون على هذه البلاد في نحو سنة ست مئة واربعة وثلاثين مسيحية الموافقة سنة ٤ هجرية سموها شاما وذكر علماءهم اسبابا كثيرة لتسميتها بذلك نورد بعضها : قال الحافظ السهيلي في كتابه التعريف والاعلام : الشام بالسريانية الطيب سُمِّيَتْ بذلك لطيبها وخصبها وقيل سُمِّيَتْ بسام بن نوح واسمه بالسريانية والعبرانية شام وقيل سُمِّيَتْ شاما لانها عن شمال الكعبة كما سُمِّيَتْ اليمن يمنا لانها عن يمينها وقال صاحب القاموس سُمِّيَتْ بذلك لان قوما من بني كنعان تشاءموا اليها اي تياسروا وقيل لان ارضها شامات بيض وحمر وسود الى غير ذلك من الآراء والشام مؤنثة وقد تُذكر وفيها لغات الشام والشام والشام وقد قسم بعضهم الشام الى خمس شامات : الاولى غنى والرملة وعسقلان وبيت المقدس . الثانية الاردن وطبرية والغور واليرموك وبيسان ومد ينها الكبرى طبرية . الثالثة الغوطة ودمشق وسواحلها ومد ينها الكبرى دمشق . الرابعة حمص وحماه وكفرطاب وقنسرين وحلب . الخامسة انطاكية والعواصم اومصيصه وطرسوس (١)

(١) لما استولى عليها العثمانيون قسموها الى اربعة اقسام دعوها ايلات الاولى ايلة حلب والثانية ايلة دمشق والثالثة ايلة صيدا والرابعة ايلة القدس الشريف وظلت هكذا الى حين تشكلت ولايات الممالك العثمانية في ايام السلطان عبد العزيز فاضيف الى شمالها بعض المدن ومن ثم قسمت بلاد سوريا الى ولايتين الاولى ولاية حلب والثانية ولاية سورية ومركزها دمشق وكل ولاية قسمت الى متصرفيات والمتصرفية الى قيمقاميات ومديريات وفي سنة ١٨٧٢ انسح القسم الجنوبي عن سوريا وهو متصرفية القدس الشريف وصار تعلقه بالباب العالي راسا لكثرة مشاكله واتساع الولاية

ويحد هذه البلاد شمالاً آسيا الصغرى وشرقاً العراق والبادية وجنوباً جزء من بلاد العرب ويقال له تيه بني اسرائيل وغرباً ببحر الروم وهي ذات جبال شامخة مرتفعة اعلاها قم الميزاب فوق طرابلس ارتفاعه ١١ الف قدم وجبل الشيخ واهلى قمه يبلغ ارتفاعها ١٠ آلاف قدم وادية منخفضة جداً لا يكاد يوجد لها نظير في العالم اعمنها وادي الشريعة الذي يبلغ انخفاضه عند بحيرة لوط ١٢٢٠ قدم عن سطح البحر وسهول شاسعة جيدة التربة وبحيرات كثيرة عذبة الا واحدة منها ماؤها مر ولا شبهه له على سطح الكرة وهي بحيرة لوط. وانهار عديدة واشجار لا تحصى من انواع كثيرة بعضها مشر وبعضها عقيم وحيوانات داجنة وبرية كثيرة الانواع ومعادن متنوعة منتشرة في انحاء البلاد واكثرها لم ينزل بكراً. وهواؤها بالاجال جيد حسن يقوي الابدان وخصوصاً في الجبال اما تجارتها فيمتد الى جميع انحاء الممالك العثمانية وصادراتها من الحرير والحبوب بانواعها ومن الاثمار والعنص وبعض العنقاير والصابون والصدف والانسجة الدمشقية والحليّة والحمصيّة وغير ذلك ووارداتها المصنوعات الافرنجية والبهارات والتبوك والجلود وما اشبه ولاهها اطول باع في مصنوعات كثيرة

اما سكانها فاقوياء البنية بيض الالوان مؤلفون من انواع عديدة يتدينون باديان مختلفة وبعض اديانهم لا وجود له في غيرها كالديانة الدرزية والصيرانية والاسمعيانية ولورمنا وصف هذه البلاد بالتفصيل لشئنا مجلدات ولكن اذ كان كلامنا عليها ليس الا لتبيين اهمية البلاد التي منها دمشق لزمنا ان نقول باختصار ان سوريا من اقدم بلاد العالم وفيها قامت اكثر المذاهب الدينية واهمها اليهودية والمسيحية اللتان امتدتا في كل العالم. وكانت هذه البلاد في الازمان الغابرة ذات شهرة عظيمة وعمران فائق وتداولتها ام ومالك عديدة فكانت اولاً وطناً للكنعانيين وغيرهم من نسل حام وسكن نسل سام في نواحيها ثم اتاها بنو اسرائيل وطردوا الكنعانيين من اراضي فلسطين وتسائطها ملوك اشور ثم ملوك بابل ثم ملوك مادي وفارس ثم ملوك مصر اليونانيون ثم استقلت

برهة من الزمان ثم اضيفت الى مملكة مكدونية ثم الى المملكة الرومانية ثم استفتحها العرب في اثناء سنة ٦٣٢ م ثم تملكها التتر ثم فتح الصايبيون جزءا كبيرا منها ثم استرجعها منهم ملوك مصر المماليك ثم فتحها السلطان سليم العثماني وفي سنة ١٨٣٢ فتحها محمد علي باشا والي مصر تحت قيادة ولى ابراهيم باشا ثم استرجعها الانكليز بالاتحاد مع بعض دول اوربا العظيمة سنة ١٨٤٠ وسلموها للسلطان عبد المجيد العثماني ولم تنزل تحت تملك العثمانيين الى يومنا هذا . ومنذ الاجيال المتوسطة عبت بها الخراب فلعبت اصابة باكثرها ولجودة موقعها الطبيعي حفظت اسمها ولم تنزل تذكر كبلاد ذات اهمية عظيمة

فصل

في موقع دمشق والناحية وعدد سكانها

دمشق . هي اكبر مدن سوريا وفلسطين وموقعها في واسط سوريا حيث الطول الشرقي ٣٠' ٢٦° والعرض الشمالي ٣٠' ٣٣° وهي الى الشرق بانحراف الى الجنوب من مدينة بيروت تبعد عنها ١١٢ كيلومترا عبارة عن ١٦٨ الف ذراع وتبعد عن جنوبي حمص اربع مراحل وتعلو عن سطح البحر ٣٤٠٠ قدما ومحيطها تسعة اميال وتيقف

وهذه المدينة كثيرة المياه والساتين وموقعها في سهل خصيب في غوطة تعد من افضل جنات الدنيا والى شمالها جبل قاسيون يزيد بها بهاء ونضارة فتصبح كجنة تجري من تحتها الانهار فيها كل انواع الفواكه والبقول وكل ما نشته به نفس الانسان من ما كول ومشروب ومشوم ونزهة وانشراح ونظرا الى ذلك والى ما انطبع عليه اهلها من حسن السجايا ولطف الطباع حسبت جنة في الارض وفضلت باشياء كثيرة على ما سواها من البلدان وقد شهد لها بذلك اهل الذوق والآداب في كل عصر وان كما قال محمد بن آياس في كتابه بدائع الزهور . وقال العلامة الدكتور فان ديك في المرأة الوضعية ناقلا عن ابي الفداء منزهات

الارض اربعة . سغد سمرقند . وشعب بؤان . ونهر الأبله وغوطة دمشق . اما
سغد سمرقند فهو نهر تحف به اشجار مثمرة بالفواكه والازهار وهي مشتبكة بعضها
ببعض ممتدة مقدار اثني عشر فرسخا . واما شعب بؤان من نواحي نيسابور فهو
مقدار فرسخين وفيه انهار مندفة واشجار مثمرة طيبة . وفيه يقول ابو الطيب المتنبي

يقول بشعب بؤان حصاني أعن هذا يسار الى الطعان
ابوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان

واما نهر الأبله فهو من اعمال البصرة وهو على اربعة فراسخ منها وعلى جوانبه الاشجار
الطيبة الثمار . واما غوطة دمشق فهي افضل الجميع ومقدارها ثلثون ميلا وعرضها
خمس عشرة ميلا وهي مشتبكة بالاشجار كأنها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع
على ارض فيها وثمارها طيبة لم تكن في غيرها

وقال ابن بطوطة لودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسنا وتقدمها جلالا
وكل وصف وان طال فهو قاصر عن شماسها وقال ابو الحسين بن جبير رحمه
الله واما دمشق فهي جنة المشرق . ومطلع نوره المشرق . وخاتمة بلاد الاسلام
التي استقر بناها . وعروس المدن التي اجنليناها . قد تجلت بازاهير الرياحين
وتجلت في حلال سندسية من البساتين . وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين .
وتزينت في منصتها اجل تزيين . وتشرفت بان اوى المسيح عليه السلام وامه اليها
الى ربوة ذات قرار ومعين . ظل ظليل . وماء سلسيل . تنساب مذابة انسياب
الاراقم بكل سبيل . ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل . وقد سميت ارضها كثيرة
الماء . حتى اشتاقت الى الظماء . فتكاد تناد بك بها الصم الصلاب . اركض
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . وقد احدثت البساتين بها احداق الهامة
بالقمر . والاكام بالثمر . وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر . قال
عرقاء الدمشقي الكلبي :

الشام شامة وجنة الدنيا كما انسان مقانها الغضيفة جلق
من آسها لك جنة لا تنضي ومن الشقيق جهنم لا تحرق

البنا الأول

في تاريخ دمشق

فصل

في مذاهب المؤرخين في من بني دمشق

لم يتفق المؤرخون على من بني هذه المدينة المحسوبة من أقدم مدن العالم الباقية الى يومنا. وقد تفرقت واختلفت مذاهبهم بذلك فذهب يوسيفوس بناء على رواية عن مؤرخ دمشقي قديم اسمه نيقولاوس ان بانيها دامشقيوس بن كنعان. وذهب غيره ان بانيها جبرون بن عاد بن ارم وكان بناؤها على عمد من رخام وقيل وجد فيها من آثار بناء جبرون اربع مئة الف واربعون الف عمود من الرخام وان الاشارة اليها في القرآن الشريف بقول ارم ذات العماد. وقال آخرون بان بانيها اليعازر غلام ابراهيم الخليل وارتأى آخرون ان بانيها دمشق غلام اسكندر الكبير ورووا ان الاسكندر بعدما بني السد ورجع من المشرق يريد المغرب بلغ الشام وصعد على عقبة دمر فابصر موضع دمشق وكان الوادي الذي يجري فيه نهر دمشق غيضة ارز فلما رآها فكر كيف يبني فيها مدينة وكان له غلام اسمه دمشق وكان امينه على جميع ملكه. قالوا فترسل الاسكندر على ثلاثة اميال من دمشق وامر بحفر حفيرة واعادة ترابها اليها فحُفِرَت فاعيد التراب فلم تمتلئ الحفرة فقال ان بني ههنا مدينة لا يكفي اهلها زرعها فرحل حتى اذا وصل الى حوران ورأى سعتها وتربها الحمراء امر بحفر حفيرة فحُفِرَت واعيد التراب اليها ففضل منه كثير فقال لغلامه دمشق ارجع الى ذلك الوادي واقطع الشجر وابني على حافته مدينة وسمها باسمك فهناك يصلح ان تكون مدينة وهذا الموضع بجرها الفائض بغلتها فيني دمشق المدينة واقام بها حتى مات. ولهم اقوال غير هذه لا تنبي عن حقيقة الامر ولا تؤدي الى المراد وكلامها متناقضة وما باني هذه المدينة والوقت الذي بنيت فيه الا من الاسرار التي عجز

الباحثون عن كشفها الى الآن . وربما لاسعة عند المتأخرين للوصول الى ذلك
اذ لا دليل واضح ولا بينة جلية تكشف عما وراء ذلك الستار. ونحن نقول ان غاية
ما عرفناه عن هذا الامر ان المدينة قديمة العهد وجدت قبل زمن ابراهيم
الخليل بناء على شهادة التوراة (تلك ١٤: ١٥) حيث يقال ان ابراهيم تبع اسرى
لوط بن اخيه الى حوبة الواقعة شمالها وهذا جرى في سنة ٩١٢ قبل المسيح وعابيه
تكون دمشق قد بنيت منذ اكثر من ٣٧٩١ سنة واذ كانت في زمن ابراهيم مدينة
مشهورة فنقدر ان نقول من باب الظن انها وجدت قبل ذلك الوقت بمئات
من السنين وان اخطأ الظن فالارجح ان يقال ان البعازر غلام ابراهيم واسلافه
وضعوا اسسها ولحسن موقعها وجودة ما حولها من الاراضي وكثرة مياهها خطت
خطوات التقدم بسرعة حتى صارت وقت حادثة لوط مدينة تذكر والله اعلم

فصل

في تاريخ دمشق الى يوم فتحها المسلمون

اخبار هذه المدينة في الايام الغابرة اكثرها غاض وما انصل اليها منها قليل
واهم حوادثها في الملك التي نحن بصدد ما ذكرت في التوراة واكثرها له علاقة
بمملكة اسرائيل التي لولاها لما راينا خبراً اكداً لدمشق في معظم هذه الملك فلذلك
عولنا على نقل اخبارها عنها الى ان ملكها ملوك اشور

انه بعد ما ذكرت دمشق في التكوين في زمن ابراهيم الخليل توارت
اخبارها ولم تذكر الا الى ايام داود ملك اسرائيل عندما امتلكها وجعل اهلها
عبيداً له على انه يستدل انها في هذه الملك كانت مستقلة تدعى ارام دمشق (ارام
لفظة عبرانية معناها ارتفاع ويطلق على بلاد مرتفعة وسميت دمشق بارام دمشق
تميزاً لها عن غيرها من الارامات كارام بين النهرين وارام صوبه وغيرها) وذكر
في ٢ ص ٨ ان داود عندما حارب هدد عزر ملك صوبه جاء ارام دمشق
لنجد هدد عزر فحارب داود جيوش ارام وجعل محافظين من قبله في ارام

دمشق فصار الاراميون عبيداً له يقدمون الهدايا وكانت هذه المدينة قاصرة
سياسياً على نوع الى ايام سليمان بن داود ففي ذلك الوقت خرج رزق بن احد عبيد
هدد عز ملك صوبه عن طاعة سيده واتي مع قومه وملك في دمشق فصارت
من وقتي عاصمة مملكة ارام وكان رزون عدو سليمان والمات ولي بعده حزقون
ثم خلفه ابنه طبريون وكان معاصراً لابيائهم ملك يهوذا ولما مات خلفه ابنه بنهدد
الاول وكان معاصراً لاسا ملك يهوذا وفي بداية ملكه كان الصلح والسلام
والمخالفة بينه وبين بعشا ملك اسرائيل غير انه لم تطل الملك الا اغرى اسابنه
بالاموال فنتفض موثيقه مع حلبه وجرّد جيوشه على حدود مملكة اسرائيل
المخاضية ملكته ففتحها ورسم على ملك اسرائيل ان يبني سوقاً في السامرة عاصمة
ملكته على اسم بنهدد فكان كما اقترح وجرى ذلك بين سنة ٩٤٠ وسنة ٩٣٠
ق م. وبعد بنهدد الاول ولج الملكة بنهدد الثاني فكانت عداوة بينه وبين ملكة
اسرائيل ففي سنة ٩٠١ حمل عليها وتقدم حتى احاط السامرة بجيش عظيم وتهدد
اخآب ملك اسرائيل اعظم تهديد وطالب منه ما يضعب احتماله فكاد اخآب
يجيب على ان شيوخ الشعب ابوا والرب ساعدهم بالعجوبة فتقوا على عدوهم وخرج
اليهم ملكهم اخآب فانتصر عليهم وافنى جيوشه ونكبه وبلاده اعظم نكبة وانتهى
الصلح بان يرد بنهدد لآخآب ما اخذه ابوه من مدن اسرائيل وان يبني اخآب
اسواقاً في دمشق كما بنى والد بنهدد اسواقاً في السامرة لما تغلب على اسرائيل .
وسنة ٨٩٧ ق م عاد الاراميون وحاربوا ملكة اسرائيل ففازوا وقتل في
الحرب اخآب ملك اسرائيل وكانت الحرب بين بنهدد وملك اسرائيل الجديد
خليفة اخآب على قدم رساق وفي نحو سنة ٨٩٠ ق م انتدت نيرانها وزاد لهيبها
فانكسروا اسرائيل امام بنهدد فاثروهم الى السامرة ووضع عليها الحصار وضايقها
فازداد بها الويل واشتد الجوع حتى ان ارام النساء واشد هنّ حنواً اكلن اولادهنّ
وبلغت قبة ربع القاب^(١) من زبل الحمام خمساً من الفضة وقبضة راس الحمار

(١) القاب من المكيل افة و٢٣ درهماً

ثمانين من الفضة^(١) وأخيراً اذ ضاق الحال وكاد الاهالي يهلكون جوعاً خلصهم الله بانجوبة حيث استولى وهم على الاراميين ففروا وتركوا الحصار. وبعد ذلك اتى اليسع النبي الى دمشق وتنبأ بموت بنهدد وبان حزائيل ابنه يكون خليفة له ولما مات بنهدد خلفه ابنه حزائيل وكان جبّاراً عنيداً فاسياً فتح فتوحات كثيرة وحارب يهوآحاز ملك اسرائيل كل ايامه واستولى على بعض بلاده ولما مات خلفه ابنه بنهدد وكان دون ابيه في الجبروت حاربه يواش بن يهوآحاز ثلث دفعات وتغلب عليه واسترجع مدن اسرائيل منه. ولما جلس يربعام بن يواش على كرسي اسرائيل ازهرت المملكة في ايامه ورجعت الى رونقها وقد فتح دمشق واخضعها للملكية ثم توارى ذكر دمشق. ويظن انها ظلت خاضعة لملوك اسرائيل او انها امتنعت عن محاربتهم وفي ايام فتح ملك اسرائيل وآحاز ملك يهوذا الذي جلس على عرش اورشليم سنة ٧٤١ ق م كانت ملك على دمشق اسمه رصين فتحالف مع فتح ضد آحاز وقصد محاربتة واذ علم آحاز احتياجه الى مساعدة استنصر بتغلت فلاسر ملك اشور ضد عدويه فلباد واتي وحارب دمشق واخذها وسبها الى قير وقتل رصين ملكها ثم اتى آحاز الى دمشق للقاء تغلت فلاسر ملك اشور فرأى المذبح الذي في هيكل دمشق واذ اعجبه ارسل الى رئيس الكهنة في اورشليم ليحل مثله ويقدم الذبائح عليه (اما هيكل دمشق فقديم العهد وكان عظيماً ومخصصاً لعبادة رمون اله الاراميين ثم صار كنيسة ثم جامعاً وهو الجامع الاموي المعروف الآن وسياتي بسط الكلام عليه في بابي) وبقيت دمشق في حوزة الاشوريين الى سنة ٧٢١ ق م فاستولى عليها شلمنصر ملك بابل ثم بعد ذلك عصي سكان دمشق مع جميع اهالي سوريا على بنحصر الملك وامتنعوا عن أداء الضرائب فاستشاط غيظاً وارسل جنده الى سوريا تحت قيادة عبده اليافا فتمكن منها واخرب كثيراً من مدنها وقتل ما لا يحصى من سكانها ثم سار الى بقعة دمشق وكانت ابام الحصاد فاحرق جميع المراعي والحقول واباد المواشي وسي

(١) الثمانون من الفضة نحو ثمان ليرات انكليزية او نحو ١٠٥٠ غرشاً عثمانية

مدن مملكة دمشق وقتل شبانها وارجعها الى طاعة سيده بختنصر مع جميع
مالك سوريا وهكذا رجعت دمشق تخضع للملك بابل (ملخصاً عن سفر يهوديت
ص ١ و ٢) ولما سقطت بابل بسيف كورش ملك مادي صارت دمشق تابعة
له وفي سنة ٣٣١ ق م استولى الاسكندر المقدوني على سوريا فصارت دمشق
اليونانيين وبعد موت الاسكندر ظلت سوريا محكومة من اليونان في مصر ثم لما
نقوى سلوقس واسس المملكة اليونانية السورية وجعل عاصمتها انطاكية سنة ٣١٢
كانت دمشق تابعة لمملكة السلوقيين وظالت خاضعة لليونانيين سنة ٢٤٨
وفي سنة ٦٤ قبل المسيح اتاها بمبايوس احد قواد الرومانيين وفتحها مع انطاكية
وكل سوريا واخضعها للرومانيين وبقيت تحت سلطنتهم نحو ٢٠٠ سنة الى ان
فتحها العرب المسلمون سنة ٦٣٤ م الموافقة ١٢ هجرية

ولما ساد الرومانيون على دمشق حصلت على التفرغ وامتطت مطايا النجاح
فصارت اعظم مدن سورية وفلسطين الا انطاكية وكان عمال الرومانيين بها
من عرب غسان فساسوها بادى امرهم مع ما يتبعها احسن سياسة (١)

(١) عرب غسان كانوا عرب الشام في ايام ولاية الرومانيين على سوريا اصلهم من اليمن
من آل جفنة من بني الازد بن غوث بن نبت بن مالك بن ادد بن زيد بن كهلان بن
سبا تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه فقبل لهم
آل غسان وكان بالشام عرب من سلج يقال لهم الضجاعة كانوا من ملوك الطوائف الذين
قتل اسعد الحويري من كان منهم باليمن وقتل اردشير كسرى من كان منهم بارض العجم
فقوي عليهم آل غسان واخرجوهم من ديارهم وحلوا مكانهم ففتقروا فاتخذهم ملوك الروم عمالاً
لم على عرب الشام ودخلت دمشق في حوزتهم مدة وقبلوا الديانة المسيحية وتدينوا بها واول
من ملك منهم جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن مزينة فمات بعد ما قتل ملوك سلج دانت له قضاة
فعظمت دولته وبني في الشام مصانع كثيرة ومات وملك بعده ابنه عمرو وبني في الشام
عدة ادبرة منها دير صالي ودير ايوب ودير هند ثم ملك بعده ابنه ثعلبة وهو الذي بني
صرح الغدير في اطراف حوران ما يلي البلقاء وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم ملك بعده
ابنة الحرث وكان ملكه عشرين سنة وملك بعده ابنه جبلة وهو الذي بني القناطر واذرع
والقسطل ومدة ملكه عشرين سنة وملك بعده ابنه الحرث وهو ابن مارية ذات الفرطين
الذين يضرب بها المثل في التناقض وكان مسكنه في البلقاء فبني بها الحفير ومصنعة وقصر

وفي سنة ٥٩ ق م في بداية تولى الرومانيين عليها حدث فيها مقتلة عظيمة
فقتل بها كثير من اليهود واما سببها فهو ان بعض وجوه اليهود رغبوا في ان
يكونوا اعياناً في الديوان الروماني فابي السوريون ذلك فثار اليهود في دمشق
وقتلوا خلفاً كثيراً من الاهالي فغضب كلوديوس فيليكس الوالي وامر جنده فقتلوا
ايبرومعان وكان ملكه عشرين سنة وملك بعده ابنه المنذر الاكبر ومات بعد ان ملك
ثلاث سنين فملك بعده اخوه النعمان خمس عشرة سنة ونصفاً ثم اخوه المنذر الاصغر ثم
اخوه جبلة ثم اخوه الابهيم ثم اخوه عمرو وكان شديد التكبر ذمياً قبيح السيرة انشا في
دمشق وضواحيها ومعاملاتها عدة قصور شائخة منها قصر الفضاء وصفات العجالات وقصر
منار وصور في بعض هذه القصور مجالسة وجلساء دولته واشكال صورته فكانت منزهات
لا يوجد مثلها وكان قد جعل لنفسه في كل ليلة جارية عذراء من السبايا التي تصيبها خيلة
المغيرة في البلاد على العصاة من اهلها فلم يزل ذلك دابة حتى وقعت عنده في السبي اخت
عمرو بن الصعق العدواني فلم يشعر الا واخوها قد وقف به وهو يقول

يا ايها الملك المهيّب اما ترى صبحاً وليلاً كيف يتخلّفان
هل تستطيع الشمس ان يؤثي بها ليلاً وهل لك بالصباح يدان
فاعلم وايقن ان ملكك زائل وكما تدبّر تدان عقد رهان

فوقعت هذه الايات في قلبه وقل له قد امنك الله على كل من لك عندي وامن كل
الناس على من وقع لهم من السبايا وابطل تلك السنة من ذلك اليوم وبني دير ضخّم ودير
النبوة وملك ستاً وعشرين سنة وشهرين ثم ملك بعده جفنة الاصغر ابن المنذر الاكبر وهو
الذي احرق الحيرة فسمي بالخرق وبنوه سمو آل محرق وملك بعده اخوه النعمان الاصغر
ابن المنذر الاكبر وبعده ملك النعمان بن عمرو بن المنذر وهو الذي بني قصر السويدي وقصر
حارب ولم يكن عمرو ابو النعمان ملكاً بل كان من كرام العشيرة وفيه يقول النابغة الذبياني
عليّ عمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وكانت مدة ملكه سبعاً وعشرين سنة فمات وملك بعده ابنه جبلة وهو الذي قاتل
المنذر بن ماء السماء وله يوم عين اباغ الذي فتنك به بني الحمر وثرى . كان ينزل بصفين وبعد
ان ملك ست عشرة سنة ملك بعده النعمان بن الابهيم بن الحرث وملكه احدى وعشرون سنة
وملك بعده اخوه الحرث ثم ابنه النعمان وهو الذي اصلى صهاريج الرصافة وكان قد اخربها
بعض ملوك الحيرة الغنمين وملك بعده ابنه المنذر ثم ملك بعد المنذر اخوه عمرو بن
النعمان ثم اخوها حجر ثم ابنه الحرث ثم ابنه جبلة ثم ابنه الحرث وهو الذي اوقع بيني كنانة وكان
يسكن احياناً في الجابية واحياناً في عمان التي تعرف بالبلقاء وكان ابتداء ملكه في عصر

مقتلة عظيمة من اليهود ونهبوا منازلهم واحرقوها سنة ٢٠ ق م في ايام اوغسطس
قيصر قدم اليها هيرودس الكبير ومنها سار الى بانياس وفي اثناء ذلك رجع
اليهود وبنوا منازلهم وبعد صعود المسيح بقليل قدم اليها حنانيا الرسول
وبشر فيها بالنصرانية فآمن على يده بعض من سمعته. ونحو سنة ٢٧ او ٢٨ للمسيح
قدم اليها ايضا بولس الرسول كما نقرأ في سفر اعمال الرسل ص ٩ وذلك يوم
النعمان بن المنذر ملك الحيرة فكانت بينها مغابرة في الشرف وكان الحثوث كثير الغزو
والغارات على قبائل العرب وكان كريما جوادا كثير المواهب فكانت العرب تدعوه
الوهاب وقيل لم يجتمع من الشعراء بباب احدهم من الملوك في عصره ما كان يجتمع ببابه وكان
حسان بن ثابت الانصاري منقطعاً اليه وله فيه مدائح كثيرة
ومات الحثوث وملك بعده ابنه النعمان وكان شديد الاجتهاد في انتشار النصرانية في
البلاد اكثر من اجداده وكان ملكا عادلا شجاعا فاضلا كثير الخير قليل الشر حسن الصورة
والسيرة وكان يحب العلماء والفضلاء ويقدمهم على اشرف الناس وكان يكنى بابي كرب
ويلقب بقطام وبعده ملك الالهم بن جبلة بن الحثوث وهو صاحب تدمر وقصر بركة
وذات اثمار وكان له عامل يقال له القين بن جسر بنى له بالبرية قصرا عظيما قيل انه قصر
برقع وملك بعد الالهم اخوه المنذر وقيل ان ملكه كان سنة ٦٢٠ م وكان ملكه ثلث
عشرة سنة ثم ملك اخوها شرحبيل ثم ملك بعده اخوه عمرو ثم ابن اخيه جبلة بن الحثوث
وكان ملكه اربع سنين وملك بعده جبلة بن الالهم بن جبلة وهو آخر ملوك غسان وكان
طويل القامة نحيف الجسم يلبس الثياب الفاخرة وهو الذي بنى مدينة جبلة بين طرابلس
واللاذقية وسماها باسمه وقيل انه اسلم في خلافة عمر بن الخطاب فسار الى مكة يريد الحج
بمئة وخمسين من اصحابه فلما قرب من المدينة قلد اعناق خياله بقلائد من الذهب والنضة
 ووضع تاجه على راسه فلما بلغ عمر قدمته النخاعة بن عنده ورفع مقامه حتى كان يوم
الطواف فبينما جبلة يطوف بالبيت محرما متزرا اذ وطئ رجل من فزارة طرف ازاره
فانخل عنه الازار حتى بدت عورته فغضب جبلة من ذلك ولطم النزازي لطمه هشم بها انفة
فتملق به الرجل وانطلق الى عمر ودمه يسيل على وجهه فقال له عمر انت بين ان
يلطمك الرجل كما لطمته او تنفدي اللطمه منه فقل جياة افلا يفضل عندكم ملك على سوقة
قال كلاب كلالها في الحق ستواء . فانف جبلة من ذلك ولما جنة الليل خرج يقوم حتى
لحق بالشام فارتد عن اسلامه فكتب عمر لعامله بالشام ابي عبيدة بن الجراح ان يستتيب
جبلة فان تاب والا ضرب عنقه وبلغ ذلك جبلة فخرج هاربا الى ملك الروم واقام عنده .
وقيل كانت مدة ملك ملوك غسان ست مئة سنة . اه

كان حاكمها الحمارث ٢ كوا ١١: ٢٢ الخ

وعندما صارت الدولة الرومانية نصرانية امتدت النصرانية في دمشق حتى ان ثيودوثيوس الملك امر بنزع عبادة الاصنام منها ومن غيرها من ممالكه وفي ايام ابنه ارخادايوس تهدم جزء من هيكل دمشق فرمته وحول الهيكل كله الى كنيسة على اسم يوحنا المعمدان ولم تضر مدة حتى صار كل اهلها مسيحيين على ان اكثر اليهود لبثوا على دينهم

وفي سنة ٥٤٠ م غزاها الفرس وخرّبوا كثيراً من ابنتها ولكنها لم تلبث ان عادت الى مجدها وصارت عملاً من اعمال الرومانيين وعمّاهم فيها بنو غسان كما تقدم وكانت دمشق في كل اعصرها عظيمة قوية مشيدة الحصون ففي عصر اليونان والرومان كانت في غاية الاتقان على شكل مستطيل بيضوي شطاطة بسور عظيم منيع وبخرفها من الشرق الى الغرب الزقاق المستقيم وطوله نحو ميل وكان على جانبيه رواقان قائمان على اعمدة بين العمود والاخر بضع اذرع وقد ظهرت اثار هذه الاعمدة في سنة ١٨٦٢ وهم يحفرون اسس القشاة التي بنوها في حي النصارى. والظاهر انها كانت ممتدة الى باب توما الذي هو احد ابواب المدينة الشمالية وهذه الاعمدة اثار في اكثر شوارعها ما يدل على انها كلها كانت على نسق واحد وقد قال من زار تدمر وعرف هندسة دمشق القديمة بان الثنتين على هندسة واحدة وكان لدمشق ثمانية ابواب من جهاتها الاربع قال بعضهم

دمشق في اوصانها نجنة خلد راضيه

اما ترى ابوابها قد جعلت ثمانية

ولم تزل اثار السور القديم مع الابواب الى يومنا هذا وقيل في عيون الثوار يخ وكان لليونان على كل باب عيد في السنة وهم الذين وضعوا الارصاد على حركات الكواكب وبنوا لهم معبداً في الموضع الذي هو اليوم الجامع . اه . ولما قويت الديانة المسيحية صارت دمشق مركز ابرشية عظيمة وكان راعيها يلقب برئيس اساقفة فينيقية الثانية وتحت يده اثنا عشر اسقفاً

فصل

في فتوح المسلمين لدمشق الى ان قامت الدولة الاموية
عظم شأن الرومان المسيحيين وعلا قدرهم وحلت مهابتهم في قلوب الشعوب
وفازوا بالظفر بادئ امرهم فانصفوا بالرعية واجروا العدل واتخذوا الحق
حاكماً في امورهم ثم ما لبثوا ان اسكرهم الفوز فتكبروا وتعظموا ونبدوا
العدل ظهيراً وانصبوا على الملاهي والمنكرات ونقاعدا عن الواجبات ومالوا
عن جادة الصواب وظلموا في الرعية وقادوا الاحكام والمناصب اغبر اهلها
وجعلوا الرتب بضائع تجارية تقتنى بالاثمان فوسعوا للمرشدين ابواب الجور
والاعتساف فتضعفت احوال الرعية وفسدت اخلاقها ونفرت من حكماها
فضاعت سطوة الاحكام وانحط قدرهم ولم يستطيعوا الثبات امام الجنود الاسلامية
كما سيأتي

ففي السنة الحادية عشرة للهجرة الموافقة سنة ٦٣٢ م بايع المسلمون ابا بكر
الصديق خليفة فقام باعباء الخلافة وكان يرغب في تعميم الاسلامية واتساع نطاق
الفتوحات فدعا قومه الى ذلك فلبوه لانهم كانوا يودون الجهاد ويؤثرونه على
ما سواه . ففي السنة الثانية من خلافة سيدهم الجيوش افتتح بلاد الشام وعقد راية
قيادتها لابي عبيدة عامر بن الجراح ثم انجده بخالد بن الوليد فسارت الجيوش نحو
بلاد الشام واخذت تفتح المدن والبلدان وتجري العدل والانصاف في ما تستولي
عليه . فقام عند العرب ان الروم جنباء لا يشبهون في النزال فطمعوا في بلادهم
واستهونوا حرمهم وتاكدا الفوز عليهم فوجهوا نظرهم بسرعة لفتح المدن الكبيرة
العظيمة فجد خالد بن الوليد السير حتى بلغ بصرى (هي في حوران وعلى خراباتها
الآن قرية صغيرة تُعرف ببصرى اسكي شام اي الشام القديمة) وكانت عساكر
الروم قد حشدت بها بكثرة وتولى قيادتها رجل اسمه رومانوس فخرج هذا من
المدينة واتى خالداً واجتمع به ثم اسلم عن يده واتفق معه على ان يسلم المدينة
بجيلة نكاية للرومان ولكنه في بادئ الامر يتظاهر بمحاربتهم . ولما عاد الى المدينة

أخذ يطنب بقوة الحاملين ويظهر الميل اليهم فخذله قومه والزموه بيته وولوا عرضاً عنه رجلاً من مشاهير قوادهم فثقب رومانوس سور المدينة على حين غفلة وخرج الى معسكر العرب واتى بزمرة من الجنود وادخلهم المدينة فتمكنوا من فتح ابوابها فدخاها العرب ظافرين وعاملين السيوف باهاها حتى اجبروهم على الاستمان فامنوهم واستولوا على مد ينتهم ووضعوا بها محافطين من قبلهم

قال الواقدي. وبعد ان فتح خالد بصرى سار بجنوده قاصداً دمشق فكتب لابي عبيدة عامر بن الجراح يسند عيه الى معونته وكتب لابي بكر يعلمه بما قصد . قال ولما كان خالد سائراً الى دمشق كان الناس يلتجئون اليها اسراباً اسراباً خيفة الاعداء فاضحى فيها خلق كثير من جملتهم ١٢ الف فارس ولما عرف هرقل ملك الروم بزحف العرب على دمشق راعه الخبر فجهز لوقته احد قواده واسم ككلوس بخمسة آلاف فارس وارسله اليها قبلها بوقت قصير ولحسن حظ العرب وقعت البغضاء والمناظرة بين ككلوس وعزازير والى المدينة وقصد ككلوس خلع عزازير عن الولاية فلم يتم له الامر وبعد التراجع تقربا من بعضهما وفي القلوب ضغائن كامننة وانفقا على ان يتولى كل واحد منهما امر المحاربة يوماً بالتناوب (هذا جرى وخالد في محل اسمه الدبر ينتظر اجتماع الجنود الاسلامية) ومن ثم صار الروم يخرجون كل يوم من باب الجابية ويبعدون عن المدينة مقدار فرسخ منتظرين ابا عبيدة غير حاسبين حساباً لخالد ففي احد الايام لم يشعروا الا وانتفض عليهم خالد بن الوليد من جهة الثانية فيبادروا كالجراد فتدرع خالد وخطب على قومه قائلاً: وهذا يوم ما بعد يوم وهذا العدو قد زحف بخيله قدونكم والجهاد فانصروا الله نصركم وكونوا ممن باع نفسه لله عز وجل وكانكم باخوانكم المسلمين قد قدموا عليكم مع ابي عبيدة عامر بن الجراح فتمشددت قلوب جنوده ودبت فيها النخوة العربية وبعد ذلك استقبل خالد جيش الرومانيين وصرخ صرخة هائلة فحل وحل معه شرحبيل بن حسنة وعبد الرحمن بن ابي بكر وضرار بن الازور فارجموا العساكر الرومانية فتبع خالد ككلوس قائدهم فلما اوشك ان يظفروا به فر من وجهه فوقف

خالد ودعا للبارزة فتمنع خوفاً وذهب الى عزازير يطلب منه مبارزة خالد فابي
فالتزم كلوس ان يرجع ويبارزه فخرج ومعه ترجان اسمه جرجس ولما اجتمعا اخذا
يتهددان بعضهما اشد التهديد ثم هرب الترجان وترك البطلين في ساحة الوغى
فاخذا يتصارعان ويتجادلان ولم يتيسر لخالد طعن خصمه وهو منبط الجواد فانحرف
عليه وتمكن من اطواقه وجذبه فسقط على الارض فتوارد بعض فرسان العرب
وامسكوه واوثقوه واذا رأى كلوس ذاته اسيراً اوعز الى خالد ان يطلقه دافعاً
الجزية فابي

ثم ان خالداً صم على الهجوم على جيوش اعدائه فانهض ضرار وقال له استرح
وانا احمل فابي الا الحيلة بنفسه وفي اثناء ذلك استدعاه كلوس وهو في الوثاق
وناجاه بقتل عزازير فقال له سافلتك واياك ومن مثلكما في العقيدة
ولما وقع كلوس اسيراً كان قد اتى جرجس الترجان قومه فاخبرهم بشجاعة
خالد وشدة بأسه فلاموه وحاولوا قتله وقالوا لعزازير ان كلوس أسير وخالد يتقدم
فابرز لقتاله وخلص قومك فسمع عزازير الكلام وتعدد بلاهة حربه وركب
جواده وسار وكان عزازير من مشاهير فرسان قومه واشدهم شجاعة وقوة واكثرهم
معرفة في فن الحرب وابوابها وكان عارفاً باللغة العربية فلما التقى بخالد تحداً
وتهدداً على غير طائل واخيراً قال عزازير لخالد اعطيك الف مثقال ذهباً
وعشرة آلاف ديباج وخمسة من جياد الخيل ان قتلت كلوس واتيتني براسه
فقال خالد هذه ديتي فما تعطيني عن نفسك فغضب عزازير واخذ يتهدده واذا
لم يكن بداً من القتال حملاً وتجاوزاً لبرهة فكاد خالد يستظهر على عزازير ففر عزازير
فتبعه خالد وكان جواده بطيء السير فظن عزازير الخوف في خالد فتربص له
واعادا المقاتلة فلم يفر احدهما بصاحبه فترجل خالد فطع به عزازير وجال
حواله بسيفه وضربه به فاخطاه فضرب خالد قوائم جواده عزازير فسقط عزازير
وعمد الى الهرب فادركه خالد والنقطة فبادر الروم لتخليص رئيسهم من اسره
وعند ما وصلت جنود العرب بغة مع ابي عبيدة فعدل الرومانيون عن الحيلة. ثم في

اليوم الثاني نهض خالد وابو عبيدة ورتبا الجيوش الاسلامية وحملوها على الروم واستظهروا عليهم فولوا الادبار فتبعهم المسلمون عاملين السيوف فيهم حتى ادخلوا اكثرهم المدينة من الباب الشرقي فحينئذ اغلقت ابواب المدينة فانقسمت الجيوش الاسلامية وعددها نحو ثلثين الفا وخمس مئة الى قسمين الاول تحت قيادة ابي عبيدة نزل امام باب الجابية والثاني تولى قيادته خالد بنفسه ونزل امام الباب الشرقي وهكذا حصرت دمشق وتعرض على الروم الخروج والدخول وسدت امامهم المسالك . ثم ان خالدًا احضر القائد بن كلوس وعزازير الى امام اسوار المدينة وعرض عليها الاسلام فايها فامر ضرارًا بن الازور البطل المشهور فضرب عنقها فلما انظر ذلك اهالي دمشق ارتاعوا فكتبوا الى انطاكية الى الملك هرقل يخبرونه بما جرى على القائد بن وبنزول العرب على باب الجابية والباب الشرقي ويطلبون منه ان يجادهم سربًا والافيسلمون المدينة وسلموا الرسالة لرسول دلوهُ من اعلى السور في ظلمة الليل فلما وصلت الرسالة الى الملك هرقل بكى على مصاب بلاده ثم جمع قواده ونلاها عليهم وقال يا قوم لقد انذرتكم من هؤلاء العرب فاتخذتم كلامي هزأ فاعلموا انهم خرجوا من بلاد قفراء الى بلاد خصيبة كثيرة الاشجار والثمار فاغرستم نضارتها حتى لا يزدجرون عنها لما هم فيه من العزم وشدة الباس ولولا الفضيحة لتركتم الشام ورحلت الى القسطنطينية ولكني ساستعين الله واخرج لقتالهم اه . فقال القواد وهل بلغ من قدر العرب حتى تخرج اليهم بنفسك ايها الملك فقال ومن تبعث اليهم قالوا بوردان صاحب حمص فانه افرس فرساننا واعرف قوادنا بفنون الحرب وقد اشتهر في حروب الفرس . فبعث الملك واحضر وردان وقاده قيادة اثني عشر الف فارس وارسله لنجدة دمشق وقال له عندما تبلغ بعلمك انفذ الى من باجناد بن وارضهم ان يقطعوا المدد عن العرب

وفي اثناء ذهاب رسول دمشق الى الملك شدد العرب الحصار على دمشق وكانوا يجهون عليها مدة عشرين يومًا بمجالات شديدة وفي اليوم الحادي

والعشرين اتى ناضي بن مرة واخبر خالدًا بان الروم مجتمعون بعد غنير في اجناد بن وقصد هم الحيلة على العساكر الاسلامية فذهب خالد لوقت من امام الباب الشرقي واتى ابا عبيدة امام باب الجابية وحدثه بما بلغه وقال له اني اري من الصواب ان نرحل من هنا ونقاتل الروم باجناد بن فان نصرنا الله عدنا لقتال هؤلاء القوم فانكرا ابو عبيدة هذا الرأي وقال الاجدر بنا ان نوجه شرذمة من الجند تحت قيادة احد الابطال المجريين فان رفعنا الحصار عن دمشق يستولي اهلها على مراكزنا فنسي خاسرين فاستصوب خالد هذا الرأي وسير خمسة آلاف فارس مبررين تحت قيادة ضرار بن الازور لمحاربة الاعداء في اجناد بن فلما بلغ هذا الجيش بيت لهيا التقى بعساكر الروم وكانوا اكثر منه عددًا فهاجمهم وهم على الرجوع خوفًا وكان خالد قد قال لهم اذا وجدتم الاعداء اكثر منكم فكروا الياناراجعين فلما التقوا بالروم عزموا على الرجوع خيفة الالفاء بانفسهم الى التهلكة فقاومهم ضرار وقال لست ممن يرجعون وايست الا الضرب بسيفي حتى الهلاك وافضل الهلاك على الهزيمة. فوافقه رافع بن عبيدة الطائي وقال مخاطبًا الجنود اربا قوم وما الخيفة وما هولاء العاوج انما نصركم الله في مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ولم تنزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة واليسيرة فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قالت قوم طالوت عند انبائهم بجالوت ربنا افرغ علينا صبرًا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ولما سمع الجنود هذا الكلام تشددت عزائمهم وتشجعوا ونادوا القتل القتل فكن بهم ضرار في بيت لهيا ولما انصل بهم الروم حمل ضرار مع جنوده فدارت رحى الحرب وازداد انقاد نيرانها وكانت موقعة دموية قتل بها خلق كثير من الجانبين من جملتهم همدان بن فائد عسكر الروم ووقع ضرار اسيرًا بعد ان جرحه همدان فليق خبر اسر ضرار بخالد فتكدر واستشار ابا عبيدة فاجمعوا على ان خالدًا يلحق بجيش ضرار فصار بنخبة من جيشه واقام على الباب الشرقي ميسرة بن مسروق العبسي وكان بطلاً مشهوراً وجعل تحت قيادته الف فارس

ولما اتصل خالد بجند ضرار رأى بينهم فارساً يحمل على الأعداء حملات
تزعزع الجبال الرواسخ فاستدعاه واستكشفه عن أمره. فاذا هو خولة بنت
الازور اخت ضرار الماسور تقوم باخذ الثار. ثم ان خالدًا حمل مع رجاله على
الكتائب الرومانية وشتتوها وارسلوا سرية تحت رياسة رافع بن عميرة الطائي
استرجعت ضراراً من اسر العدو وعادوا الى دمشق مشددين عليها المحصار
ولما بلغ الملك هرقل ما اصاب جيش وردان جهز جيشاً عرمرماً مولفاً من
تسعين الف مقاتل وارسله لاجناد بن وارسل لوردان يوليه قيادة الجيش وامره
ان يقطع اتصالات العرب فبلغ خبر هذا الجيش اذان خالد بن الوليد وهو على
الباب الشرقي في دمشق فاجتمع بابي عبيدة فقر رايهما على ان يجعلا الجنود من
جميع الجهات في اجناد بن فرعما المحصار عن دمشق وساروا قاصدين اجناد بن
فكان خالد على مقدمة الجيش وابو عبيدة على المؤخرة مع الغنائم والاموال ومعه
الف مقاتل وعند ما اخذوا في السير خطب خالد بالجنود قائلاً ايها الناس انكم
سائرون الى جيش عظيم فابقظوا همكم وان الله وعدكم النصر وقرأ عليهم قوله.
كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين. وكان من امرهم ان
التفوا بالروم في اجناد بن واقتتلوا اقتتالاً عظيماً دارت الدائرة فيه على الروم
وقتل منهم خمسون الفاً على ما قيل وذلك في جمادى الاولى سنة ١٢ هـ (واجناد بن
سهل بين الرملة وبيت جبرين)

وفي يوم الخميس في ٢ جمادى الاخرة كتب خالد لابي بكر يخبره بما كان
ويعلمه بانه راجع الى دمشق ثم رجع الى دمشق فوجدها قد ازدادت تحصناً
فنزل في دير خالد المنسوب اليه ويبعد عن المدينة نحو ميل واخذ يرتب كيفية
المحصار وبعد ان اتم الامر قسم جيشه المؤلف من خمسة عشر الف مقاتل على ما
قيل على ابواب المدينة فجعل ابا عبيدة على باب الجابية وي زيد بن ابي سفيان
على الباب الصغير (باب الشاغور) وشرحبيل بن حسنة على باب توما وعمر بن
العاص على باب الفراديس وعيس بن هيرة على باب الفرج ونزل خالد على

الباب الشرقي وضرار بن الازور كان يطوف حول المدينة بالفي فارس للحراسة وكان في دمشق بطل مشهور اسمه توما كان متزوجاً بابنة الملك هرقل فاقامة الاهالي قائداً عليهم فنظم احوالهم وصعد على سور باب توما المنسوب اليه وزمى قوم شرحبيل بالسهم فقتل منهم خلقاً كثيراً في جملتهم ابان بن سعد بن العاص وكان عريساً تزوج باجناد بن وعروبة ابنة عمه من النساء المسترجلات فندبت بعلمها ونذرت على نفسها اخذ ثاره فتبعت الجيش وكانت ترمي السهم فاصابت حامل الراية الدمشقية فسقطت الراية الى العرب فعظم الامر على توما وخرج من المدينة لاسترجاعها وتبعه شرذمة من عسكره واوشك ان يسترد الراية واذا بنبله رمتها بها زوجة ابان فاصابت عينه ففكر راجعاً وتبعه قومه واغلقوا الباب فكتب توما الى الملك هرقل بحالة الحرب وطلب منه ان يرسل له نجدة وان يدهه يصالح العرب. وفي اثناء ذلك شدد العرب المحصار وقطعوا كل اتصال عن المدينة وداوموا القتال فتضايق الاهالي واي تضايق وطلبوا من خالد المهادنة فابي الا القتال فضالت رحي الحرب دائرة والنجيدات تتوارد على العرب بكثرة حتى تعاظم جيشهم واهالي دمشق لا يرون باباً للفرج فانقسموا فثنتين فئة رغبت في الاستسلام وفئة في الدفاع الى النهاية مفضلة اياه على الذل فتغلب حزب الاستسلام واجتمع زعماءه عند باب الجباية وتكلموا مع ابي عبيدة وقطعوا معه شروط التسليم وخرجوا اليه فاکرمهم ثم دخل المدينة ومعه مئة رجل فيهم خمسة وثلاثون صحابياً هذا ما كان من امر ابي عبيدة. واما ما كان من امر خالد فانه اتاه في تلك الليلة عينها قس اسمه يونان نقب سور المدينة من بيته الذي كان بازاء السور بجانب الباب الشرقي واعلمه بما فعل واستأمن اليه فامنه خالد وارسل معه مئة رجل من اشداء قومه واوصاهم اذا صرتم في المدينة هالوا وكبروا وافتحوا الباب ففعلوا ذلك والناس غافلون فدخل خالد المدينة عنوة وسار في الطريق المستقيم يضرب بسيفه واهل المدينة على خلف وقد راعهم ما راوه مما لا ينتظرون ولما وصل الى كنيسة مريم (للروم الارثوذكس) التقي بابي عبيدة دون

ان يرى له سيفاً مجرّداً وكان القوم بين يديه يسبرون به باحتمال له فاخذ العجب منه كل ماخذ فيادره ابو عبيدة وقال ليا خالد قد فتح الله المدينة على يدي صلحاً وكفى الله المؤمنين القتال فقال خالد وما الصلح وقد فتنها بالسيف وخضبت سيوف المسلمين من دماهم فقال ابو عبيدة اعلم ايها الاميراني ما دخلتها الا بالصلح فقال خالد لوانا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقي لهم حامية فكيف صالحتهم وقد طالت المناقشة بينهما على هذا النمط وكان جيش خالد يقتل وينهب فننادى ابو عبيدة لوانا نكلاه حقرت والله ونقض عهدي وجعل يشير الى الجنود ويقول (معاشر المسلمين اقسمت عليكم برسول الله لا تمدوا ايديكم نحو الطريق الذي جئت منه حتى نرى ما نتفق عليه انا وخالد) فلما قال لهم ذلك كفوا عن القتال . فعقدوا مجلس شورى من امراء العرب ومقدميهم فاجتمعوا على ان يقبل خالد بصلح ابي عبيدة الى ان يعلموا الخليفة فينهى الامر فقبل خالد ذلك على انه اصر على قتل توما وهريس (هريس قائد شجاع كان على نصف المدينة تحت امر توما) فعارضة ابو عبيدة وقال له لا تحقر ذمتي فاني امنتهم فتقدم توما وهريس وطلبا الخروج من المدينة والتسما ان يخرج معهما من يريد من اهلها بامواله فاذن لهما بذلك بشرط ان لا يكون مع كل واحد من المهاجرين سوى قطعة واحدة من السلاح وانهم يكونون في ذمة العرب ثلاثة ايام ولا اثم على العرب اذا لحنوهم او وقعوا بهم بعدها فسار المهاجرون آخذين معهم نساءهم واولادهم وما خفف من مالهم وغلا ثمة وكان خالد وضرار وغيرها ينظرون اليهم شذراً وباسفون على خلاصهم وبعد الثلاثة الايام لحق خالد بهم مع فرقة من اشد رجاله وفي مقدمتهم دليل روماني خان قومه في دمشق وكان عارفاً بالطرق ومخارج البلاد فجهدوا السير وادركوا المهاجرين بعد ايام في مرج الديباج عند الجبال الباردة بنواحي انطاكية فقتلوا رجالهم ونهبوا اموالهم وسبوا امرأة توما بنت الملك هرقل ورجعوا ظافرين على ان خالد اورد بنت الملك الى ابيها هدية ورجع الى دمشق . اما مدة ميازلة دمشق فكانت سبعين يوماً على ما رواه ابو الفداء

وفي الليلة التي فيها فتح المسلمون دمشق وهي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من
 جمادى الآخرة سنة ١٣ للهجرة توفي أبو بكر الصديق وولي الخلافة عمر بن
 الخطاب فهذا عزل خالدًا وإقام أبا عبيدة على قيادة الجيش العامة في سورية
 واعتبر صالح أبي عبيدة لاهمالي دمشق صحيحًا كما يظهر من الكتاب الآتي وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى
 أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو واصلني
 على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وبعد فاني وليتك امور المسلمين فلا تستحي فان
 الله لا يستحي من الحق واني اوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه والذي
 استخرجك من الكفر إلى الايمان ومن الضلال إلى الهدى وقد استعملتك على جند
 ما هنالك مع خالد فاقيض جندك واعزله عن امارته ولا تنفذ المسلمين إلى هلكة
 لاجل غنيمة ولا تنفذ سرية إلى جمع كثير ولا تقل اني ارجو لكم النصر فان النصر
 انما يكون مع اليقين والثقة بالله واياك بالتغريب بالقاء المسلمين إلى الهلكة وغض
 عن الدنيا عينك وإله عنها قلبك واياك وان تهلك كما هلك من كان قبلك
 فقد رايت مصارعهم وخبرت سرائرهم وانما بينك وبين الآخرة ستر الخمار
 وقد تقدمك سلفك وانت كذاك منتظر سفرًا ورحيلًا من دار مضت نضارتها
 وذهبت زهرتها فاحزم الناس فيها الراحل عنها لغيرها ويكون زاده التقوى
 وراع المسلمين ما استطعت واما الخنطة والشعر الذي وجدت بدمشق وكثرت
 في ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين واما الذهب والفضة ففيها الخمس والسهم
 واما اخنصامك انت وخالد في الصلح او القتال فانت الولي وصاحب الامر
 وان صلحك جرى على الحقيقة انما للروم وسلم اليهم ذلك . والسلام ورحمة الله
 وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين . واما هدية ابنة الملك هرقل فهديتها إلى ابيها
 بعد اسرها تفريط وقد كان يؤخذ في فديتها مالا كثيرًا يرجع به على الضعفاء من
 المسلمين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . اه . وعند وصول هذا الكتاب عمل
 أبو عبيدة بحسبه وسلك القوم كأمير المؤمنين وطاعوا قائدهم حق الطاعة

وسادوا دمشق وضربوا عليها الجزية
وعندما حُصِرَت دمشق كان بها كثير من اليهود قاتلوا مع الرومانيين
وكانوا يرمون العرب بالنبال والحجارة من اعالي الاسوار ولما فُتِحَت دمشق دانوا
للجزية كاهل مدينتهم وقد كان في دمشق اربعة كنائس مشهورة فما كان منها من
الجهة التي دخلها ابو عبيدة بقي للنصارى يقيمون فيه فرائضهم حسب الشروط
وما كان في الجهة التي دخلها خالد بالسيف اخذه المسلمون . ٥٠ (ملخصاً عن
الواقدي وغيره)

ولما فتح المسلمون مدن الشام اشترط الاهالي على انفسهم شروطاً وقد موها
لامير المؤمنين عمر بن الخطاب مع عبد الرحمن بن غنم وهي المذكورة في الكتاب
الآتية صورته وتعرف بشروط عمر وبالعهد العمرية :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعمر بن الخطاب امير المؤمنين من نصارى
مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرائنا واموالنا
واهلنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها دبراً ولا
كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نحبي منها ما كان في خطط المسلمين ولا نمنع
كنائسنا ان ينزلها احد من المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن
السبيل وان ننزل من مر من المسلمين ثلاث ليالٍ نطعمهم ولا نؤاري في كنائسنا
ولا في منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر
شركاً ولا ندعو اليه احداً ولا نمنع احداً من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان
اراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا اذا ارادوا الجلاس ولا ننشبههم في
شيء من لباسهم في قناسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا
نتكلم بكلامهم ولا نركب السروج ولا نتخذ السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا
نجمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر وان نجزم مقدم رؤوسنا وان
نازم زيننا حيثما كنا وان نشد زنا نير على اوساطنا ولا نظهر الصليب على كنائسنا
ولا نظهر صليبنا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في اسواقهم ولا نضرب

نواقيسنا في كنائسنا الاضر باخفيا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم . قال فلما اتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكتاب زاد فيه (ولا نضر باحد من المسلمين شرطنا لكم ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا شيئا ما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما حل من اهل المعاندة والشقاق) (وقد روى ذلك الامام البيهقي وغيره اهـ) (منقولاً عن انس الجليل والمستظرف) وقيل ان عمر امر اهل الذمة بغير ذلك (اهل الذمة النصاري وغيرهم ممن دفعوا الجزية) وهو ان يجوزوا نواصيهم وان يركبوا على الاكف عرضاً ولا يركبوا كما يركب المسلمون وان يشدوا الزناير والله اعلم . وكيف كان الحال فليست هذه الشروط شريعة لان شروط الفاتحين تتغير بتغير الزمان

وفي سنة ١٥ للهجرة قسم عمر الشام الى قسمين فاعطى ابا عبيدة من حوران الى حلب وما يليها واعطى الساحل لمعاوية بن ابي سفيان وامره بالخضوع لابي عبيدة . ودامت الحرب في بلاد سورية الى ان خضعت لسلطة المسلمين وفي سنة ١٨ هجرة فشا في الشام طاعون شديد فأت به ابو عبيدة وخلفه معاذ بن جبل الانصاري فأت ايضا بالطاعون فخلفه عمرو بن العاص وفي هذه السنة أت الامام عمر بلاد الشام وقسم مواريث الذين ماتوا ورجع الى المدينة ثم سار عمرو بن العاص الى مصر ليفتحها وفي سنة ٢٠ هـ توفي في دمشق بلال بن رباح مؤذن النبي (صلعم) فدفن في باب الصغير ولما توجه عمرو بن العاص لفتح مصر تولى بعده على دمشق معاوية بن ابي سفيان عامل الساحل وكان يجبي الاموال من البلاد وفي سنة ٢٢ هـ توفي عمر امير المؤمنين قتيلاً رحمه الله في اليوم الاخير من هذه السنة ودفن في اليوم الاول من سنة ٢٤ هـ بازاء النبي (صلعم) في المدينة المنورة وفي اليوم الثالث من موته خلفه عثمان فافر معاوية على الشام وكان معاوية يقيم في دمشق ويدبر مهامها وجعلها عاصمة ولايته فازداد عدد سكانها وعظم شأنها وكان العرب يتواردون اليها من جميع الانحاء وكان ما يرغمهم في سوريا وخصوصاً

دمشق كثرة اثمارها ومياهها وجودة تربتها وهوائها واتساع اراضيها ونضارتها ومع كل رغبة العرب فيها كانوا يقولون من خرج الى الشام نقص عمره وقتله نعيمه وفي سنة ٥٢٧ سار معاوية جنوده بامر الخليفة عثمان (ضه) الى قبرس فقتل وسبي من اهلها ثم صالحهم على ان يدفعوا كل سنة سبعة آلاف دينار جزية ورجع الى الشام وفي سنة ٥٣٣ تكلم جماعة في الكوفة ضد عثمان فامر عثمان بابعادهم الى الشام فاتوا دمشق وما لبثوا ان تطاولوا على معاوية وكادوا يشيرون فتنة فامر عثمان بارجاعهم من حيث اتوا فارجعوا وفي ١٨ ذي الحجة سنة ٥٣٥ قتل عثمان (رح) في مكة وخلفه علي (ضه) فثارت الفتن في الممالك الاسلامية ووقع الخلف بين الناس وابي ان يكون معاوية على الشام لتمكنه منها فوجه اليها بسهل بن خيف الانصاري ولما وصل تبوك لقيته خيل فقالوا من انت قال امير على الشام قالوا ان كان بعثك غير عثمان فارجع على عقبك قال وما سمعتم بها جرى اجابوا بلى ولا نقبل علينا الا معاوية فرجع سهل الى علي وبقي معاوية على الشام وعاصمة ولايته دمشق

وانقسم الملك بعد قتل عثمان الى قسمين فكان قوم يطالبون بدمه وقوم ينتصرون لعلي وكانت معاوية عامل دمشق رأس المتحزبين لعثمان وكان عمرو بن العاص في ايام عثمان عاملاً على مصر وعزل عنها فاني وسكن الشام ولما بلغه وفاة عثمان كتب الى معاوية بحضه على ان يشار بدم عثمان فبعث اليه معاوية ان يبائة فابي الا اذا اعطاه مصر طعمة فاجابه كما تروم فقال عمرو:

معاوي لا اعطيك ديني ولم ائل به منك ديناً فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصر افرج صفقة اخذت بها شيئاً يضر وينفع
وبلغ علياً ذلك فخرج من الكوفة بجنوده وعددها تسعون الف مقاتل فصار معاوية من دمشق للقائه بخمسة وثمانين الفا وكان ذلك سنة ٥٣٦ هـ فالتقى الجيشان بصفين وانقذت بينهما نار الوغى واقاموا بصفين مئة وعشرة ايام جرى بها تسعون واقعة قتل بها من الجانبين سبعون الفا وكانت الحرب سجالاً ثم كفوا

عن الحرب واتفق معاوية وعلي على التناضي الى الكتاب العزيز وعينايوماً لذلك
وحكماً من كل فريق فاجتمع الحكمان واتفقا على خلع علي ومعاوية وان يولي الناس
خلافهما من شاءوا وذهبوا ليصرّحا بحكمها امام الجمهور فصرّح اولاً ابو موسى
نائب علي وقال ايها الناس انا لم نر اصلاح لامر هذه الامة من امر قد اجتمع عليه
راي وراي عمرو وهو ان نخلع علياً ومعاوية واولا عليكم من رايتموه لهذا الامر
اهلاً . وثني . واقبل عمرو نائب معاوية وقال ان هذا قد قال ما سمعتم وخلع
صاحبه وانا اخلع صاحبه واثبت صاحبي فانه ولي عثمان والطالب بدمي واحق
الناس بهقامي فقال له ابو موسى لا وفلك الله غدرت وفجرت وركب ابو موسى
ولحق بمكة حياءً من الناس وانصرف عمرو واهل الشام الى معاوية وسلموا
عليه بالخلافة ومن ذلك الوقت اخذ امر علي بالضعف وامر معاوية بالقوة
وجرى هذا سنة ٢٧ هجرية

نبذة من تاريخ الدولة الاموية

لحسن اقليم سوريا وكثرة خصبه وغزارة مياهه وحسن هوائه وجودة تربته
لم يقض عليه بالخراب بعد ان جرى فيه من الدم انهيار بل ظل عامراً مسكوناً
واناه العرب افواجاً افواجاً فازداد عدد سكانه ورجع كما كان في ايام تولى
الرومان عليه كأن لم يحدث به من التغيير الا نقل حكمته لايدي قوم اعدل
من اسلافهم وانتشار الاسلام في انجائه

ولفضل دمشق عما سواها من مدن سوريا وحسن موقعها الطبيعي والتجاري
فازت باعظم نصيب من رفعة الشأن فعوضاً من ان تكون تابعة لغيرها اصبحت
عاصمة مملكة عظيمة وهي مملكة المسلمين الاولى وقد اعنتي بها الامويون فجعلوها من
افخر المدن واعلاها قدراً فرجعت الى عصر الضياء بعد ان شابت ذوائبها
بتقلبات الزمان

اما واضع اسس الدولة الاموية في دمشق فهو معاوية بن ابي سفيان المذكور

آنفا وما لبث ان سلم عليه اهل الشام بالخلافة حتى وضع نصب عينيه اخضاع جميع الممالك الاسلامية فجهز عمرو بن العاص سنة ٥٢٨ وارساله الى مصر فحل عليها وفتحها وكان علي على العراق فجعل معاوية يرسل اليه المغازي وينهب ويخرب ويسبي حتى اقلق الاهالي وسلب راحتهم . وفي سنة ٤٠ سير بشر بن ارطه في عسكر الى الحجاز فاتي بشر المدينة المنورة ودخلها واستكره الناس على البيعة لمعاوية بعد ان سفك فيها الدماء ثم سار الى اليمن وغزاها وذبح الوفا من اهلها . وفي اثناء ذلك اتفق ثلاثة من العرب على قتل معاوية والامام علي وعمرو بن العاص لتستريح الامة وانفقوا ان يحملوا في ليلة واحدة على من اضرروا لهم السوء وهي ليلة ١٧ من رمضان سنة ٥٤٠ فن ذهب الى علي تمكن منه وقتله والذي قصد معاوية اتى دمشق وضربه فخرجه فالتقى القبض عليه واتي به الى امام معاوية فسأله معاوية ما فعلت فقال جئتك مبشرا بقتل علي فقال معاوية وتحاول قتلي وامر به فقتلوه واما الذي ذهب لقتل عمرو بن العاص فوصل الى مصر وقتل غير عمرو غاطا

وبعد مقتل الامام علي (رح) بايع قومه ابنه الحسن فعلم بذلك معاوية وجهز جيشا لمحاربتهم فسار الحسن للقاءه باربعين الف مقاتل على انه وقع في جيشه خلف وسرت فيه فتنة فانصل خبرها به فقال لا سبيل لنا على معاوية وانا لعالمون عجزنا في محاربتهم ثم ارسل لمعاوية كتابا بالتسليم تحت شروط فقبل معاوية الشروط الا قليلا منها . ثم سار الى الكوفة فبايعه اهلها في ربيع الاول سنة ٥٤١ وفي سنة ٥٤٨ وجه عساكره لمحاربة القسطنطينية فرجعوا خائبين وقد اهلكت الحراريق الرومانية عددا وافرا منهم وفي سنة ٥٦ دعا الناس لمبايعة ابنه يزيد بولاية العهد فبايعه اهل الشام والعراق على ان اهل الحجاز ابوا ذلك فسار اليهم بالجيوش واجبرهم على المبايعة وكر راجعا وفي رجب سنة ٦٠ توفي ودُفن في باب الصغير وقبره معروف وخلفه ابنه يزيد .
وقد اسلم معاوية مع ابيه سنة الفتح واستكتبه النبي واستعمله عمر على الشام

اربع سنين من خلافته واقره عثمان اثنتي عشرة سنة مدة خلافته واستولى بعدها على الشام مدة اربع سنين فكانت مدة امارته فيها ٢٠ سنة وفي سنة ٤١ بايعه الناس بالخلافة التامة فصار امير الممالك الاسلامية كلها وبقي خليفة الى حين موته وكان حليماً حازماً عالماً بسياسة الملك . وقد فتح حروباً ومغازي كثيرة يطول شرحها في سنة ٦٠ هـ لما استولى يزيد على عرش دمشق عزم اهل الكوفة على خلع طاعته وارسلوا ودعوا بالحسين ليبايعوه بالخلافة فانفذ الحسين اليهم بن يبايعوه نيابة عنه فاغضب الامر يزيد واشعل غيظه فارسل وقاتل الحسين وقومه في نواحي بغداد فتغلب جيشه وقتل الحسين وأتى بالنساء والاطفال سبايا الى دمشق فارجمهم يزيد الى المدينة المنورة وفي سنة ٦٢ هـ اتفق اهل المدينة على خلع فوجه لهم من دمشق قوماً فتغلب عليهم واعادهم الى طاعته وفي ١٤ ربيع الاول سنة ٦٤ كان يزيد بجوارين من اعمال حمص فد همت المدينة بها فنقل الى دمشق ودُفن فيها وكانت مدة خلافته اربع سنين وتسعة اشهر

وبويع بعد يزيد ابنه معاوية الثاني وكان ضعيف العزم والراي لا يقدر على ادارة المملكة فتغنى عن الخلافة ومات بعد جالوسه بثلاثة اشهر

ولما مات معاوية قوي عبد الله بن الزبير في مكة فبايعه اهلها واهل مصر واكثر الامصار وبعض اهل الشام وكاد يتم له امر الخلافة فاقام على الشام الضحاك نائباً عنه وكان مروان بن الحكم وهو الرابع من خلفاء بني امية بالشام قال اليه اليمانية ومال الفيسية الى الضحاك وجرت مشاحنات كثيرة بين الحزبين والتقييا في مرج راهط بغرطة دمشق واقتتلا فانكسر قوم الضحاك فدخل مروان دمشق ونزل بدار معاوية فانه الناس ومال اليه عمال الشام واستقر على عرش دمشق وفي الثالث من رمضان سنة ٦٥ خنفته زوجته بنت يزيد بن معاوية ودُفن في دمشق وكانت مدة خلافته تسعة اشهر وثمانية عشر يوماً

وفي يوم وفاة مروان بويع ابنه عبد الملك وكان عالي الهمة استرجع العراق والحجاز واليمن وضرب النقود وهو اول من ضرب السكة في الاسلام توفي في

دمشق في منتصف شوال سنة ٨٦ وله من العمر ستون سنة وكانت مدة خلافته منذ قتل ابن الزبير واجتمع له الناس ١٢ سنة وأربعة أشهر وكان حازماً عاقلاً فقيهاً عالماً

ويوم توفي عبد الملك بويغ ابنة الوليد بالخلافة وكان مغرمًا بالبناء فامر ببناء جامع دمشق (هو الجامع الأموي المعروف) وإناءه بالصنائع من بلاد الروم وبلاد الإسلام فأنى جامعاً لا مثيل له كلفت نفقته على ما قيل ألف ألف ريال قال أبو الفداء وكان بجانب الجامع كنيسة سلمت للنصارى بسبب أنها في نصف البلد الذي أخذ بالصلىح يوم الفتح وكانت تُعرف بكنيسة مار يوحنا فهدمها الوليد وأدخلها في الجامع . انتهى . وقال المسعودي في مروج الذهب وفي سنة ٨٩ هجرية ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ومسجد الرسول (صاعم) في المدينة فانفق عليها الأموال الجزيلة وكان المتولي للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز قال . وحكى عثمان بن مرة الخولاني قال لما ابتدأ الوليد ببناء المسجد بدمشق وجد في حائط المسجد لوحاً من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدرُوا على قراءته فوجهه إلى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب من أيام سليمان فقرأ فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم أوعايت ما بقي من يسير أهلك لزهدي في ما بقي من طول أملك وقصرت عن رغبتك وحبيلك وإيما تُلقِي قدمك إذا زلت بك القدم وإسلك أهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعي فلا تجاب فلا انت إلى أهلك عائد ولا في شغلك زائد فاغنم الحياة قبل الموت والقوت قبل الفوت قبل أن يؤخذ منك بالكظم وبجمال بينك وبين العمل . وكتب في أيام سليمان بن داود . اه) قال ولما تم بناء المسجد أمر الوليد بأن يكتب بالذهب على اللازورد على حائط المسجد ربنا الله لا نعبد إلا الله أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي بجانب عبد الله الوليد أمير المؤمنين في سنة سبع وثمانين (كذا ذكره المسعودي في مروج الذهب)

وفي جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ توفي الوليد بدمشق ودُفِنَ في مقبرة باب الصغير وكانت مدة خلافته تسع سنين وسبعة اشهر وقد بنى ابنة كثيرة في دمشق وغيرها

ويوم توفي الوليد كان اخوه سليمان بالرملة فبلغه خبر اخيه فقصد دمشق وبلغها بسبعة ايام فبوع الخلافة واحسن السيرة بالرعية واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيراً وسنة ٩٨ خرج سليمان بجنوده لغزو بلاد الروم فدخل بلادهم ووجه اخاه مسالمة لحرب القسطنطينية فحل عليها وحصرها مدة على غير طائل فرجع عنها وفي صفر سنة ٩٩ توفي سليمان بلباق من نواحي قنسرين ومدة خلافته سنتان وثمانية اشهر وقبل موته اوصى بالخلافة لعمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف

وفي صفر سنة ٩٩ بوع عمر بالخلافة وتوفي سنة ١٠١ هـ بدبر سمعان نواحي معرة النعمان فبوع بعده يزيد الثاني بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وكانت مبايعته في شهر رجب بعهد من سليمان حيث اوصى ان يزيد يكون خليفة لعمر وبعد ان استقر يزيد على عرش الخلافة في دمشق اربع سنين وشهراً مات اثر موت حبابة محبوبته. قبل ان يزيد خرج بحبابة للنازه في بيت راس من قرى وادي بردى وكانت تغني له وهو مطروب من غنائها فاتوه برمان من بيت راس مشهور بكبر حبه فشرقت حبابة حبة منه فانت قبل انتصاف النهار فراح حزينا عليها ولحقها بعد سبعة عشر يوماً كدًا وحسرة. ودُفِنَ بدمشق

ثم بوع هشام وكان في نواحي الرصافة فاناها البريد بنجر مبايعته فأتى دمشق ثم رجع الى الرصافة وفي ٦ ربيع الأول سنة ١٢٥ توفي ودُفِنَ بالرصافة وكانت مدة خلافته ١٩ سنة وتسعة اشهر وفي ايامه عصت الكوفة بواسطة زيد بن الحسين فتغلب هشام عليها وكان من المشهورين بالسياسة بين بني أمية وكان حازماً سديد الرأي عزيز العقل مات عن عدة بنين منهم عبد الرحمن مؤسس الدولة الاندلسية في اسبانيا

ثم تولى الخلافة الوليد الثاني بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وكان مولعاً بشرب الخمر كريماً سخياً وفي السنة الثانية من خلافته صار وباة في دمشق وهو خارجها فخرج عامله بها الى قطنا فعزل يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك موافق سرية لخلعه فاجتمع له قوم فوثق بهم وقصد دمشق متخفياً فدخلها ليلاً فبايعه اكثر اهلها واجتمع اليه الجند وغيرهم ثم جهز جيشاً لمحاربة الوليد بن يزيد تحت قيادة عامل الوليد نفسه فعلم الوليد وهو بالاعزف من عمنان فأتى بجنوده الى البصرة الى قصر النعمان بن بشير وهناك اقبل جيش الوليد وجيش يزيد فانكسر جيش الوليد وقتل الوليد نفسه ففُطع راسه ورفُع على راس سنان واتي به الى يزيد فامر ان يُطاف به في دمشق وكان قتل الوليد في ٢٨ جمادى الآخرة ومدة خلافته سنة واحدة وثلاثة اشهر

فاستقل يزيد بالخلافة وكان يلقب بالناقص بويغ في دمشق في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٦ هـ فظهر اهل حمص العصيان ونهبوا والي مدنتهم وساروا قاصدين دمشق فارسل يزيد جيشاً لردعهم فالتقى العسكران قرب ثنية العقاب فانكسر جيش حمص فرجعت المدينة خاضعة ليزيد ثم عصى اهل فلسطين فخاربهم واخضعهم واخذ البيعة منهم في طبرية ثم عصاه اهل خراسان وفي النهاية اظهر له الخلف مروان بن محمد وعمل على خلعه وفي ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٦ توفي في دمشق فقام بالامر بعده اخوه ابراهيم اربعة اشهر بدون ان يقر قرار الخلافة عليه

وسنة ١٢٧ سار مروان بن محمد بن مروان بن الحكم امير ديار الجزيرة الى الشام لخلع ابراهيم بن الوليد ولما وصل الى قنسرين اتفق مع اهلها فساروا معه ووصل الى حمص فاتفق مع اهلها فساروا معه بعد ان بايعوه ولما اقترب من دمشق بعث ابراهيم لمقاتلته بمئة وعشرين الف مقاتل تحت قيادة سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مع مروان ٨٠ الف مقاتل فاقتتل الجيشان من الضحى الى العصر فانكسر جيش سليمان وانهزم ودخل دمشق ولما عرف ابراهيم

بانكسار جنوده هرب واخفى فذهب سليمان بن هشام قائد الجيوش بيت المال وقسمه على اصحابه وهرب من المدينة فأتى مروان اليها ودخلها واستقر بها ومروان هذا هو ابن محمد بن مروان بن الحكم بويغ بالخلافة يوم الاثنين رابع عشر شهر صفر سنة ١٢٧ وهو الرابع عشر من خلفاء بني امية وآخرهم فلما استقر له الحال في دمشق رجع الى منزله بجران وفي ايامه تضعفت احوال المملكة وفسدت ادارتها واخذت نظامها فآل الامر الى سقوطها التام . ففي سنة ولاية مروان عصاه اهل حمص فسار اليهم وكسره وخرب جانباً من سور مد ينتهم ثم عصاه اهل غوطة دمشق وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وحصروا دمشق وضيقوا عليها فارسل لردعهم عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة ابن الوردى فلما وصل الى دمشق رفع عنها الحصار وشتت شمل اهل الغوطة ونهبهم واحرق المنق وغيرها من القرى . ثم عصاه اهل فلسطين فحل عليهم ابن الوردى وشتت شملهم . ثم سار مروان الى فرقيسيا فخلعة سليمان بن هشام بن عبد الملك واجتمع لسليمان من اهل الشام ٧٠ ألف مقاتل فعسكر بهم بنفسه بن فسار اليه مروان واقتتلا فانكسر سليمان واتى حمص فال اليه اهلها وعصوا مروان فأتاهم مروان وضيق عليهم فاستقاموا اليه فامنهم

وكان بنو العباس في بلاد خراسان يثيرون الفتنة ضد الامويين فال اليهم الناس هناك فتمكنوا في تلك الاطراف وتغلبوا على عمال مروان ثم امتدوا الى الكوفة فتمكنوا منها فقتلوا شوكتهم ومال اليهم الناس وفضلوهم عن سواهم . وفي سنة ١٢٢ بايع اهل تلك البلاد ابا العباس السفاح بالخلافة وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس

ولما قوي امر العباسيين جهز مروان جيشاً عدده مئة وعشرون ألف مقاتل وسار الى الزاب فائتته عساكر السفاح وعددها عشرون ألف مقاتل فقطع مروان الزاب بجندة واجتمع بعسكر السفاح واقتتلا فوقع خلل وخلف في عسكر مروان فالتزم ان ينهزم فقتل وغرق كثير من عسكره . وخسر مهمات

وافقه تقوى بها جيش السفاج وكان ذلك في جادى الآخرة سنة ١٢٢ ثم سار مروان الى الموصل مكسوراً فانكسروا اهلها فرحل الى حران فتبعه عبد الله بن علي قائد عساكر السفاج فانهم زعم مروان من حران الى حمص ثم الى دمشق واذ لم يقدر ان يستقر بها رحل الى فلسطين فأتى عبد الله الى دمشق وحاصرها اشد حصار وضيق عليها وحاربها باتصال وفي ٥ رمضان سنة ١٢٢ تمكن منها وفتحها عنوة وقتل كثيراً من اهلها من جملة الوليد والى المدينة ثم طارد قوم السفاج مروان وكان يهرب منهم الى ان ادركوه في بصير ببلاد الصعيد فقطعوا راسه في ٢ ذي الحجة سنة ١٢٢ وارساوه الى السفاج . ولما سقطت دمشق بيد السفاج تمكن من بني امية وقتل منهم خلفاء كثيراً ولم يفته الا قلائل منهم عبد الرحمن بن مروان مؤسس الدولة الاندلسية . ثم اظهر اهلها الى دمشق العصيان على السفاج فاناهم قائد جنده واعادهم الى الطاعة وقد لحق بدمشق خراب عظيم بهك الحادثة وتهدم جانب من مبانيها النفيسة التي اقامها الامويون واخذ امرها في الانحطاط وقد تقدمت دمشق في زمن الامويين غاية التقدم واقيم بها من الابنية الجميلة ما يستحق الاعتبار وحصل النصارى على الراحة في ايام بعض خلفائها ودخل بعضهم خدمتها ورفقوا اعظم المراتب وارفعوها ومن الذين تقدموا القديس يوحنا الدمشقي ووالده . وكانت الصنائع ناجحة والتجارة رائجة لموافقة مركز دمشق فانها ورثت تدمر واضحت مقصداً للناس من جميع انحاء الممالك الاسلامية الممتدة وكانت مدة الدولة الاموية بدمشق منذ يوم بويج معاوية بالخلافة الى ان سقطت ٩١ سنة وعددها من توليها منهم ١٤ خليفة اولهم معاوية وآخرهم مروان الثاني

فصل

في تاريخ دمشق من حين استولى عليها العباسيون الى ان خضعت للسلطان

صلاح الدين الايوبي

لما فتح السفاج دمشق جعلها مركز معاملة بعد ان كانت عاصمة مملكة

عظيمة ممتدة في اسيا وافريقيا امتدادا شاسعا واول وال وضعه عليها العباسيون هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح فظل هذا عاملا على دمشق الى ان مات السفاح وخلفه المنصور فادعى عبد الله الخلافة على الشام فارسل اليه المنصور جيشا وتغلب عليه واعتقله ووضع على الشام غيره

وسنة ١٧٦ هـ ثارت فتنة عظيمة في دمشق بين المصرية واليمينية دامت اربع سنين وسنة ١٨٠ بعث الرشيد بجعفر بن يحيى الى دمشق من اجل هذه الفتنة فانها وسكن الثائرين ورجع . وبعد ذلك ضمت الشام الى ولاية مصر . وسنة ٢١٥ وسنة ٢١٦ هـ حمل الخليفة المأمون على الروم دفعته فمر بدمشق واقام بها اياما

وسنة ٢٢٧ هـ وفي سنة وفاة المعتصم وخلافة ابنه الواثق ثارت القيسية بدمشق وعثوا وافسدوا . فاناهم رجا بن ايوب بامر الخليفة الواثق وتغلب عليهم وقتل منهم ألفا وخمس مئة وسكن الفتنة ورجع . وفي ذي القعدة سنة ٢٤٢ هـ سار الخليفة المتوكل من بغداد نحو دمشق وفي صفر سنة ٢٤٤ وصل اليها ودخلها وعزم على الإقامة فيها ونقل دواوين الملك اليها فقال يزيد بن محمد المهلبى اظن الشام يشمت بالعراق اذا عزم الامام على انطلاق فان تدع العراق وساكبه فقد تبكى المنيعة بالطلاق وبعد ان لبث الخليفة المتوكل مدة بدمشق استوبأها واستثقل ماها فرحل عنها وكان مقامه بها شهرين واياما

وسنة ٢٥٢ هـ في ايام الخليفة المعتز ولي عيسى بن الشيخ على الرملة ولما رأى فتنة الاتراك بالعراق سولت له نفسه الاستقلال في سوريا فتغلب على دمشق واعمالها وقطع ما كان يحمل من الشام الى الخليفة وبقي على الشام الى خلافة المعتمد على الله فعزل سنة ٢٥٦ هـ وولي عوضا عنه اماجور فهذا استولى على الشام بعد ان جرى بينه وبين اصحاب عيسى اشد قتال وسنة ٢٦٤ هـ توفي وكان احمد بن طولون قد تقوى في مصر وخلع طاعة العباسيين فطبع في الاستيلاء على

بلاد الشام فسار بجيشه واتي دمشق واستولى عليها ثم استولى على حمص وحماه وحلب وفتح انطاكية عنوة وسار الى طرطوس فاشند بها الغلاء فرجع الى الشام فصارت دمشق وسورية ملكاً للطلولونيين الذين استبدوا في مصر

وسنة ٢٧٠ هـ تولى خمارويه عوضاً عن ابيه احمد بن طولون فانتفضت عليه دمشق فبعث اليها بعساكره فعادت الى طاعته ثم انت عساكر بغداد اطرد خمارويه وكانت تحت قيادة المعتضد فدخل جند المعتضد دمشق في شعبان سنة ٢٧١ هـ وتبع المعتضد خمارويه الى الرملة وكسره ثم ان خمارويه لم يسمع جنوده وكرّ على المعتضد فكسره فنهزم المعتضد ورجع الى دمشق فلم يقبله اهله فرحل عنها فرجعت الى خمارويه الطولوني . سنة ٢٨١ هـ سار طنجح والي دمشق من قبل الطولونيين بجيش لمحاربة الروم ففتح في بلادهم وسي وعاد الى دمشق وكانت مقرّاً لخمارويه سنة ٢٨٢ هـ قتل خمارويه بن احمد بن طولون في دمشق قتله خدمه وبايعوا ابنه جيشاً وكان صبيّاً سنة ٢٨٢ هـ خلع طنجح سيده جيشاً لصباه بعد مبايعته بتسعة اشهر وبايع مكانه اخاه هرون بن خمارويه وبقي طنجح حاكماً في دمشق سنة ٢٨٤ هـ اخذ حال هرون في مصر وانحل نظام ممالكهم فاستبد طنجح بدمشق

وسنة ٢٨٩ هـ حمل القرامطة على الشام فكانت حروب بينهم وبين طنجح قال ابن خلدون . وانكسر طنجح في كل حروبه مع القرامطة وسنة ٢٩٠ هـ تقوى القرامطة على دمشق فصالحهم اهلهما على مال دفعوه لهم فانصرفوا عنهم وسنة ٢٩٢ هـ ارسل الخليفة المكنفي جيشاً مع محمد بن سليمان الى دمشق فاستولى عليها ثم سارت عساكر المكنفي الى هرون في مصر فقتل هرون . وظهر في تلك السنة الخلفي في مصر وقويت شوكته فذهب اليه احمد بن كيغلق عامل دمشق فطعنت القرامطة بدمشق لغياب عاملها فقصدوها ودخلوها ونهبوا وقتلوا بها خلقاً كثيراً ثم ساروا الى طبرية ونهبوها وساروا عنها قاصدين جهات الكوفة . سنة ٢١٨ هـ تولى الاخشيدي دمشق بامر الخليفة الراضي وكان احمد بن كيغلق على مصر فعزل

فصارت مصر والشام للاخشيد وصار الاخشيدي يقيم في مصر ويقيم على دمشق نائباً من قبله . وسنة ٢٢٧ استولى ابن رائق على الشام وكان معانداً للخليفة في بغداد فاخضع دمشق وحمص وطرد بدران نائب الاخشيدي وسار حتى بلغ العريش فخرج اليه الاخشيدي وجرى بينهما قتال شديد فانكسر ابن رائق الى دمشق ثم جهز الاخشيدي جيشاً وارسله لمحاربة ابن رائق فلاقاه ابن رائق واقتتلا فانهزم عسكر الاخشيدي وقتل اخوه فارسل ابن رائق يعزي الاخشيدي باخيه ويقول له ان اخاك لم يقتل بامرئ وهوذا ابني مزاحم مرسله لك فاقتله باخيك ان شئت فرق الاخشيدي وخلع على مزاحم واعاده لابيهِ فانتهى الخلاف واستقرت الشام لمحمد بن رائق ومصر للاخشيد . وسنة ٢٢٩ سار ابن رائق الى بغداد واستخلف عنه بدمشق ابا الحسن بن مقاتل . وفي ٢٢ رجب سنة ٢٣٠ قتل ابن رائق فبلغ الاخشيدي قتله فسار الى دمشق واستولى عليها ووضع فيها نائباً ورجع الى مصر . وسنة ٢٣٢ استولى سيف الدولة على حلب وحمص وسار الى دمشق والقي عليها الحصار فلم يتمكن منها فرجع عنها وكان الاخشيدي قد خرج لمحاربة سيف الدولة لما سمع بقدمه على دمشق فالتقىا بقتلهم واقتتلا فلم يظفر احدهما بالآخر فذهب الاخشيدي الى دمشق ورجع سيف الدولة الى حلب . وسنة ٢٣٤ مات الاخشيدي في دمشق فولى بعده ابنه ابو القاسم محمود . واذ كان ابو القاسم صغيراً قام بالامر كافور الاسود خادم الاخشيدي وسار كافور بعد موت سيده الى مصر فعرف سيف الدولة بذلك فسار الى دمشق وملكها واقام بها . وخرج يوماً للتنزه في غوطتها ومعه الشريف العقيقي فقال له سيف الدولة ما تصلح هذه الغوطة الا لرجل واحد فاجابه العقيقي هي لا قوم كثيري العدد فقال سيف الدولة لو اخذتها القوانين السلطانية لتبراوا منها فاعلم العقيقي اهل دمشق بذلك فكرهوا سيف الدولة وكانوا كافوراً يستدعونهم فجاءهم فاخرجوا سيف الدولة من ديارهم فرحل الى حلب واما كافور فرجع الى مصر واقام على دمشق بدران الاخشيدي فاقام فيها بدرسنة وخلفه ابو المظفر بن طغج . وسنة ٢٣٩ توفي

شهد الغازالي العلامة المشهور بدمشق بعد ان لبث بها مدة
وبقيت سورية تابعة للعائلة الاخشيدية في مصر الى ان استقرت لكافور
عبد الاخشيد اما حلب وجهاتها فلم ترجع لحكومة مصر بعد ان اخذها سيف
الدولة وفي ٢٠ جمادى الاولى سنة ٢٥٧ مات كافور في مصر وكان يخطب
له على المنابر في مكة والحجاز والديار المصرية والشامية خلا حلب وتوابعها
وعاصر كافورا ابو الطيب المتنبي وله فيه مدائح كثيرة وهجو شديد فمن مدائح له
قصيدته التي مطلعها

كفى بك داع ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا
وقصيدته التي مطلعها
من الجآذر في زي الاعارب
حمر الحلي والمطايا والجلايب
ومن هجوه له قوله

من اية الطرق ياتي مثلك الكرم ابن المهاجم يا كافور والجمل
جاز الاولى ملكك كفاك قدرهم فعرفوا بك ان الكلب فوقهم
وبعد موت كافور ولي الامر ابو الفوارس احمد بن علي بن الاخشيد . وفي
السنة الثانية من ولايته ارسل المعز العلوي جيشا جرارا الى الديار المصرية تحت
قيادة جوهر غلام الله منصور فاستولى عليها وفي شوال اقيمت الدعوة للمعز وقوي
جوهري مصر ولما راق له حالها سير جيشا كبيرا مع جعفر بن قلاج الى الشام فبلغ الرملة
واستولى عليها بعد حروب ثم رحل الى طبرية فوجد اهلها مقيمين الدعوة للمعز
فرحل عنها الى دمشق فقاتله اهلها فظفروا به وملك المدينة ونهب بعضها واقام
الخطبة للمعز لدن الله العلوي وقطع الخطبة العباسية وكان ذلك في محرم سنة
٢٥٩ وعند اقامة الخطبة العلوية حدثت فتنة بين اهلها الى دمشق وجعفر القائد
العلوي ووقعت بينها حروب عنيفة وقطع اهلها الخطبة العلوية واخيرا عاد
جعفر واستظهر على الدماشقة واقام الخطبة لسيدته واخضع المدينة حق الخضوع
للمعز لدن الله العلوي وسنة ٢٦٠ وصل الفرامطة الى دمشق وبلغ خبرهم جعفر

نائب المعز فاستهان بهم فوقعوا عليهم بخارج دمشق وقتلوه وملكوا المدينة وامنوا
اهلها ثم ساروا الى الرملة وملكوها كدمشق فانضم اليهم جماعة من الاخشيدية
وقصدوا مصرًا واقتتلوا مع المغاربة فانقصر اولاً القرامطة ثم المغاربة فرجع
القرامطة الى الشام وكبيرهم الحسن بن احمد بن بهرام . وسنة ٣٦٣ هجرية سار
القرامطة نحو مصر فتغلب عليهم المعز لد بن الله فرحلوا عن الشام فارسل المعز
القائد ظالم بن موهوب العقيلي الى دمشق فدخلها وعظم حاله بها وكثرت
جموعه وما لبث الا ووقعت الفتن في دمشق بين المغاربة وعاملهم المذكور
ودامت الى سنة ٣٦٤ فراق الحال وولي على دمشق ريان الخادم . وسنة
٣٦٥ سار افتكين احد موالي معز الدولة الى حمص ثم الى دمشق وانفق مع اهلها
فاخرجوا اميرهم ريان وفي شهر شعبان قطعوا خطبة المعز لد بن الله واستولى افتكين
على دمشق فعزم المعز العلوي على قتال افتكين فادركته المنية وتولى ابنه العزيز
عوضاً عنه فجهز القائد جوهرًا الى الشام فوصل جوهر الى دمشق وحصر افتكين
بها فارسل افتكين الى القرامطة ليعينوه فساروا الى دمشق ولما اقتربوا منها
رحل عنها جوهر راجعاً الى مصر فتأثر افتكين والقرامطة وانضم اليهما خلق
كثير فادركوه نواحي الرملة فرأى ضعفه فدخل عسقلان فحصره بها واشتد
الجوع بالمدينة فبذل جوهر لافتكين مالا جزيلاً فرحل افتكين عنه وسار جوهر
الى مصر واعلم العزيز بما كان فخرج العزيز الى الحرب وسار الى الشام فوصل
الى ظاهر الرملة فاناها افتكين والقرامطة ودارت بينهم رحى الحرب فانكسر
افتكين ومن معه وأهل العزيز فيهم القتل والاسر وجعل لمن يحضر اليه افتكين
مئة الف دينار وهرب افتكين عقب الحاربة حتى نزل بيت مفرج بن دغثل
فامسكه مفرج واخبر العزيز وقبض منه المال ومن ثم سلم افتكين لرسول العزيز
اما العزيز فاكرم افتكين واطلق له اسراه واجزل نعمة واخذه معه الى مصر
وظل بها في نعمة العزيز حتى مات
وبعد ان اخذ افتكين الى مصر تغلب على الشام قسام احد اتباع افتكين وصار

يخطب للعزير فاقنه وفي سنة ٢٦٨ اتى ابو تغلب من الموصل وكان حاكما ديار
مضر والموصل وحاول فتح دمشق فقاتله قسام ومنعه عنها فصار ابو تغلب الى
الرملة فلقية الفضل قائد العزيز فقتل من معه واسر النساء وقطع راسه وارسله
الى العزيز في مصر . ثم عصت دمشق وبلاد الشام على العزيز فارسل العزيز
جيشا مع بكتكين لارجاع الشام لطاعته فاستولى بكتكين اولاً على فلسطين ثم
سار الى دمشق فقاتله حاكمها قسام فتغلب بكتكين عليه واخذ اسيراً وارسله الى
مصر وملك بكتكين دمشق واستقر بها فزالت الفتن

وسنة ٢٧٢ كتب بكجور والي حمص (من قبل ابي المعالي سعد الدين
صاحب حلب) الى العزيز في مصر ليولي دمشق فاجابه العزيز الى ذلك وكتب
لعماميه بكتكين ان يسلم دمشق لبكجور ويحضر الى مصر فسلمها له في رجب ورحل
فاستقر بكجور على دمشق واساء السيرة فيها فضجروا اهلها وكرهوه وتشكوا منه فسمع
العزيز تشكيهم . وفي سنة ٢٧٨ ارسل قائده منير الخادم بجيش الى دمشق لي عزل
عنها بكجور ويتولاهما ولما قرب منها خرج اليه بكجور وحاربه عند داريا فانكسر بكجور
ونفق وطلب الامان فامنه منير ورحل بكجور عن دمشق فاستولى عليها منير
واستقر على امارتها واحسن السيرة في اهلها . وسنة ٢٨٦ توفي العزيز بالله صاحب
مصر وفي ايامه كانت راحة تامة للنصارى واليهود وقد استخدمهم وقد مهمهم في
المناصب وولي الامر بعده ابنه المنصور ابو علي الحاكم بامر الله بعهد من والده وكان
عمره يوم ولي احدى عشرة سنة وقام بتدبير ملكه خادماً ابيه ارجوان وكان خصياً
ابيض وعالماً بامور السياسة فضبط الملك وحفظه لسيدته حتى كبر فاستلمه وفي ايام
الحاكم لم يحدث في دمشق ما يستحق الذكر وكان الحاكم جواداً بالمال سفاكاً للدماء
ادعى الالهية وتوغل في الكفر وكان تارة يتظاهر بغيرة شديدة على دين الاسلام
وطوراً يقتل المسلمين ويقطع الحج ويظلم الناس وادعى علم الغيب واستخدم العواهر
ليدخل بيوت الناس ويأتمنه باخبارهم وسنة ٢٩٥ قام ابوركن وادعى انه من
بني امية والخلافة له ودعا الناس الى نفسه فاجابوه لكرههم الحاكم فظفر به

الحاكم بواسطة قائده فضل بعد حروب انتصر في اولها ابوركوة وقتله وحسب ذلك من معجزاته وفي شهر ربيع الآخر سنة ٤٠٢ صرح علماء بغداد وافاضها علناً بكفر الحاكم . وسنة ٤١١ اتفقت اخت الحاكم ست الملك مع قائد من قواد اخيهما كان اتهم بها فقتلت اخاها وخلصت الناس من شره فخلفه ابنه الظاهر لاعزاز دين الله وكان ذلك في ٢ شوال سنة ٤١١ وكان حسن السيرة منصفاً بالرعية وظلت دمشق تابعة له وفي نصف شعبان سنة ٤٢٧ خلفه ابنه ابوتيم معد ولقب بالمستنصر بالله وفي براءة حكم المستنصر ارسل صاحب حلب شبل الدولة قائد الذيربي على بلاد الشام فلما واستقر بدمشق

وسنة ٤٣٣ امر المستنصر العلوي اهل دمشق بالخروج عن طاعة الذيربي فاجابوه وطردوا الذيربي فسار الى حماه فعمصاه اهلها فرحل عنهم الى حلب . وفي هذه السنة كثرت مغازي البدو في بلاد الشام وفقدت امنية الطرقات وسدت المسالك . وسنة ٤٥٥ زلزلت بلاد الشام اشد زلزال فخرّب كثير من بلدانها ومات تحت الردم ما لا يحصى من اهلها وفي نهاية الزلزلة ارسل المستنصر امير الجيوش بدران والياً على دمشق فثار به الجند ففارقها . وسنة ٤٦١ ثارت فتنة بين المغاربة والمشاركة فضربت دار بجوار الجامع الاموي بالنار فانصارت النار بالجامع وعجز الناس عن اطفائها فاحترق الجامع ودمرت محاسنه وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة

وسنة ٤٦٣ هـ فتح السلطان البارسلان الثوري ديار بكر وحلب ثم سار احد امراء الب وهو يوسف بن ايتي الخوارزمي وفتح القدس والرملة ثم اتى دمشق وحصرها وضيق عليها بدون ان يتمكن منها فرحل عنها خائباً سنة ٤٦٧ . وسنة ٤٦٨ عاودها وقت الحصاد وضيق عليها فسلمها اهلها له فأكبها في اوائل ذي الحجة وقطع الخطبة العلوية فيها واقام الخطبة العباسية في هـ ذي النعفة حتى لم يخطب بها للعلويين فيما بعد فصارت دمشق للسلاجقة

وسنة ٤٦٩ خرج اتسر من دمشق لمحاربة مصر فعاد مهزوماً وفي السنة

التالية طمع العلويون في استرجاع دمشق فارسلوا عسكرياً لمحاربتهما وفتحها
فانجذ اهلهما لتش صاحب حلب وهزم عسكرياً المصريين ثم عاد العلويون وارسلوا
جنودهم اليها سنة ٤٧٨ مع بدر الجمالي فحصرها وضيق عليها وتش صاحب
حلب فيها يدافع عنها وبعد ان طال الحصار على غير طائل ارتد عنها بدر
راجعاً الى مصر وكانت حلب عصت تشاً فصار اليها بعسكره وفتحها وكر راجعاً
الى دمشق واستقر بها وكان ملك شاه اخو تش قد عظم امره وتسلط على كل
الممالك الاسلامية وخطب له على منابرها ولما مات خافه تش وخطب له على
المنابر واقام والياً على دمشق ساوتكين الخادم ثم قوي بركيارق بن الب ارسلان
على عمه تش وقتله في نواحي اصفهان فجاء ابنه دقاق الى دمشق واستولى عليها
بعد منازعات يطول شرحها وذلك سنة ٤٨٨ وفي السنة الثانية والتي بعدها
تحركت في اوربا الحركة الصليبية وتجمع الافرنج من كل انحاءها بتخريصات
السائح بطرس المشهور وخرجوا لفتح بلاد فلسطين وتخليص الاراضي المقدسة
من ايدي المسلمين

ولما انت الجنود الصليبية سوريا استولت على انطاكية بعد حروب كثيرة
وعنيفة فساء الامر جميع امراء المسلمين فرفعوا ما كان بينهم من المناظرة والخصام
واتحدوا على محاربة الافرنج وسار دقاق مع غيره من الامراء سنة ٤٩١ لاسترجاع
انطاكية وبعد ان حاربوها رجعوا مهزومين فاخذت فتوحات الصليبيين تمتد .
ثم سار دقاق الى جبلة وفتحها ووضع عليها ابنه ورجع وبرجوعه اخذت من ابنه
فتبع اياه الى دمشق ثم سار دقاق سنة ٤٩٦ وفتح الرحبة وضمها اليه . وسنة ٤٩٧
توفي دقاق ودفن بها فخطب طغتكين الاتابك احد المتقدمين لابن دقاق
وكان طفلاً ثم قطع خطبته وخطب لآخي دقاق بلتاش ثم قطع خطبته وعاد
وخطب للطفل وولج هو ادارة الامور

وسنة ٥٠٣ حل الافرنج على طرابلس فرحل كثيرون من اهلهما واتوا دمشق .
وسنة ٥٠٧ اتى صاحب الموصل دمشق فاستقبله طغتكين الى سلمية والى به الى

دمشق ثم سارا منها وانضم اليها صاحب سنجار والامير ابازين ايلغازي وذهبوا جميعاً الى قرب طبرية وقاتلوا الافرنج وكسروهم ورجعوا الى دمشق منصورين فدخلوها في ربيع الاول . ودخل طغتكين ومودود صاحب الموصل الجامع الاموي فحل باطني على مودود وهو في الجامع وضربه بسكين فأت بيومه ودفن في دمشق ثم نُقل منها الى بغداد سنة ٥٠٨ الى ايلغازي بن ارتق صاحب مارد بن الى دمشق فاتفق مع واليها طغتكين وكتبوا الى الافرنج واعترضوا بهم وسار ايلغازي نحو بلاده ولما عرف السلطان محمد بن ملكشاه بها فعلا غضب عليها وسير جيوشه سنة ٥٠٩ لمحاربتها فأت الجنود ووصلت الى حماه وهي لطغتكين وفتحها عنوة واقام بها وعساكر الافرنج مع عساكر طغتكين وايلغازي مقية بفامية تنتظر تفرق الجيوش الاسلامية ولما اقبل الشتاء تفرق جيش الافرنج واما طغتكين وايلغازي فذهب كل منهما الى محله ثم ات طغتكين نقض عهد الافرنج ورحل بنفسه الى بغداد الى السلطان محمد وقدم له الطاعة وسأله العفو فعفا عنه وفي ذي الحجة سنة ٥٠٨ مات السلطان محمد بن ملكشاه فصار ابنه محمود خليفة . وسنة ٥١٧ ذهب طغتكين وحارب حمص ونهبها ثم استرجع حماه وعاد الى دمشق . وسنة ٥٢٠ الى الافرنج من جهة فلسطين وحملوا على دمشق ونزلوا في مرج الصفير عند قرية شقيب فارس طغتكين وجمع التركمان وغيرهم لمحاربة الافرنج فالتقوا في اواخر ذي الحجة واشتد القتال فانهمز طغتكين والخيالة وتبعهم الافرنج وسنة ٥٢٢ مات طغتكين وكانت مدة ملكه على دمشق ٢٥ سنة تقريباً وهو من ممالك تش بن الب ارسلان وكان عاقلاً خبيراً وبلغب ظهير الدين وبعد موت طغتكين ملك ابنه تاج الملوك نوري بعهد منه

ولما ولي نوري استوزر طاهر المزدغاني وكان نافذ الكلمة بالرعية . وفي هذه السنة اتى رجل من الاسماعيليه من بغداد اسمه بهرام ودخل دمشق ودعى الناس الى مذهبه واعانه الوزير فتبعه خلق كثير وقوي امره فاعطاه الوزير طاهر بانباس فعظم لذلك امر بهرام في الشام وملك عدة حصون في الجبال وقد جرى بينه

وبين اهالي وادي التيم مقاتلة قتل بها فاقام الوزير عوضاً عنه على بانياس رجلاً
اسماعيلياً اسمه اسماعيل واقام ايضاً ابا الوفاء الاسمعيلى في دمشق بمرکز بهرام فعظم
امراي الوفاء وصار الحكم له في دمشق فكتب الافرنج ان يسلمهم دمشق فيعطونه
عوضاً عنها مدينة صور فاتفقوا معه على ذلك وعلى ان يكون قدومهم الى دمشق
يوم الجمعة . فعلم ناچ الملوك نوري بالملكفة فاستدعى وزيره طاهراً وقتله . وامر بقتل
الاسماعيلية الذين في دمشق فتنازحهم الدماشقة وقتلوا منهم ستة آلاف نفر . وعند
وصول الصليبيين راوا خلاف ما املوا فحاصروا دمشق مدة فلم يظفروا بشيء
فرفعوا الحصار وعادوا من حيث اتوا . فتنازحهم نوري مسافة وقتل منهم عدة .
واما اسماعيل الباطني فسلم بانياس للافرنج . وسنة ٥٢٥ وثب الباطنية
وجرحوا نوري انتقاماً فضعف جسمه وازمته المرض ومات في ٢١ رجب سنة ٥٢٦
وتولى بعده ابنه شمس الملوك اسماعيل بوصية منه . وولي اخوه شمس الدولة محمد
بعابك بوصية من ابيه . ولما استقر محمد بعابك فتح حصني الراس واللبوة فكتب اليه
اخوه اسماعيل ليردهما فابي فصار اليه اسماعيل واسترجعها وفتح بعابك بعد حصار
وحصر قلعتها . ثم اصطالحا وبقي محمد على بعابك ورجع اسماعيل الى دمشق منصوراً .
وسنة ٥٢٧ سار اسماعيل على غفلة من الافرنج وفتح مدينة بانياس عنوة وحصر
قلعتها واستلمها بالامان وفي شهر ربيع الآخر وثب على اسماعيل احد ماليك جده
وضربه بسيف فلم يعمل السيف به فالقى القبض على الضارب واقربها حمله على ما
فعل فقتله اسماعيل وقتل جماعة من غير تحقيق فعظم ذلك على الناس فنفروا
منه وحل بغضه في قلوبهم . ثم سار اسماعيل الى حماه وملكها عنوة في عيد رمضان
وكانت قد اخذت منذ سنة ٥٢٢ ورحل عنها الى شيزر فصالحه صاحبها على
مال فقام عنها ورجع الى دمشق . وفي محرم سنة ٥٢٨ سار وفتح حصن الشقيف
وكان بيد الضحاك بن جندل صاحب وادي التيم فعظم ذلك على الافرنج
واستكبروه فقصدوا بلاد حوران فجمع اسماعيل الجنود وناوش الافرنج واغار على
بلادهم من جهة طبرية واخيرا تهاذنوا معه فرجع الى دمشق . وكان اسماعيل

ظالماً جائراً في الرعية فكرهه الناس وأموال التخاص منه. وفي ١٤ ربيع الآخر سنة ٥٢٩ اتفقوا مع والدته وقتلوه وكان عمره نحو ٢٤ سنة وأقاموا بعد أخاه شهاب الدين محموداً وكان يحافظ المدينة معين الدين ابن مملوك طغتكين ويحسن العمل بالرعية

ولما ولي شهاب الدين اتى عماد الدين زنكي صاحب حلب الى دمشق وضيق عليها فلم يبلغ منها ارباً فاصطحب مع اهلها ورجع . وفي شوال سنة ٥٢٣ غدر ثلاثة من غلمان شهاب الدين بسيدهم وقتلوه على فراشه في القلعة فأتى أخوه جمال الدين صاحب بعلبك وولي امر دمشق بعلبك (وفي سنة ٥٢٣ وسنة ٥٢٣ كانت زلازل كثيرة في بلاد الشام اخرجت المدن واهلكت العباد وكان اكثر فعلها في مدينة حلب) فطع عماد الدين زنكي بدمشق فأتى لمحاربتها ونزل على داريا في ١٢ ربيع اول واخذ ينازل المدينة وفي اثناء الحصار مرض جمال الدين محمد ومات في ٨ شعبان فولى أخوه مجير الدين فحارب زنكي واضطرب الى الرجوع عن المدينة فرحل عنها ونزل بقرية عدرا واحرق قرى المرج ورحل الى بلاده . وسنة ٥٤١ سار مجير الدين واسترجع بعلبك وكان قد اخذها صاحب حلب . وسنة ٥٤٢ اتى الصليبيون وحصروا دمشق وكان على تدبيرها معين الدين اتز فارسلى اتز الى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجذ فأتى بعسكره الشام ومعه أخوه نور الدين ونزلوا على حصص فارتاع الافرنج (قال مكسيموس مونروند في المجلد الثاني من كتابه تاريخ الحروب الصليبية عند وصفه حملة الافرنج هناك ما ملخصه : في سنة ١١٤٨ م صار اجتماع احنفالي بعكاء حضره الملك كونراد والسلطان لويس السابع والسلطان بودوين الثالث ملك اورشليم واشراف الصليبيين الحربيون والمدنيون والكنايسيون واجمعوا على ان يملكوا مدينة دمشق حيث تراعى لهم ان استيلاءهم عليها يسهل لهم اخذ كل سوريا ويجعلهم مامونين من حروب جديده بينهم وبين المسلمين وفي ايار سنة ١١٤٨ م كانت مهمات الحرب معه ففسار هولاء الثلاثة الملوك وقوادهم وجنودهم ونزلوا في

طبرية ثم اجنأوا الى بانياس وقطعوا جبل الشيخ ووصلوا الى دمشق فنزلوها
زماناً طويلاً ولكنهم انقسموا واختلفت كلمتهم فرجعوا بالخيبة بعد ان كاد نصر
النصر يخفق فوق رؤوسهم

قال ابو الفداء . وكان بين الافرنج (المحاصرين دمشق) ملك الالمان
فارسل اتز الى افرنج الشام يبذل لهم تسليم قلعة بانياس فتخلوا عن ملك الالمان
واشاروا عليه بالرحيل وخوفوه من امداد المسلمين فرحل عن دمشق وعاد الى
بلاده وسلم اتز قلعة بانياس الى الافرنج حسب شرطهم ومن خسائر دمشق في هذه
الحرب احد قوادها المشهورين نور الدولة شاهنشاه ابن ايوب اخو السلطان
صلاح الدين الايوبي وفي مدة حصار دمشق كان غلاء شديد في كل بلاد
الشام والعراق وخراسان وبلاد العرب . وسنة ٥٤٤ هـ هبت المنيّة معين
الدين اتز وكان هو الحاكم بدمشق فعلاً فندبه الناس وحزنوا عليه وحسبوا موته
اعظم خسارة وبقي على سرير دمشق مجير الدين فاخذ يدبر الامور فتدخل
الافرنج بدمشق في مدته تداخلاً حبيماً فقوي نفوذهم فيها وصار لهم كلمة
مسموعة فكانوا يفكرون كل ملوك وسرية بدمشق اما بفدية او بغير فدية ولما
كانت سنة ٥٤٤ هـ هجرية خشي نور الدين صاحب حلب (وهو السلطان نور
الدين المشهور) امر نفوذ الافرنج بدمشق وخاف ان يملكوا المدينة فكانت اهلها
واستألم في الباطن بدون معرفة اميرهم ثم سار بجنوده اليها وحصرها ففتح له
الاهالي الباب الشرقي فدخل منه وملك المدينة وحصر مجير الدين في القلعة
وطال الحصار فبذل نور الدين لمجير الدين اقطاعاً من جملته مدينة حمص اذا
سلمه القلعة فقبل مجير الدين وسار الى حمص فلم يعطها اياها بل بدلها له
بغيرها فابى وسار الى بغداد وسكن فيها حتى مات وهكذا انتقلت دمشق الى ملك
نور الدين الذي يلقب بالشهيد فوضع عليها اخاه نجم الدين ايوب ورجع الى
حلب

وفي ذي الحجة سنة ٥٥٩ هـ فتح نور الدين بانياس وضمها اليه وقد فتح فتوحات

كثيرة غيرها واقام بهغازية يطول شرحها واشتغل بمحاربة الافرنج اكثر حياته
 وفتح كثيراً من بلادهم وحصونهم وفتح جانباً من البلاد المصرية. ثم اتخذ دمشق
 مقراً له وجعلها مركز حركاته وسكن في قلعتها كغيره من ملوكها. وبني في دمشق
 وغيرها عدة مدارس ونشط بضاعة العلم وخدمها واجرى العدل والانصاف
 بالرعية وابطل المكوس فاكثرت حب الاهالي وهيلهم وبواسطته تقوى
 صلاح الدين الايوبي الشهير مؤسس الدولة الايوبية وركنها. ويوم الاربعاء الواقع
 في ١١ شوال سنة ٥٥٦ توفي نور الدين بن بركة دمشق بعلية الخوانيق ودفن في
 مدرسته التي بناها في دمشق ولم تنزل الى الآن وتعرف بالنورية نسبة اليه.
 وقبل موته بتأيل كان قد جهز جيشاً لمحاربة صلاح الدين في مصر لانه امتنع عن
 طاعته وصمم ان يسير اليه بنفسه وان يترك ابن اخيه على الشام قبالة الافرنج نائباً
 عنه فانصرم عمره بغتة. وله مآثر ستري بعضها مذكوراً في ترجمته في باب الترجحات
 ولما مات نور الدين قام باعباء الملك ابنه الملك الصالح اسمعيل وعنه
 احدى عشرة سنة فاقام في دمشق وكان مدبره في الامور الامير شمس الدين محمد
 بن عبد الملك المعروف بابن المقدم. وقد اطاعة صلاح الدين مصر وخطب له
 فيها وضرب السكة باسمه على ان صاحب الموصل خلع طاعته وذهب وامتلك
 بلاد الجزيرة. وسنة ٥٥٧ حسن صاحب حلب الملك الصالح اسمعيل بحلب
 فانقاد اليه وتوجه اليها واقام فيها وكان في حلب سهد الدين كمشتكين متغرباً
 من الملك فخافه امره دمشق فراسل السلاطان صلاح الدين صاحب مصر
 ودعوه ليملك عليهم فاجاب طابهم

فصل

في تاريخ مدة استيلاء الأيوبيين على دمشق

عندما دعا امره دمشق صلاح الدين بن ايوب ليملكوه عليهم عوضاً
 عن الملك الصالح اسمعيل سار اليهم بسرعة ومعه سبع مئة فارس ولما وصل الى

دمشق خرج اليه من بها من العساكر والامراء والتفوه بالترحاب وملكوه البلد على ان القلعة عصت عليه وبها من قبل الملك الصالح اسمعيل خادم اسمه ربحان فراسله صلاح الدين واستماله واستلم القلعة منه ودخلها واخذ ما بها من الاموال والذخائر فثبت قدمه بدمشق فقر رامورها واستخاف عليها اخاه سيف الاسلام طغتكين بن ايوب وسار الى حصص في مستهل جادى الاولى فاستورد عليها وعلى حماه وغيرها . ثم سار نحو حلب فاتاه عسكرها ومن انضم اليهم فتغلب عليهم ايضا وتقدم نحو مد ينتهم وحصرها وضيق عليها . ولما كاد ان يتمكن منها صاحبه الصالح اسمعيل على ان يبقى الذي فتحه صلاح الدين بيده وما بقي يكون للصالح . فاقبل صلاح الدين الابان تكون الخطبة والسكة باسمه فقبلتا . ورجع عن حلب ظافرا . وفي شهر شوال سنة ٥٧١ سار صلاح الدين وحارب عسكر الموصل وكسره عند تل السلطان . ثم رجع الى حلب وكانت قد امتنعت عليه فضيق عليها فصاحبه اهله فرحل عنها في ٢٠ محرم سنة ٥٧٢ . وسنة ٥٧٤ حدث وباء عظيم في البلاد مات به كثيرون من سكان دمشق . وبعد هذا عزل صلاح الدين اخاه سيف الاسلام عن ولاية الشام ووضع مكانه ابن اخيه عز الدين فرخشاه . وسنة ٥٧٧ سار البرنس دي شاليون صاحب الكرك لفتح الحجاز فجمع عز الدين جنوده وسار من دمشق فكسره البرنس فعاد الى دمشق

وفي ٥ محرم سنة ٥٧٨ سار السلطان صلاح الدين من مصر قاصدا الشام فاجتمع الناس لوداعه وكان كل يقول شيئا في الوداع وفراقه وكان من الحاضرين معلم لبعض اولاد السلطان فقال

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

فانقبض السلطان من ذلك وتذكر المجلس ولم يعد صلاح الدين بعد

ذلك الى مصر . وسار فوصل الى دمشق في ١١ صفر

وفيما كان صلاح الدين قاصدا الشام اجتمعت الافرنج عند الكرك

ليعارضوه في طريقه فانتهز فرخشاه نائب السلطان في دمشق الفرصة وسار بجنده

وفتح الشقيف وما يجاوره من البلدان وارسل يبشر السلطان بذلك . ومكث السلطان بدمشق الى ربيع الاول ثم سار بجنوده ونزل قرب طبرية وشن الغارة على بلاد الافرنج كبايناس والغور وجنين وعاد راجعاً الى دمشق . ثم سار الى بيروت وحصرها واغار على بلادها ورجع الى دمشق وسار منها الى الجزيرة وقطع انفرات وفتح الرها وغيرها من المدن كفرقيسيا وماكسين والخابور . وحاصر الموصل ولم يفتحها فسار عنها الى سنجار وفتحها ثم سار الى حران . وفي مدة غيابه عن دمشق مات عاملها عز الدين فرخشاه فولى عوضاً عنه شمس الدين محمد بن عبد الملك المندم . (وفي هذه السنة مات في دمشق مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري وكان اماماً فاضلاً في العلوم الدينية قدم الى دمشق واقام بها وانف للسلطان عقيدة كان السلطان يقربها اولاده الصغار) . ثم دخلت سنة ٥٧٩ والسلطان يغزو ويفتح ففي العشر الاول من محرم فتح آمد ورحل الى الشام ففتح تل خالد من اعمال حلب ثم فتح عينتاب ورحل عنها وحصر حلب فسلمه صاحبتها بشرط ان يعوضه عنها بغيرها وكان ذلك في صفر فقال احد الفضلاء متفائلاً

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتح القدس في رجب
وليث السلطان بحلب مدة وقرر امورها لولده الملك الظاهر غازي وسار الى دمشق وليث فيها قليلاً وتجهز لغزو الافرنج فسار وعبر الاردن ونزل على بيسان واحرقها ثم سار الى الكرك وقد اتاه اخوه الملك العادل من مصر فلم يتمكناهما ورجعا عنها فاتى السلطان دمشق واعطى اخاه الملك العادل حلب ووجهه اليها واتى بولده الظاهر الى دمشق

وسنة ٥٨٠ كتب الى مصر لثانية العساكر وسار في ربيع الآخر الى الكرك ونازلها مع عسكر مصر فلم يتمكن منها فرجع عنها وسار الى نابلس واحرقها ونهب ما حولها وقتل واسر وسبي . ثم سار الى سبسطية وهي على مرحلة ساعتين عن شمالي نابلس فاستخلص ما بها من اسرى المسلمين وسار الى جنين وعاد الى دمشق .

وسنة ٥٨١ حمل على الموصل وحصرها وتركها بدون ان ينال منها شيئاً وسار الى اخلاط وملكها في سلخ جمادى الاولى ثم اتى الموصل وتصالح مع صاحبها على شروط منها اعطاء السلطان بلاداً وان تكون السكة والخطبة في بلاد الموصل باسمه ثم اتى حران واقام بها مريضاً واشتد مرضه حتى آيسوا منه على انه عوفي سرعاً وعاد الى دمشق في محرم سنة ٥٨٦. ثم احضر ابنه الملك الافضل من مصر واقطعه دمشق ونقل اخاه الملك العادل من حلب واقطعه مصر. وبعد ترتيب هذه الامور جهز عسكره للفتوحات فسار اولاً نحو الكرك وحصرها خيفة على الحجاج من صاحبها وارسل ابنه الافضل الى عكا. ثم سار من الكرك ونزل على طبرية وفتحها عنوة وملكها ولما وقعت طبرية بيده اجتمع ملوك الافرنج من كل انحاء سوريا وجمعوا جنودهم وقواتهم وساروا لمبارتته فخرج للنائهم ويوم السبت في ٥ ربيع اول اقبل الجيشان فانكسر الافرنج اعظم كسر بعد وقعة دموية مهولة لم يجر مثلاً في فلسطين منذ اتاها الافرنج وهذه الوقعة هي المشهورة في تاريخ الحروب الصليبية بوقعة حطين وفيها تكبد الافرنج اعظم الخسائر وضعفت قوتهم وبعد هذه النصرة فرق السلطان جنوده ففتحوا الناصرة وقيصرية وحيفا وغيرها من البلدان حوالي عكا وارسل فرقة الى نابلس فامتلكت قلعتها بالامان وذهب الملك العادل وفتح مجد البابا (اليوم تدعى مجد الباع) ثم فتح يافا عنوة. اما السلطان فسار الى تبين وفتحها ورجل منها الى صيدا فاخلاها صاحبها فوصل اليها السلطان في ٢٠ جمادى الاولى واستلمها ومنها قصد بيروت فحصرها ثمانية ايام وفي نهاية جمادى الاولى استلمها بالامان ومنها سار جنوباً واخذ عسقلان في اواخر جمادى الآخرة وارسل عسكره ففتحوا الرملة والداروم وغزة وبيت لحم وبيت جبرين (وكانت من المدن العظيمة المحصنة) وغير ذلك. ثم ارتحل الى القدس ونازلها وبها عدد غفير من الافرنج فطلب اهلها الامان فابي السلطان تامينهم في البداءة على انه امنهم اخيراً على شروط شرطها عليهم واستلم المدينة واعادها اسلامية واقام بها ابنة كثيرة وكان هذا الفتح في رجب فتم قول من

تفآل وقال

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب
وبعد ان نظم امور القدس رحل الى عكا وارسل وفتح حصن هونين واقام
الحصار على عكا بشديد وادركه الشتاء فشتى امامها والحرب قائمة واذ لم يبلغ
منها اربا لشدة تحصين الافرنج لما ومدافعهم عنها ببسالة وحمية رحل عنها الى
حصن كوكب ووضع عليه من بفتح وقصد دمشق فدخلها في بداءة ربيع الاول
سنة ٥٨٣ فزيست له المدينة واقامت بها الافراح واستقبله الناس بسرور عظيم
واحتفال يابق بكريم فاتح مثله وكان ذلك اليوم يوما مشهودا . ثم كتب لاهلها
بتهنيز العساكر . وابت في دمشق خمسة ايام ورحل منها في انتصاف ربيع الاول
قاصدا الجهة الشمالية ونزل على بحيرة حمص فاجتمع اليه جنده فرحل بهم قاصدا
غزو بلاد الافرنج فنزل على حصن الاكراد وفتح ثم زحف على انطوطوس
(طوطوس) فاخلاها اهلها فدخلها في ٦ جمادى الاولى . ثم سار الى جبلة فلكها
في ٨ جمادى الاولى . ثم زحف الى اللاذقية في ٢٤ جمادى الاولى ونازل قلعتها
واستلمها بالامان وجهلها لابن اخيه الملك المظفر تقي الدين . ثم فتح فتوحات كثيرة
يطول شرحها واخيرا نازل المعاملات النابذة لانطاكية فاستلمك بعضها وتهادن مع
صاحب انطاكية الافرنجي لمدة ثمانية اشهر ورحل الى حلب ودخلها في ثالث شعبان .
ثم سار منها الى دمشق فدخلها في شهر رمضان فاشير عليه ان يترك العساكر
ليستريحوا فابي واجاب ان العمر قصير والاجل غير مامون . هذا وقد كان اخوه
الملك العادل يضايق الكرك وكانت الافرنج فطالب اهلها الامان فاستشار
العادل اخاه صلاح الدين بهذا فاجابه اليه فصارت الكرك والشوبك للمسلمين
وفي منتصف رمضان سار السلطان من دمشق جنوبا فحل على صفد فاستلمها
ثم سار الى كوكب واستلمها ثم سار الى اورشليم وعيد فيها عيد الاضحى . وفي اواخر
سنة ٥٨٤ ذهب الى عكا فوافاه الافرنج من صور والبحر وحدث وقائع شديدة
كان الفوز فيها للصليبيين وكادوا ياخذون عكا منه فخرج منها لمرض اعتراه . ثم

عاد لنجدتها سنة ٥٨٦ وكانت قد تضايقت جداً واشكت ان تفتح فاشتغل
بمجارة الافرنج عند ابوابها ودام الحرب كل هذه السنة ودخلت سنة ٥٨٧
والحرب على قدم وساق على انه في ١٠ جمادى الاولى تغلب الافرنج على الاسلام
وفي مستهل شعبان ساروا الى حيفا وملكوها ثم ملكوا قيصريه وارسوف ويافا
وقصدوا عسقلان فخربت بامر من السلطان (وكان السلطان مقبلاً بالنطرون).
ثم اخرب قوم السلطان حصن الرملة وكنيسة لد. ثم تقدم الافرنج وملكوا لد والرملة
ولما راي السلطان تقدم الافرنج السريع رحل من النطرون الى اورشليم واخذ في
بناء اسوارها وتحصينها بمجد وسرعة وكان الافرنج وعسكره لا ينقطعون عن
المناوشات الى ٢٢ شعبان سنة ٥٨٨ حيث تهادن السلطان والافرنج لثلاث
سنين وثلاثة اشهر من يوم المهادنة اما شروط الهدنة فهي ان يكون بيد الافرنج يافا
وعماها وقيصريه وعماها وارسوف وعماها وحيفا وعماها وعكا وعماها وان تكون عسقلان
مخراباً واشترط السلطان بان تكون بلاد الاسماعيليه في عقد الهدنة واشترط
الافرنج ان تكون طرابلس وانطاكية في هدينتهم وان تكون لد ورملة مناصفة بينهم
وبين المسلمين وقر القرار على هذا وتوقفت الحروب والمغازي فاستقر السلطان
ملكاً في القدس واقام بها ابنيه وجوامع ومدارس. ثم سار عنها في ٥ شوال قاصداً
دمشق وفي ٢٥ شوال دخلها وكانت غيبته عنها اربع سنين فاقام بها
العدل والانصاف وصرف عسكره وامراه وابقى عنده ابنه الملك الافضل. وسنة
٥٨٩ مات في قلعة دمشق بداء الحمى ودُفن في الدار التي مرض بها فأسف
الناس لفقده وبكوه بكاء مراً ورثاه اهل الفضل بابلغ المراثي. وقد كان من
اجود الملوك وافضلهم واحسنهم خلقاً وديعاً كريماً جباراً غازياً عادلاً

وبعد موت السلطان صلاح الدين قُسمت المملكة بين اولاده واخوته
فكانت دمشق نصيب الملك الافضل نور الدين علي. وسنة ٥٩٠ صارت
وحشة بين الملك الافضل واخيه العزيز (صاحب مصر) فجرد العزيز جنوده
واتى وحصر دمشق فاستجار الافضل ببعض اخوته وعمه الملك العادل فاتوا

دمشق واصلحوا بين الاخوين . ولما راق الجول لافضل اقبل على ادمان الخمر
والاشتغال بالملاهي ايلاً ونهاراً فكثير كلام الناس به وباع الخبر عنه الملك العادل
فارسل وويجة فارتدع وتاب وعكف على التقوى وولج ادارة مملكته لوزير
ضياء الدين بن الاثير فافسد الامور ولم يحسن السياسة . وسنة ٥٩١ حمل العزيز
على بلاد الشام فاستجار الافضل بعمه العادل فاجاره وحارب العزيز ووصل
الى مصر فقصده الافضل الاستيلاء عليها فنعمه العادل وكانب العزيز العادل
سراً وساله ارسال القاضي الفاضل ليصلح بينه وبين اخيه الافضل فاتي القاضي
واصلح بينهما بالاشتراك مع العادل . ولما تم الصلح رجع الافضل الى دمشق وظل
العادل في مصر ليصلح مراكمة ابن اخيه لان احوالها كانت قد تضعفت .
وكانت احوال دمشق في تاخر اسوء ادارة وزيرها فبلغ العزيز والعادل ذلك
فاتفقا على اخذ دمشق من الافضل وان يستولي عليها العادل وتكون الخليفة
والسكة بها للعزيز وسارا قاصدين دمشق . فعلم الافضل بتدومها فخصن المدينة
ولما اقتربا منها كاتب بعض امراءها الملك العادل على ان يسلموه المدينة وفي ٢٦
رجب سنة ٥٩٢ دخل العادل المدينة من باب توما والعزيز من باب الفرج فسليهما
الافضل المدينة رسمياً وخرج منها باهله . وفي ٥ شعبان صارت المدينة للعزيز
فسلمها لعمه الملك العادل فصارت سكنها وخطبتها باسم العزيز . ورحل العزيز
عنها حالاً راجعاً الى مصر وكانت مدة ولاية الافضل عليها ثلث سنين وشهراً واحداً
وسنة ٥٩٤ سار الملك العادل من دمشق وحارب الافرنج ورجع اليها ثم
سار وحارب ماردن وفي اثناء غيابه مات العزيز صاحب مصر واقيم ابنه فسار
اليه الافضل وهناك اشير عليه ان يسترجع دمشق من العادل . فجمع الافضل
جنداً وسار به فبلغ العادل الخبر فرجع مسرعاً الى دمشق ودخلها قبل وصول
الافضل اليها بيومين . ونزل الملك الافضل على دمشق في ٢١ شعبان فانتشبت
بينهما القتال وبعد وقائع كثيرة يطول شرحها انكسر الافضل وتبعه العادل الى
مصر ودخلها في ربيع الآخر سنة ٥٩٦ وصادف فيها توفيقاً فاستقل بالملكة

وقد تخلف عنه في دمشق ابنة الملك المعظم شرف الدين عيسى ولما استقل
العادل بمصر تقوى الظاهر صاحب حلب واخذ يفتح البلاد واتحد مع الافضل
وانضم اليها بعض الامراء وساروا الى دمشق وحاصروها ولما اوشكوا يفتحونها
وقع الخلاف بينهم وسببه ان الظاهر والافضل اتفقا على ان دمشق عند ما تفتح
ترجع للافضل ثم تسير جنود الافضل وجنود الظاهر وتفتح مصر وتصير للظاهر
ولما كادت دمشق تقع في يدهم قال الظاهر للافضل ان دمشق تكون لي بحيث
املك مالک الشام كلها ومصر تكون لك فقال الافضل ما على هذا اتفقا. فقال
الظاهر ولا بد من صبر ورثة فوقع الخلاف بينهما فرحل الظاهر عن دمشق
قاصدا حلب ورحل الافضل الى حمص وهكذا انتهى الحصار . وسنة ٥٩٢
زلزلت سوريا زلزلا عظيما فاندك به كثير من مدنها وقتل عدد وافر من اهلها .
وبعد رفع الحصار عن دمشق اتاهما العادل واصلىح امورها وسار نحو حلب
واصطلح مع الظاهر وغيره وجمل الخطبة والسكة باسمه فانتظمت له مالک اخيه
صلاح الدين بكايتهما فرجع واستقر في دمشق الى سنة ٦١٠ وفيها حمل الصليبيون
على القدس فخرج العادل لمحاربتهم وفي اثناء المحاربة عادت الزلازل على سوريا
وامتدت الى مصر والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس والعراق وغيرها . اما
العادل فداوم محاربة الافرنج على انه لم ينح فاصطلح معهم وسلمهم يافا وتزل لهم
عن نصف لد والرماة . وبعد المصالحة قصد مصر وكان الافرنج يفتحون بها .
وسنة ٦١٢ عاد الى دمشق ثم رحل عنها لمحاربة الافرنج وتمهادن معهم . سنة ٦١٤
افل راجعا اليها فاتاه رسول الخليفة بخفاة وعلم فاخذها باحتفال عظيم ووصل
الى العادل ايضا تقليد بالبلاد التي كانت تحت حكمه فخطب بالامادل شاهنشاه
ملك الملوك امير المؤمنين . وبعد ذلك اخذ الملك العادل ببناء قلعة دمشق
وكانت قد تهدمت بالزلازل والحروب والزم كل واحد من الملوك اهل بيته
بعمارة برج من ابراجها واسرع في البناء حتى تمت بوقت قصير . وبقيت دمشق
للعادل طورا يقيم فيها وطورا يرحل عنها اما للحرب او للاقامة في مصر الى ان

وفدت سنة ٦١٥ فأتى لمحاربة الافرنج عند عكا فنزل بهرج الصفر ثم رحل الى عالقين عند عقبة افيق فاشتد عليه مرض اعتراه فأت هناك فأت ابنه الملك المعظم عيسى وكان بنا بلس فنقل جثته الى دمشق ودفنها بها وكانت وفاته في سابع جمادى الآخرة وعمره ٧٥ سنة ومكث ملكه في دمشق ٢٢ سنة وفي مصر ١٩ سنة وكان كثير الاولاد غنياً جداً

ويوم دفن الملك العادل بدمشق استولى ابنه الملك المعظم عيسى على جميع ما كان لابيهِ من الاموال والخيول والسلاح وحلف له جميع الناس بالولاية ولبث في دمشق يدبر امورها. هذا وقد كانت حروب الافرنج في مصر على قدم وساق فاستولوا على دمياط وغيرها فخاف الملك المعظم ان تمتد فتوحاتهم في فلسطين ايضاً ويستولوا على اورشليم ويتخذونها حصناً لهم فامر في سنة ٦١٦ بهدم اسوارها وكانت بغاية المتانة فدكها ما موروه باوفر سرعة ورحل كثيرون من اهليها الى دمشق وغيرها وكان اخو الملك المعظم الملك الكامل بمصر يتأمل الافرنج فلما اخذوا منه دمياط ابتنى مدينة عند ملتقى البحرين بمصر وسماها المنصورة (وفي هذه السنة ظهر جنكيز خان التتاري واشتهر امره واخذ بالفتوحات)

وبعد ان دكت اسوار اورشليم سار الملك المعظم عيسى من دمشق الى بلاد الساحل ونازل قيسرية ففتحها وهدمها ثم سار الى عنابت ونازلها ايضاً (وهي على ساعة ونصف من حيفا جنوباً) ثم رحل عنها ونزل على الغور واقام بحروب قبايلة الجندوى وافل راجعاً الى دمشق

وسنة ٦١٧ عظم شأن الصليبيين في الديار المصرية وعجز صاحبها الملك الكامل عن محاربتهم فكانت اخوته الملوك لينجوده بمجنودهم فلبوا دعوته. وسنة ٦١٨ سار الملك المعظم من دمشق بمجنوده لينجده اخيه وكان قد اجتمع اليه كثير من الملوك اخوته وامرائه فبلغوا مصر معاً واخذوا يحاربون الافرنج فماتت اعمالهم الا بالفشل ولما نظر الملك الكامل ذلك طلب مصالحتهم بشرط ان يرد لهم جميع ما ملكه صلاح الدين منهم وان يتركوا له دمياط في مصر والكرك

والشوبك في سوريا فابوا اولاً ثم التزموا الى القبول . ولما تم الصلح رجع الملك
المعظم الى دمشق فعصاهُ صاحب حماه وامتنع عن ايداء ما عليه من الاموال
فسار المعظم بجنوده الى حماه ونازلها فتعسرت عليه فسار عنها الى المعرة وسلمية
وملكها ولبث في سلمية جا علاً نصب عينيه منازلة حماه ثانية فبلغ الملك الاشرف
ما عمله اخوه المعظم بصاحب حماه فساءه الامر واتفق مع اخيه الكامل ان ينكرا
على اخيهما ما فعله فبعثا اليه بالرحيل وترك ما اخذه فاجاب بالسمع والطاعة
ظاهراً وهو مضمحل الانتقام . وسنة ٦٢٢ اتفق مع بعض امراء البلاد وسار
ونازل حمص فحل بجبله وباء قضى عليه بالرجوع عنها فرجع الى دمشق فاناهُ
اخوه الملك الاشرف الى دمشق طالباً المصالحة دفعاً للفراق وحسباً للفتن
في حفظه المعظم عند كاسير وطلب منه شروطاً وكان ظاهراً يعزه ويجله ويكرمه
واخيراً في سنة ٦٢٤ سلم الاشرف لـ اخيه بكل ما طلب منه فاطلق سبيله فمضى
الى بلاده وانكر الاتفاق فاتحد المعظم مع اقوام اقوياء وبات ينتظر الفرص
للاتقام من اخيه فبلغ الكامل ذلك فاخشي العاقبة فاتحد مع امبراطور الافرنج
على ان ياتي الامبراطور عكا ويشغل المعظم ويعطيه الكامل لقاء هذه الخدمة
مدينة اورشليم فذهب الامبراطور الى عكا وانصل الخبر بالمعظم فارسل لـ اخيه
الاشرف واستعطفه تخفيفاً للعداوت وبينما كانت تجري الامور على هذا النمط
وقد شهر ذي القعدة فتوفي الملك المعظم عيسى في قلعة دمشق وعمره ٤٩ سنة
وملكه تسع سنين واشهر وكان عالماً فاضلاً منضجاً بعيداً عن الكبرياء لا يمنع
احداً عن الدخول عليه واحب العيشة البسيطة وكان يخطب لـ اخيه الكامل
دون ان يذكر اسمه معه

وبوم وفاة المعظم تولى بعده ابنه الناصر صلاح الدين داود وقام بتدبير
ملكته مماوك ابيه الامير عز الدين ايبك فارسل الكامل للناصر يطلب حصن
الشوبك فتمنع الناصر عن اعطائه فاتي الكامل بلاد الشام واستولى على القدس
ونابلس وغيرها من البلدان وهم على انتزاع كل ملكة ابن اخيه فضاق لذلك

صدر الملك الناصر فراسل عمه الاشرف وطلب معونته فاتاه في ١٠ رمضان سنة ٦٢٥ فدخل معه قلعة دمشق واتفقا وسارا الى نابلس واسترجعاهما فاقام بها الناصر وذهب عمه الاشرف الى غزة ساعياً بمصالحة الناصر والكمال معاً فلما اجتمع بالكمال تعاهدا معاً بان تكون دمشق للاشرف وهو يعرض عنها لصاحبها بعض بلاد من بلاده وانه من عقبه افيق جنوباً يكون حد بلاد الكامل وان يصير تغيير ولايات بعض الامراء . وفي بداية سنة ٦٢٦ رجع الاشرف واعلم ابن اخيه الناصر بما اتفق عليه مع الكامل فساء الخبير الناصر فسار مسرعاً الى دمشق فخاصه عمه الاشرف وكان الملك الكامل بمحاربة الافرنج فقبوا عليه فصالحهم وسلمهم اورشليم فاتصل هذا الخبير بالناصر فاخذ يشنع بغزو الكامل وجاراه الناس وحزنوا على تسليم اورشليم وتشددوا للقتال . ولما انتهى الكامل من محاربة الافرنج سار الى دمشق واشترك في حصارها وضيق عليها وبعد عناء فتحها واقطع الناصر عوضاً عنها واقام الاشرف بها وبقي الاشرف بدمشق حتى مات واقام بها ابنة وقصوراً جميلة ولم يحدث في ايامه بدمشق ما يستحق الذكر الا انه في الملكة الاخيرة من حياته صار وحشة بينه وبين الكامل فصم على محاربته وطلب من الناصر داود ان ينضم اليه فيجعل له ولي عهد على دمشق فابي الناصر فجعل ولاية العهد لاختيه اسمعيل صاحب بصرى وتوفي في محرم سنة ٦٢٥ وعمره ستون سنة ومئة ملكه على دمشق ٨ سنين وشهور وكان كريماً يحب التثنية والانبساط ودفن في تربته قرب الجامع الاموي ولم يخلف غير ابنة واحدة وبعد موث الاشرف استوى على دمشق اخوه الصالح اسمعيل فعند استقرار الملك له بعث الى الملوك اهل والى كينسرو صاحب بلاد الروم يدعوم ليوافقه على محاربة الملك الكامل فوافقه الا المظفر صاحب حلب فانه انتهى للكمال وكذلك الملك الناصر داود انتهى له الكامل لانه وعده ان يرد اليه ملك دمشق وبعد هذه الامور سار الكامل لمحاصرة دمشق فوصل اليها في جمادى الاولى ونازلها فاحرق الصالح اسمعيل جي العقبة (هو حي متسع واقع خارج سور المدينة

من جهة الشمال الغربي) واذ لم يمكث الشهاب سلم المدينة في ١٩ جمادى الاولى
 لآخيه فاقطعه اخوه عوضاً عنها بعليك والبقاع علاوة على بصرى . وبعد ان
 لبث الكامل اياماً في قلعة دمشق اصابه مرض واشتد عليه وفي ٢١ رجب سنة
 ٦٢٥ توفي وعمره ستون سنة وكانت مدة ملكه في دمشق ٢٠ سنة وقبلها كان نائباً
 بها ٢٠ سنة ايضاً وكان عالي الهبة عمرت ديار مصر في ايامه اتم عمار وامنت
 الطرقات واذ كان يحب العلوم واهل العلم راجت اسواق المعارف في ايامه .
 ولما مات حلف العسكر بمصر لابنه الملك العادل ابي بكر بن الملك الكامل
 واقاموا على دمشق الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل ابي بكر
 نائباً عن ابن عمه صاحب مصر . وفي جمادى الآخرة سنة ٦٢٦ استولى الملك
 الصالح ايوب ابن الملك الكامل على دمشق واعمالها بتسليم الجواد يونس وعوضه
 عنها سنجار وغيرها من المدن . ولما استولى الصالح بدمشق سار ليجارب الملك
 العادل في مصر واستناب عنه بدمشق ابنه الملك المنصور فتح الدين سنة ٦٢٧
 طمع الصالح اسمعيل صاحب بعليك بدمشق فاتها ومعه جنود حمص وهجم
 عليها وحصر القلعة وتسلمها من صاحبها وقبض عليه . ثم مات الملك العادل
 صاحب مصر فقام بعده الصالح ايوب فخافه الصالح اسمعيل ولكي يأمن غائلة
 اتفق مع الافرنج وسلمهم صفد والشقيف وغيرها ليعينوه على ابن اخيه صاحب
 مصر فعظم هذا الامر على المسلمين فاخذوا في التشنيع على الصالح اسمعيل وكان
 ذلك سنة ٦٢٨ . وسنة ٦٤١ كانت مراسلات الصلح بين الصالح ايوب والصالح
 اسمعيل فانتهت على غير اتفاق ولجل تقوية الصلات بين الصالح اسمعيل
 والافرنج اتفق مع الناصر داود صاحب الكرك وسليما للافرنج طبرية وعسقلان
 واورشليم بما فيها من المعابد والزيارات . وسنة ٦٤٢ استنجد الصالح ايوب
 بالخورزمية على عمه الصالح اسمعيل واتوا الى غنة فسارت اليهم عساكر دمشق
 مع عسكر حمص والافرنج فجرى القتال بينهم وبين عسكر مصر والخورزمية
 فانكسر الصالح اسمعيل ومن معه فاستولى الصالح ايوب على غنة والسواحل

والقدس ورجع الصالح اسمعيل الى دمشق مكسوراً . وسنة ٦٤٢ زحف عسكر مصر الى دمشق وحاصرها فسلمها صاحبها الملك الصالح اسمعيل وخرج منها الى بعلبك وكان الخوارزمية معاضدين للصالح ايوب لظنهم بانه اذا استولى على دمشق يعطيهم من الاقطاعات ما يرضيهم فخاب املم اذ لم يعطيهم شيئاً فانحازوا الى الصالح اسمعيل وانضم اليهم صاحب الكرك وساروا معاً الى دمشق وحاصروها اشد حصار فغلت اسعار الاقوات بها وقاسى اهلها الشدة العظيمة والضيق الشديد بنوع لم يسمع مثله وطال حصار دمشق فاتفق الصليبيون واهالي حمص مع الصالح ايوب وقصدوا الخوارزمية فرحلت الخوارزمية عن دمشق لمحاربتهم فانكسر الخوارزمية وتشتتوا شتاتاً فضعف امر الصالح اسمعيل فرفع الحصار عن دمشق وسار الى صاحب حلب فقبله واقام عنده فطلبه الصالح ايوب فابي صاحب حلب تسليمة . ثم سار نائب دمشق ونازل بعلبك واستولى عليها واخذ اولاد الصالح اسمعيل اسرى وارسلهم الى مصر فزيت مصر فرحاً . ثم وجهت العساكر الى بلاد الناصر داود صاحب الكرك والشوبك واعمالها فتغلبوا عليه وملكوا بلاده ولم يبق له غير الكرك فقط وكان ذلك سنة ٦٤٤

وبعد فتوح دمشق وبعلبك استناب الصالح ايوب على دمشق الامير جمال الدين بن مطروح . ثم اتى الصالح ايوب الى دمشق واقام فيها بضعة اشهر وعاد الى مصر . وسنة ٦٤٦ اخذ صاحب حلب حمص فأتى الصالح ايوب الى دمشق لاسترجاع حمص على انه وهو في الطريق اصابه مرض الزمة البلاء بدمشق وارسل عسكراً لاسترجاع حمص وما لبث الا وسمع ان الصليبيين يحاصرون دمياط فتصالح مع صاحب حلب ورجع الى مصر ومرضه يشتد عليه وقد عزل نائبة على دمشق واستناب عوضاً عنه جمال الدين بن يغمور . وفي شعبان ٦٤٧ توفي الصالح ايوب بمصر بعد ان ملك عليها تسع سنين وثمانية اشهر وقد اقام بها ابنة كثيرة في محلات عديدة . ثم نودي باسم ابنه الملك المعظم توران شاه وكان يحصن كيفاً فلما علم بتوليته مكان ابيه سار نحو مصر ووصل

الى دمشق في شهر رمضان وعيد بها ثم رحل عنها الى مصر فبلغها في ذي القعدة
واقام بالامر وكانت عساكر الصليبيين تضايق البلاد المصرية ويدهم دمياط
وغيرها فانشب الحرب بينه وبينهم واستظهر عليهم في محرم سنة ٦٤٨ واسر ملكهم
القديس لويس الفرنسي . وفي ذلك الشهر عينه قتل الملك المعظم توران شاه
بيد بعض امراء ابيه الذين عزلهم عن مناصبهم وكان اول من رفع السلاح عليه
بيبرس وهو الذي صار ملكا فيها بعد كما سيأتي واقاموا بعده شجرة الدر زوجة
ابيه الملك الصالح ايوب وخطبوا لها على المنابر وضربت السكة باسمها وكانت
نقش سكتها (المستعصية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل)
وكانت قد ولدت للملك الصالح ولداسي بخليل ومات صغيرا وارسل المصريون
الى دمشق ليوافقوهم على مبايعة شجرة الدر فلم يجيبوا بل كاتب امراء القهرية
الذين بدمشق الملك الناصر يوسف صاحب حلب (وهو من سلالة صلاح
الدين الايوبي) فصار اليهم ودخل دمشق يوم السبت في ٨ ربيع الآخر وملكها
وعزل جمال الدين بن يغمور ورفع منزلة امراء القهرية وكرمهم . ثم ان الامراء
بمصر عزلوا شجرة الدر وولوا عزالد بن ايوب الطلاحي عوضا عنها ولقبوه بالملك
المعز . ثم تغير رأي الامراء وقالوا لا بد من اقامة شخص من بني ايوب فاعتمدوا
على صاحب اليمن وهو الملك الاشرف موسى بن يوسف المعروف باقسي بن
الملك الكامل بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب فولوه في ٥ جمادى الاولى
وفي شهر رمضان جهز الملك الناصر يوسف جنودا وانضم اليه بعض
ملوك عائلته لمحاربة الملك الاشرف في مصر واجتمعوا في دمشق . وفي نصف
رمضان ساروا منها فالتقوا بعساكر مصر عند العباسية فانكسر المصريون فتبعهم
الدمشقيون الى مصر فتنقروا المصريين هناك وتغلبوا بفوز مجيد اضعفوا به قوة
اعدائهم واستولوا على غزة . وسنة ٦٥١ وقع الصلح بين المصريين والدمشقيين على
ان يكون للمصريين لحد نهر الاردن وما وراءه للملك الناصر ثم انتقض العهد .
وسنة ٦٥٢ صار عهد جديد بان تكون بلاد الشام لحد العريش تابعة لصاحب

دمشق وما وراءها جنوباً للعزايك الذي كان على مصر وهكذا انصرف
المشكل بين الدمشقيين والمصريين

وفي ٢٦ جمادى سنة ٦٥٦ توفي الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى
بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب بظاهر دمشق بقرية البويضة شرقي المدينة
وعمره ٥٢ سنة وكان قد ملك دمشق مدة كما تقدم فخرج الملك الناصر من
المدينة الى البويضة ونقل جسده باحتفال ودفنه بالصالحية في تربة والد المعظم
وكان الناصر داود عالماً بارعاً في النظم والنثر ومن محاسن شعره قوله

عيون من السحر المبين تبين لها عند تحريك القلوب سكون
تصول ببيض وهي سود فرنداها ذبول فتور والجفون جفون
اذا ما رأت قلباً خلياً من الهوى نقول له كن مغرمًا فيكون

وقد احتمل في مدة حياته مشقات وعذابات كثيرة يطول شرحها. وفي هذه
السنة استولى التتر على بغداد فانقرضت دولة العباسيين وقتل آخر خلفائهم
المستنصر بالله وكانت مدة دولتهم ٥٢٤ سنة وعدد خلفائهم ٢٧ خليفة. وقد
حدث في دمشق وبلاذ الشام وباء عظيم وطال امره قال ابو الفداء واشتد
الوباء بالشام وخصوصاً في دمشق حتى لم يوجد فيها مغتسل الهوى. وكان
امر التتر يتقوى فحسب لهم الملك الناصر حساباً اذ رأى ضعفه لدى قوتهم
فارسل زين الدين محمد الحافظي من اهالي قرية عقربا القريبة من دمشق
بهدايا وتحف الى هولاكو ملك التتر وجامله

ثم ان البحرية المصرية كسروا عسكر الملك الناصر عند غزة والتجأوا الى الملك
المغيث صاحب الكرك فركب عليهم الناصر سنة ٦٥٧ ونزل على بلاد الكرك
فاناه من يستشفع بالمغيث فقال بشرط ان يسلمني البحرية الذين عندك فقبل
المغيث وسلم القوم غير ان بعضهم ومن جملةهم بيبرس فروا هاربين الى الناصر
فامنهم وهكذا وجد الصلح بين الناصر والمغيث ورجع الناصر الى دمشق ظافراً
وعند عودته بلغه ان التتر وصلوا الى حلب وشنعوا بها

فرحل يمينوده نحو مصر ونزل بنابلس اياماً ثم خلف بها جيشاً وسار الى مصر فاتى التتر وملكوا بلاد الشام الى غزة على انهم لما اتوا دمشق سلمهم اهلها المدينة بالامان فلم يلحقوا بها ضرراً ووضعوا على قضائها محيي الدين الذي اما القامة فامتنعت عليهم فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وفي شهر جمادى الاولى تسلموها بالامان واعتقلوا محافظها ونهبوا ما بها واخربوا اسوارها. وفي ٥ شعبان سنة ٦٥٨ اخرج التتر من الاعتقال نقيب قلعة دمشق وواليها وضربوا عنقيهما بداريا وشاع بين اهل دمشق خروج عساكر مصر لمقاتلة التتر فسرول بهذا الخبر. وفي ٢٧ رمضان هذه السنة وقعوا بالنصارى ونهبوهم لدقهم الناقوس واخربوا الكنيسة المريمية العظيمة فكانت ايام شدة وويل على المسيحيين. وفي اواخر شهر رمضان تجهزت العساكر المصرية لمحاربة التتر وساروا فوقع القتال في الغور فانكسر التتر شركسة ووقع بهم السيف ففني معظمهم وسار الملك المظفر حتى دخل دمشق ففرح به المسلمون وانشرحت خواطرهم لخلاصهم من شر التتر. وفي حال دخول المظفر دمشق امر بشنق من انتهى الى التتر فشنقوا واخذ في تقرير احوال الشام وانا ط بنيا بة دمشق الامير علم الدين سنجر السجاي وبعد ذلك سار قاصداً مصر. وكان ببيرس بالاتحاد مع قوم قد دبر على قتل الملك المظفر واخذ يتوقع الفرص فتمكن زعماء ببيرس من قتل المظفر فقتلوه بنواحي غزة في ١٧ ذي القعدة وكانت مكة ماضية ١١ شهراً و١٢ يوماً وحلف لبيرس في اليوم الذي قتل فيه المظفر وتلقب بالملك القاهر ركن الدين ببيرس الصالحى فقيل له ان القاهر لقب غير مبارك فلقب ذاته بالظاهر وفي تلك السنة شرع نائب السلطنة بدمشق الامير علم الدين في عمارة القلعة وجمع لها الصناع وكبراء الدواة والناس وعملوا بها حتى النساء ولما بلغ الامير علم الدين ما اصاب الملك المظفر دعا اهل دمشق اليه وحمام على مبايعته فبايعوه ولقب نفسه بالملك المجاهد وخطب له بالسلطنة وضربت السكة باسمه

ومن راجع هذا التاريخ يرى بان حوادث كثيرة عظيمة متتابعة قد طرأت على دمشق وغيرها في ملك ولاية الملك الناصر يوسف الذي ملك دمشق منذ سنة ٦٤٨ لان في مدة ملكه خرجت مصر من الدولة الايوبية وقامت فيها دولة المماليك وسقطت بغداد والدولة العباسية وفعل الوهاب فعلاً ذريعاً في سوريا وخصوصاً في دمشق وفتح التتر البلاد واعدموا معظم اهلها وقتل النصارى في دمشق ودمرت معابدهم وخرجت دمشق من ايدي الايوبيين هذا فضلاً عما قتل من الملوك وقد اغار التتر على سوريا ثانية وانكسروا امام حمص الى غير ذلك

وسنة ٦٥٩ سار الملك المنصور واخوه الملك الافضل صاحب حمص الى دمشق ونزلا بدورها وصاحبها قد وهن امره فلم يدخل بطاعته كانا منازعين له وفي ١٢ صفر انت جنود الملك الظاهر بيبرس لمحاربة دمشق فخرج اليهم صاحبها والمنصور والافضل لم يخرجوا معه فانتشب القتال فانهمز صاحب دمشق الملقب بالملك المجاهد ودخل القلعة ولما جن به الليل هرب الى جهة بعابك فتبعه خيالة الظاهر وقبضوا عليه وساقوه اسيراً فدخلت دمشق بملك الظاهر بيبرس واقامت له الخطبة بها وبغيرها كحمص وحماه وحلب وهكذا انتهت دولة الايوبيين بدمشق وصارت الشام ومصر لدولة المماليك واستقر ابدكين البندقداري الصالح بدمشق لتدبير امورها وعاد المنصور الى حماه والاشرف الى حمص واستقرا بها

وبوم انكسر التتر كان الملك الناصر يوسف واخوه الظاهر وغيرها من الملوك الايوبيين عند هولاكو ملك التتر فقتلهم انتقاماً وورد خبر ذلك الى دمشق فحزن الناس واقاموا العزاء في الجامع الاموي اما الملك الناصر يوسف فهو من نسل صلاح الدين كما تقدم وملك اولاً بحلب ثم امتد ملكه كثيراً وصارت له سوريا الى غزة وكان شاعراً شجاعاً كريماً كثير الحلم والحلم ترد بعض ماليكو ففقدت امنية الطرق في آخر مدينته لانه لم يرد ان يقتل مذنباً حيث كان يقول الحي افضل من الميت . وبني في دمشق المدرسة الناصرية قرب الجامع ووقف لها وبني تربة بالصالحية وكان موته ببلاد العجم وعمره ٣٢ سنة

فصل

في تاريخ دمشق مدة خضوعها للمصريين وفتح تيمور لها الى استيلاء العثمانيين عليها
 ذكرنا سقوط الدولة الايوبية في مصر ودمشق وان بيبرس استولى على
 الامر واخضع دمشق وبعد وقت قصير من استيلائه عليها اتى برجل الى
 مصر وادعى بانه من نسل الخلفاء العباسيين فعرض بيبرس وجهازه وسارا معاً
 الى دمشق فنزل بيبرس في القلعة ونزل الخليفة على جبل الصالحية وبعد بضعة
 ايام من نزولها سار الخليفة الى بغداد للاستيلاء عليها فصادفه التتر وقتلوه ونهبوا
 ما معه وفرقوا جماعة واما الظاهر بيبرس فبقي في دمشق وعزل قاضيها وولى
 القضاء شمس الدين بن خلكان وسار الى مصر وكان نائب دمشق علاء الدين
 طيبرس فظالم بالرعية فارسل الظاهر بيبرس وقبض عليه واستناب عوضاً عنه
 الامير جمال الدين النجيب الصالح

وسنة ٦٦١ الى الظاهر بيبرس بلاد الشام وقتل المغيث صاحب الكرك
 واستولى على بلاده ثم خرب كنيسة الناصرة وكانت من اعظم كنائس النصارى
 بفلسطين واغار على عكا وغيرها وغنم الغنائم وافل راجعاً الى مصر . وسنة ٦٦٢
 الى الحاربة الافرنج في سوريا وفلسطين ففتح قيصريه وارسوف وغيرها من المدن .
 وسنة ٦٦٤ فتح صفد ودخل دمشق وجمع جيشاً عظيماً وارسله الى بلاد الارمن
 فوصل العسكر الى سيس في ذي القعدة وبعد حصار طويل فتحوها عنوة وغنموا
 مغنمة عظيمة . ومن سنة ٦٦٦ الى ٦٦٨ كان الظاهر مشغولاً في الفتوحات
 والاسفار ففتح يافا وانطاكية وغيرها من مدن الافرنج واخذ يضاف من الاسماعيليه
 واتى دمشق مراراً . وسنة ٦٦٩ اتى من مصر ونازل حصن الاكراد وفتح
 ثم فتح عكا فهناه محبي الدين بن عيد الظاهر بفتحها بقوله

يا مليك الارض بشرا ك فقد نلت الاراده

ان عكا لعربي هي عكا وزياده

ثم اخذ قلعة العليقة وبلادها من الاسماعيليه واتى دمشق وما لبث بها اياماً

الأورحل ونازل حصن القرين (قلعة عظيمة في بلاد عكا لها مسالك واحد حرج
وآثارها الباقية الى عصرنا تشهد بما كان لها من العظمة والمتانة في الايام الماضية
وقد زرتها في اوائل شهر تموز سنة ١٨٧٧ م) وتسلمته وهدمته ورحل الى مصر.
وسنة ٦٧٠ اتى الى دمشق وعزل نائبها جمال الدين وولى عوضاً عنه في مستهل
ربيع الأول علاء الدين ايدكين الفخري . ثم سار الى حمص وحصن الاكراد
ورجع الى دمشق فاغارت التتر على عينتاب وغيرها فاستدعى عسكرياً من مصر
وسار بهم الى حلب ثم رجع الى مصر فدخلها في ٢٢ جادى الاولى ثم خرج منها
في شوال الى بلاد الشام واتى دمشق بعساكره في شهر صفر سنة ٦٧١ وكانت
قد قويت اخبار التتر فقلق الاهلون واتى الناس من الجهات الى دمشق ملتجئين
وكان في جملتهم علي والد اسمعيل المعروف بابي الفداء المورخ الشهير (ابو الفداء
هو ابن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب ولد هذه السنة في دمشق
في دار ابن الرنجلي) ثم رحل الملك الظاهر عن دمشق لمحاربة التتر والافرنج
وبعد ذلك عاد اليها ورحل عنها . وفي محرم سنة ٦٧٥ عاد اليها بعسكر متوافر
وخرج لمحاربة بلاد الروم في ٥ رمضان وهي بيد التتر وعاد الى دمشق في ٥
محرم سنة ٦٧٦ وفي ٢٧ منه توفي في دمشق فخط ووضع في القلعة الى ان انتهت
ترتبه المبنية بالقرب من الجامع (وهي معروفة الآن وبها مكتب رشدية) فنقل
اليها وكانت ملكه ١٧ سنة وشهرين وكان ينقش على سكته بيبرس الصالح
وفي اوائل شهر ربيع الأول سنة ٦٧٦ اقيم بعد الظاهر بيبرس ابنه الملك
السعيد علي على مملكة مصر والشام سنة ٦٧٧ اتى دمشق وجرد العسكر منها
صحبته سيف الدين قلادون الصالح وجرد ايضاً صاحب حماه فساروا ودخلوا
الى بلاد سيس وشنوا الغارة عليها وغنموا وعادوا الى جهات دمشق فاتفقوا على
مخالفة الملك السعيد وخلعوا من المملكة لسوء تصرفه وتدبيره وعبروا على دمشق
ولم يدخلوها فارسل الملك السعيد وهو في دمشق واستعطفهم فلم ياتفتوا واتوا
السير فركب الملك السعيد وساق فسبقهم الى مصر وصعد الى قلعة الجبل فحاصره

الخارجون عن طاعته فاخذت عساكره بالافتراق عنه والانضمام الى اعدائه
فراى ضعفه وسلم بانخلاءه بشرط ان يعطى الكرك فاجابوه الى ذلك فخرج في
ربيع الاول سنة ٦٧٨ فارسلوه من وقتهم الى الكرك واجلسوا اخاه شلامس
عوضاً عنه وعمره سبع سنين وخطبوا له على المنابر وضربت السكة باسمه وصار
امير جيوشه الامير سيف الدين قلاذون فهذا الامير وجه بالامير شمس الدين
سنقر الاشقر الى دمشق وجعله نائب السلطنة بالشام

وفي ٢٢ رجب سنة ٦٧٨ خلع الصبي (شلامس) عن كرسي السلطنة بمصر
وجلس عوضاً عنه امير جيوشه وسمي السلطان الملك المنصور قلاذون الصالح
فاقام العدل واحسن السياسة ودبر المملكة احسن تدبير
ثم ان الملك السعيد المخلوع الذي تولى الكرك مات بها فنقل جسده
ودفن في دمشق بتربة ابيه

ولما جلس قلاذون طمع نائب السلطنة سنقر في المملكة وعمل على التسلط
عليها ففي ٢٤ ذي القعدة حلف له الامراء والعسكر الذين عنده وتلقب بالملك
الكامل شمس الدين سنقر فعلم قلاذون فجهز عسكر مصر وارسله مع علم الدين
سنجر وغيره من القواد فاتوا دمشق فخرج اليهم سلطانها الجديد وانكسر امامهم
فدخلوا المدينة وسلطانها قد هرب وسار وانضم الى التتر وتقدم معهم الى نواحي
حلب. وفي ٢٠ صفر سنة ٦٧٩ عين الامير لاجين نائباً للسلطنة في دمشق والشام
وسنة ٦٨٠ اتى السلطان قلاذون دمشق وقتل جماعة من الظاهرية كان
قد قبض عليهم في بيسان وجرى هذا بينما كان جيش التتر يتقدم نحو دمشق
فالتزم السلطان ان صالح سنقر وصاحب الكرك وسار عن دمشق فاجتمع اليه
العسكر والامراء من كل جانب وجرت مواقع عظيمة مع التتر انكسر بها السلطان
اولاً ثم فاز بنصر مجيد وبدد جيش التتر تبديداً وكتب بنصره الى جميع الاطراف
فكان فرح وزينة عمومية

وفي شعبان سنة ٦٨٢ صار بدمشق سيل عظيم اخذ ما مر به من العمارات

وغيرها واقطاع الاشجار واهلك من الخلق والخيول والجمال والمواشي شيئاً لا يحصى وقد جرى كل ذلك والسلطان في دمشق . وسنة ٦٨٢ سار السلطان وفتح حصن مرقب وذهب الى مصر . وسنة ٦٨٨ فتح مدينة طرابلس بعد ان لبثت بايدي الصايبيين ٨٥ سنة ثم جاوز عسكراً الفتح عكا فادر كنه المنية فأت في ٦ ذي القعدة هذه السنة وله في دمشق مآثر كثيرة

ووقت موت السلطان قلاودون جلس على سرير ابنة الملك الاشرف صلاح الدين خليل وسار بجنده سنة ٦٩٠ وحصر عكا ووضع عليها المجانيق الكبيرة والصغيرة وفتحها في ١٧ جمادى الآخرة فخاف الافرنج واخلوا صيدا وبيروت وصور وعكا فاستلمها السلطان ولعبت بها ايدي الخراب . وكان هذا الفتح من الموفقات الغريبة وبوأنهى الافرنج من سوريا وفلسطين ورجعت البلاد للمسلمين وانتظمت الحملات الصليبية وارتاحت اوربا واسيا من تلك الحروب الدموية التي دامت ٢٠٠ سنة . وبعد هذا الفتح الى الملك الاشرف دمشق واقام بهامته وعاد الى مصر بعد ان خلع نائبه بدمشق واقام مكانه علم الدين سنجر الشجاعي

وفي اوائل سنة ٦٩١ اتى الملك الاشرف دمشق وذهب منها ونازل قلعة الروم الكائنة على الفرات وفتحها في ١١ رجب وافل راجعاً الى دمشق وصام بها رمضان وعزل نائبه فيها واستناب عوضاً عنه عز الدين ايبك الحموي ورجع الى مصر

وسنة ٦٩٢ تأمر ممالك السلطان قلاودون وقتلوا الملك الاشرف صلاح الدين خليل وجلس بعده واحد من الفتناء اسمه بيدرا فقتلوه بعد جلوسه بساعات وجلس بعده السلطان الاعظم الملك الناصر وهو ابن المقتول وكان جلوسه في اواخر شهر محرم . وفي محرم سنة ٦٩٤ خلع السلطان الاعظم فجلس مكانه الامير زين الدين كتيغا المنصوري ولقب نفسه الملك العادل زين الدين كتيغا فخطب له في مصر والشام وضربت السكة باسمه . وبعد جلوسه الى دمشق وطاف

حواليها في اعمالها ثم رجع اليها وعزل نائبها عز الدين واستناب عوضاً عنه
مملوكه سيف الدين غرلو . وفي محرم سنة ٦٩٦ سار السلطان بعساكره الى
مصر فلقية في الطريق لاجين نائبة في مصر وقصد خلعة فهرب وعاد الى دمشق
فالتقاء نائبها بالاكراام ودخل القلعة وادتم بجميع العساكر والتاهب لحرب لاجين
فلم يوافق عسكر دمشق على قصده فخلع نفسه واقام في القلعة وارسل يعلم لاجين
بذلك ويطلب منه الامان ومخلاً ياوي اليه فاعطاه لاجين صرخة فذهب اليها
فجلس لاجين على سرير السلطنة ولقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين
المنصوري وسار الى مصر وعند وصوله اليها عزل نائب السلطنة بدمشق وارسل
عوضاً عنه سيف الدين تيق المنصوري

وفي ١١ ربيع الآخر سنة ٦٩٨ قام ممالك الملك المنصور حسام الدين
وقتلوه وكانت مدة ملكه سنتان وثلاثة اشهر واتفق كبراء الدولة بعده على ترجيع
الملك الناصر المنصور فاتوا به وارجعوا له الملك واستقر له الحال

وسنة ٦٩٩ سارقازان بن ارغون التتاري بمجموع عظيمة من المغل والكرج
والمزند وغيرهم وعبر الفرات ووصل بمجموعه الى حلب ثم الى حماه ثم سار ونزل
على وادي مجمع المروج فانت العساكر الاسلامية مع السلطان ونزلوا بظاهر
حمص ثم ساروا الى جهة الاعلاء فاشتبهت المقاتلات مراراً وفي النهاية انكسر
المسلمون وانهمزوا وتمت بهم الهزيمة الى مصر فتبعهم التتار واستولوا على دمشق
وساقوا باثر المسلمين الى القدس وغزة وبلاد الكرك

وسنة ٧٠٠ رجع التتار يغزون بلاد الشام ونزلوا نواحي حلب فأتى السلطان
الى حماه وانت اليه العساكر في جيشها جيش جرار من دمشق فطلت امطار
غزيرة غير معهودة فالتزم السلطان ان يرجع ويصرف عساكره وكذلك التتار
افلوا راجعين ولما عاد السلطان الى مصر اصدر امراً سلطانياً بان يتعم اليهود
بعمائم صفراء والنصارى بعمائم سوداء والسامقة بعمائم حمراء فأجري امره
وسنة ٧٠٢ حل جمع من التتار على بلاد الشام واتوا ونزلوا على القريتين

فخرجت اليهم الجنود وهزمهم ثم عادوا ايضاً بمجيش جرارة تحت قيادة قطلو شاه نائب قزان فنزلوا على حماه وكانت العساكر الاسلامية مجموعة عند دمشق فسارت نواحي مرج الصفر فتقدم التتر وعبروا دمشق وتبعوا عساكر المسلمين الى مرج الصفر فصادف وصول السلطان من مصر بعساكر جرارة فالتقى العسكران وتسعرت نيران الحرب فانكسر التتر وقتل منهم عدد غفير وانهمزم من بقي فتبعهم عسكر المسلمين الى الفرات واهلكوهم

وسنة ٧٠٨ ذهب السلطان الى الكرك فخلعة الجمانشكير وتولى عوضاً عنه في ٢٢ شوال ووافق الجمانشكير امراء مصر والشام ولقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري وما لبث الا وابتعد عنه عسكر دمشق ووجهوا للسلطان الاسبق يعترفون به وكان بالكرك فأتى دمشق ودخلها يوم الثلاثاء ثالث شعبان سنة ٧٠٩ فأتاه عمال الجهات بعساكرهم وقدموا له طاعتهم فسار بعسكره نحو مصر ولما وصل الى غزة ارسل الجمانشكير عسكراً لمحاربته ولما وصل عسكر مصر الى غزة مال الى السلطان وفضله على الجمانشكير

ولما علم الجمانشكير خيانه عسكره له خاب نفسه وارسل يطلب الامان من السلطان فامنه واعطاه صهيون ومئة مملوك وسار الى مصر واستولى على عرش المملكة في غرة شوال سنة ٧٠٩

ثم ان التتر رجعوا الى محاربة سوريا فقطعوا الفرات ونزلوا بالرحبة فأتى السلطان دمشق في ٢٢ شوال سنة ٧١٢ ورتب امور العسكر وسار الى الحج وفي ١١ محرم سنة ٧١٢ رجع من حجه الى دمشق واقام بها مدة وعاد الى مصر. وفي نحو سنة ٧١٩ استناب عنه بدمشق سيف الدين تنكز

وكان تنكز محباً للاصلاح والابنية فعمرباب توما ووسع طرقا المدينة وجسناها واقام ابنية كثيرة عمومية وخصوصية في دمشق والقدس ووقف عليها الاوقاف لتبقى عامرة وقد طالبت مدة نيابته وفي ايامه صارت جريفة في دمشق واتسعت دائرتها وذهبت فيها الاموال والنفوس وتدمر بها جانب من المدينة

ثم تكررت فاتهم النصارى بها فوقعوا تحت العذاب وغرموا بالالف الف درهم
 وصاب منهم ١١ رجلاً واسلم كثيرون تخلصاً من البلاء والعذاب
 وكان نفوذ تنكر عند السلطان عظيماً والسلطان يعزه ويكرمه ظاهراً
 وببغضة ويحب الايقاع به باطناً فاكشف تنكر على بعض ما أكنه له السلطان
 فاستوحش منه وقصد مخالفة التتر ضده فبلغ السلطان هذا الامر فارسل سرّاً
 في ذي القعدة سنة ٧٤١ وامر عاملة في صفد ان يذهب سرّاً الى دمشق بدون
 معرفة تنكر ويقبض عليه فأتى نائب صفد وفعل كما أمر وقبض على تنكر وساقه
 الى مصر. وكان تنكر عظيم السطوة شديد الغضب قتل خلقاً كثيراً ووقف
 الاوقاف الكلية. وقد غضب يوماً على الكلاب في دمشق فقتل كثيراً منها
 وفرق بين ذكورها واناثها ليقطع نسلها وكان يكره صوت الضفادع فاخرجوها
 من الانهر والآجام فقال بعضهم فيه يوم أخذ اسيراً

تنكر تنكر بدمشق تيمهاً وذلك قد يدل على الذهاب
 وقالوا للضفادع الف بشرى بميتو فقلت والكلاب
 وتولى نيابة السلطنة بعده في دمشق الطنبغا الحاجب الصالح وفي هذه
 السنة اي ٧٤١ توفي في مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالح
 وعمره سبعون سنة وقد اتسع ملكه وخطب له في بغداد والعراق والموصل
 وديار بكر والروم وضربت السكة هناك باسمه كما يضرب له بالشام ومصر وحج
 مراراً كثيرة وكان عادلاً رحيماً ابطال مكوساً (ضرائب) كثيرة وكان الامن
 والسلام سائدين في زمانه وبنى من المعابد والجوامع شيئاً كثيراً وعهد بالملكة
 بولده السلطان الملك المنصور واجلسه في حياته وكانت مدة سلطنة الناصر في
 ولاياته الثلاث ٤٢ سنة وسبعة اشهر. وفي صفر سنة ٧٤٢ خلع السلطان
 الملك المنصور واقام اخوه الملك الاشرف وعمره ثمان سنين. ثم خلعوا الاشرف
 واقاموا مكانه الناصر احمد سنة ٧٤٢ ثم خلعوا الناصر احمد واقاموا مكانه اخاه
 الملك الصالح اسمعيل سنة ٧٤٣ وكان نائب دمشق وقتئذ ايد غمش فتوفي

واقیم مكانه الامیر طقز تتر

وفي ربيع الآخر سنة ٧٤٦ توفي الملك الصالح اسمعيل وجلس مكانه اخوه
السلطان الملك الكامل شعبان فعزل طقز تتر عن النيابة ووضع يابغاء الناصري
فاتفق يابغاء مع امراء مصر وخلعوا الكامل شعبان وولوا عوضاً عنه عمه
السلطان الملك المظفر امير حاج . وفي جمادى الاولى سنة ٧٤٨ ثقل خاطر
السلطان على يابغا فهرب من دمشق بامواله الكثيرة فوقع القبض عليه في
الطريق فات ودفن في قاقون . وفي جمادى الآخرة صار ارغون نائب حلب
نائباً على دمشق . وفي رمضان قتل السلطان الملك المظفر امير حاج واجلس
مكانه السلطان الملك الناصر حسن . وفي هذه السنة كان في دمشق غلاء
فاحش حتى بيعت غرارة الحنطة بثلاث مئة درهم . وتبعه في سنة ٧٤٩ وباء عظيم
اغتال الناس اغنياً

ودامت دمشق خاضعة لدولة الاتراك المماليك في مصر الى ان سقطت
وقامت الدولة المجرسية مكانها في مصر ايضاً واول الملوك المجرسة الملك
الظاهر برقوق وهو ابو سعيد برقوق بن انس بن عبد الله الجهاركسي الاصل
جلس على كرسي السلطنة في ٩ رمضان سنة ٧٨٤ فخضعت دمشق له كباقي الممالك
وفي ايام سلطنة الملك الناصر فرج كانت الحروب التيمورية منقشبة في
سوريا فان تيمور المغولي كان قد صار عظيماً وفتح مدناً ومصاراً واذاق الناس
اشد المصائب وسفاهم امر كاسات النوائب وكان يطمع في اخضاع جميع العالم .
وسنة ٨٠٢ زحف من عين ناب على حلب وفيها الجيوش الجرارة وفتحها
عنوة واخذ يتقدم في الفتوحات بسوريا . وفي اوائل ربيع اول سنة ٨٠٢ قصد
دمشق على انه عند حلولة يجلب فر من رجا لان اسم احدها النيوفا الرودار
والثاني عيد القصار واتيا دمشق وحرضا اهلها على الرحيل منها خيفة بطش
ذلك الفناخ الظلوم فمن الناس من قاومها وحاول رجمها لادعائه بانها تقطعان
قلوب الرعية ومنهم من سمع مشورتها وفر هارباً . ولما وصل الى مصر خبر ما حل

يجلب جهاز السلطان عساكره وسار بها نحو الشام فاطمات قلوب الناس وهرع
 بعض مهاجري دمشق الى اوطانهم وداوم السلطان السير حتى دخل دمشق
 في اوائل ربيع الاول فاخذ في تحصينها وتقوية اسوارها ووضع فيها الحراس
 ونظم امورها العسكرية اتم تنظيم ووضع جانباً من جيوشه الجزاره خارج اسوارها
 باكمل نظام ولبثت تلك العساكر منتظرة قدوم تيمور . وفي ١٠ ربيع الآخر وفد
 تيمور بجيوشه الجزاره ونزل في داريا فاخذت المناوشات تجري بين العسكرين
 وبعد ذلك ارسل تيمور فرقة مؤلفة من عشرة آلاف مقاتل لمحاربة الجنود
 الاسلاميه عند اسوار دمشق فانكسرت هذه الفرقة وقتل معظم رجالها فعلم
 تيمور ان لا قدرة له على فتح المدينة بميدان النزال فعهد الى استعمال الحيلة
 وارسل ابن اخيه الى السلطان الناصر بالمدينة فتظاهر هذا بالبغضاء لخالد
 تيمور والانحياز الى المدافعين فصد قوة وقبأوه اما تيمور فتظاهر بالرحيل عن
 دمشق ونقهقر عنها ففرح الدماشقة . ثم وقع الانشقاق بين عساكرهم وتفرق راي
 امراء الجند فالتزم السلطان ومن معه من الجنود ان يرحلوا عن دمشق فرحل
 السلطان نحو مصر ظاناً بان دمشق في امن فعلم تيمور بسفر السلطان فابقى
 بالفوز السريع وعاد الى دمشق وضيق عليها فتشبث اهليها بالدفاع متكئين على
 الله وعلى نجدة من السلطان وبعد يومين خاب الامل فاجتمع الاعيان والعلماء
 والامراء وتشاوروا في امرهم فقرروا على تسليم المدينة لتيمور فاخبروا رهطاً
 منهم لاجل التسليم من جملة قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون المؤرخ الشهير
 فخرج الرهط وعرضوا تسليم المدينة على تيمور فقبل طلبهم . وامن المدينة واستلم
 مفاتيحها ودخل من الباب الصغير (باب الشاغور) واوصى عساكره بعدم
 اذى الاهالي ومضرتهم اما القلعة فكانت متمنعة عليه وفيها بعض الجند تحت
 قيادة قائدهم الباسل شهاب الدين احمد الزردكاش فبنى قبالتها ابراجاً اعلى
 منها واخذت عساكره تقتلع الحجارة من اسافلها فوهن عزم من بها فسلموها له في
 ٩ ثل رجب تحت شروط ودامت محاصرتها ٤٢ يوماً

ولما دخل تيمور المدينة اخذ يطالب اهلها باموالهم فجمعها ونكب الاهالي
نكبة عظيمة واخنا راشقياء القوم لجمع الاموال ثم امر بتعذيب امرائها اشد عذاب
واطلق العنان لجنده لينهبوا ويسلبوا ويفتكوا ويحرقوا فاذا قوا الاهالي من
الشك ما لا يحتمل . قال صاحب عجائب المقدور في اخبار تيمور . وحين ملا تيمور
جرباب طمعه من نفائس الاموال ودنه واستندر خلفاءها شيئاً فشيئاً صافياً ورائقاً
حتى صفاها بنظيره امر بتعذيب هولاء الامراء الكبار (قد ذكرهم قبل هذه الجملة)
فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس وكوهم بالنار واستخرجوا جنى
الاموال منهم استخراج الزيت بالمعصار ثم اطلق عنان الاذن لعسكره بالنهب
العام والسبي الطام والفتك والقتل والاحراق والتقييد بالاسر على الاطلاق
فهجم اولئك الكفرة الفجرة على ذلك اشد الهجوم وانقضوا على الناس بالتعذيب
والثريب والتخريب انقضاخ النجوم واهتزوا وربوا وفتكوا وسبوا وصالوا على
المسلمين واهل الذمم صولة الذئاب الضواري على ضواحي الغنم . وفعلوا ما لا يليق
فعلة ولا يحل ذكره ونقله واسروا المخدرات وكشفوا غطاء المسترات واستنزلوا
شموس الخدور من افلاك النصور وبدور الجبال من سماء الدلال وعذبوا الكبار
والاصاغر بانواع العذاب وبدا للخلق ما لم يكن في حساب وصنفوا في استخراج
النفائس من النفوس باصناف العذاب مسائل يقضي منها العجب العجائب وفرقوا
بين الوالدة وولدها والروح وجسدها وذهلت كل مرضعة عما ارضعت وجازوا
كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت وفر المرء عن اخيه وامه وابيه وصاحبه وبنيه
وصار لكل يومئذ شأن يغنيه وذل العزيز الكريم وهان الخطير الجسيم وطم البلاء
وعم القضاء وطاشت الحكوم وتبدلت الفهوم وتراكت غير الغيوم فاقسم بالله لقد
كانت تلك الايام علامة من علامات يوم القيام واسفرت تلك الساعة عن
اشرط الساعة واستمر هذا البلاء العام نحو من ثلاثة ايام الى ان يقول

ثم انهم (يريد اصحاب تيمور) لما انهموا العيث والعبث وقضوا في حج فسادهم
التفت واثموا بالفسق والجبدال والرفث ورموا في البيوت النار وفي القلوب

الجحمرات وافاضوا ما اراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الاهدصار وروملوا في
اشواظ الاحراق فارسلوا في حرم المدينة شوطاً من نار وكان فيهم من روافض
الخراسانية فاطلقوا النار في جامع بني امية فتشتتت النار بيهوبها وساعدتها الريح
بهبوبها فتسابقا في محو الآثار ريمًا ونارًا واستمر على ذلك باذن الله ليلاً ونهاراً
فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس وانمى بالسان النار ما سطر على لوح
وجود المدينة من الدروس وامست تلك المغاني لا تسمع فيها لاغية ولا الهمس
 واصبحت حصيداً كأنها لم تغن بالامس وذلك بعد ان اظهروا من الاموال
واوثقوا منه الاحمال الى ان قال . وبعد ان امست النار تلعب بانحاء المدينة
وتهلك ابنيتهما الحسنة الجميلة سار تيمور عنها يوم السبت الواقع في ٢ شعبان سنة
٨٠٢ قاصداً الجهة الشمالية التي منها وفد وقد اجلا معه بعض الاعيان واصحاب
الفضل واهل الصنائع وكل ما هرب من كالنساجين والخياطين والذين يصنعون
السيوف البواتر من اشتهرت بهم دمشق . اه . ومنذ اجلا تيمور عملة السيوف
خسرت دمشق هذه الصناعة التي اشتهرت بها ولم ترجع اليها ولولا اضطرار
الاهلين للمنسوجات ما رجعت صنعتها للمدينة ايضاً

ومصيبة دمشق هذه هي اعظم المصائب التي دهمتها منذ وجدت بين المدن
فان اموالها فقدت بالكلية وعمرانها اضحى خراباً وسكانها لعب بهم السيف والنار
والسي والتشتيت ولم يبق منهم الا بقية قليلة وهي التي سمعت للمندرين المار ذكرها
وهاجرت ربوع دمشق ومن حفظه الله من تلك البلايا والشدائد بعد ان قاسى
من العذاب اشكاً ومن الويل امره

وفي اوائل سنة ٨٠٤ نزع تيمور عن سوريا بالكلية فاخذت تلك البقايا
المتفرقة ترجع الى وطنها وتقيم ما تقدر عليه من الابنية وتوارد الناس الى دمشق
من كل جانب فعمر بعض خرابها ورمم ما تهدم من اسوارها وما لبثت الا
ورجعت مدينة تذكر بين المدن واكثر من اتي وسكنها اقوام من حماه . وقد
رجعت اليها بعض صنائرها على انه لفقدان فطاحل العمال بكل فن وصناعة

كانت مصنوعاتهما دون ما كانت عليه كما ان المدينة قد تاخرت في الحالة
والعمران عما كانت عليه قبل افعال تيورها ولكن لحسن موقعها التجاري
وخصب اراضيها وكثرة مياهها ونوارد الحجاج اليها من جميع الاقطار كل سنة
ذهابا وايابا اخذ عمرانها يتقدم شيئا فشيئا ولم يمض عليها من الزمان مئة الا
رجعت مدينة من اعظم مدن سوريا بعد حلب وبقيت تحت سلطة دولة المماليك
ابجراكسة يتناوبها نوابهم الى ايام قانصوه الغوري الذي قتل سنة ٩٢١ وملك
بعده ابنه الملك الصالح تومان باي وقتل بعد تملكه بثلاثة اشهر وبه انتهت دولتنا
الأتراك وابجراكسة المماليك في سوريا وعدد من وطئ عرش الملكة من الدلائين
٤٦ ملكا وخضعت البلاد بعدهم للسلطان سليم العثماني

فصل

في تاريخ استيلاء العثمانيين على دمشق الى وقتنا الحاضر

ان السلطان سليم بعد ان تغلب على قانصوه سلطان مصر في مرج دابق
جاء حلب واستولى عليها وصلى بجامعها الكبير فاعطاه الخطيب لقب خادم
الحرمين الشريفين الذي كان يختص بملوك مصر فخاض السلطان عليه حادثة
وكانت تساوي خمسين الف درهم . ومكث السلطان بحلب مئة وسار الى حماه
وسلم ادارتها الى كوزلجي باشا وجعل حصصا ثم استولى على دمشق ونصب
فيها العلم السلطاني واقام بها اربعة اشهر فحضر اليه امراء العرب واصحاب
مقاطعات سوريا ووجه جبل لبنان فاكرمهم وفي مئة اقامته في دمشق كان
يكثر التردد الى الجامع الاموي

وسنة ١٥١٦ م رجع السلطان سليم الى الشام بعد ان مهد الاقطار المصرية
والشامية فمضى عليه الامير ناصر الدين بن الحنش صاحب صيدا والبقاعين
فساءه الامر وارسل يفحص عنه واذ لم يجد اتى القبض على بعض الامراء المعنيين
واخذهم معه الى الاسكندرية ثم ارسل اليه راس ابن الحنش فخلى سبيلهم

وسنة ١٥٨٤ م نهبت خزينة السلاطان مراد في جون عكار فامر ابراهيم
 باشا والي مصر ان يتوجه بعساكره لمقاصة آل سيفنا وغيرهم من امراء لبنان
 فخرجت الجنود من دمشق لنجدته وبرز الجميع في مرج عرجوش فهاجم الامراء
 وفرّوا ثم سار الى عين صوفر فانه عقال الدروز بالتقدم فقبلها وصرف
 العساكر الدمشقية فعادت الى وطنها غائمة. وسنة ١٦٠٠ سار جيش من دمشق
 واستولى على حلب فذهب نصوح باشا والي حلب واستنجد بحسين باشا والي
 كلس وتعاضدا معا واخرجوا العساكر الدمشقية من حلب ووقعوا بهم
 وسنة ١٦٠٦ م جمع احمد باشا المحافظ والي دمشق جنوده وسار بهم لمحاربة
 الامير يونس الحرفوش والامير احمد الشهابي فاستنجد بالامير فخر الدين المعني
 فانجدها ولما عرف بذلك احمد باشا يثس من الفوز وافل راجعا الى دمشق
 وسنة ١٦٠٧ م كتب يوسف باشا سيفنا الى السلطان احمد ان يجعله سر عساكر
 الشام متعمدا ان يظهر علي باشا جان بولاد الذي كان يتعب الدولة فلباه
 السلطان الى ما طلب فاخذ يوسف باشا يجمع العساكر الى حماه وخرجت عساكر
 دمشق لمعونه فاتي علي باشا وحارب يوسف باشا ففر يوسف باشا من وجهه
 الى طرابلس وارسل حرمة الى دمشق وتشتت شمل عساكره. ثم بارح يوسف
 باشا طرابلس وات دمشق واخذ يبيش الجيوش في وادي بردى فجمع ١٠
 آلاف مقاتل واما علي باشا فاتحد مع الامير فخر الدين المعني وسارا للحرب
 فاجتعا بجيش يوسف باشا في عراد نواحي حماه. اما علي باشا فاستمال بعضا من
 قواد عساكر الشام فاتوا اليه فانكسر العسكر الدمشقي ونهقر فتمتعه علي باشا الى
 قرية المنق فحاف اهلها الى دمشق وقفلوا ابواب المدينة فدفع يوسف باشا لقاضي
 دمشق مئة الف غرش فداه عن المدينة وفر منهزما الى عكار فحرق علي باشا
 من هرب عدوه وامر جنوده فمأخذوا يتهبون خارج المدينة فخرج اعيان
 دمشق واستعطفوا خاطر علي باشا واعلموه بالمبلغ الموضوع له عند القاضي
 ودفعوه له مئة خمسة وعشرين الف غرش جمعوها منهم فكف قومه عن النهب

وسار بهم الى البقاع

وسنة ١٦١٢ ذهب احمد باشا المحافظ من دمشق الى حلب واعرض الى واليها بما يضاد الامير فخر الدين المعني موغاد الى دمشق في سنة ١٦١٣ واخذ يحرك الفتن في بعض جهات لبنان وقصد محاربة الامير علي الشهابي فاستنجد الامير بالامير فخر الدين فانهجك ولما علم الوزير بذلك اصطلح مع خصمه ورجع بجيوشه الى دمشق . ثم انقذت نيران العدوان بين المحافظ والامير فخر الدين المعني فانهمى احمد باشا المحافظ الى الباب العالي بان الامير فخر الدين تغلب على بلاد حوران وعجلون وغيرها وحاصر دمشق فغضب السلطان سليم فارسل من قوره اربعة عشر باشا مع خمسين الف مقاتل لاهلاك المعنيين وامر ان تكون هذه الجنود تحت قيادة احمد باشا المحافظ ولما بلغت الجنود مثل ماموريتهما استدعى المحافظ الامير يونس الحرفوش واستماله اليه وسار بجيوشه من دمشق للقتال فاخذت تجري المواقع الحربية بين الامير وعسكر الدولة في محلات كثيرة وكان اشد الحرب عند قلعة الصبية وقلعة شقيف ارنون ولما اوشك الامير ان يسقط فر من صيدا الى اوروبا وولج ادارة المحاربة باعوانه وبعض اقاربه فظلمت رحي الحرب دائرة وتغلبت جنود الدولة على محلات كثيرة واحرقت دير القمر وغيرها من قرى لبنان . وسنة ١٦١٤ ضعف المعنيون واطاعوا فرجع المحافظ الى دمشق وما لبث بها مدة قصيرة الا وعزل عنها وعين عوضاً عنه جركس باشا . وسنة ١٦١٥ دخل جركس باشا دمشق باحتفال وقدم له المعنيون طاعتهم ثم سار بامر الدولة من دمشق لمحاربة شاه العجم وبعد مدة عاد اليها سالماً . وسنة ١٦١٦ امر بخراب قلعة شقيف ارنون فدكت الى الارض ولم تنزل خراباً الى يومنا هذا . وسنة ١٦١٧ عزل محمد باشا الجركسي وولي عوضاً عنه احمد باشا ثم عزل وولي عوضاً عنه مصطفى باشا . وسنة ١٦١٩ عزل وولي عوضاً عنه سليمان باشا . وسنة ١٦٢١ عزل وولي عوضاً عنه مرتضي باشا وبعد توليته بوقت قصير عزل وولي مكانه مصطفى باشا . وسنة ١٦٢٢

كان رجل من اعيان دمشق اسمه كرد حمزه فاوثنى الى مصطفى باشا بالامير
فخر الدين المعني فسار الباشا بنحو عشرة آلاف مقاتل لمحاربة الامير واجتمع
الجيشان نواحى الجبل فاشتبك القتال بينهما فدارت الدائرة على العسكر
الدمشقي وقتل منه عدد وافر وسقط الوزير اسيراً بيد الامير فأكرمه واعزّه ونصاها
ورجع الوزير الى دمشق ولما استقر بها امر يهدم دار كرد حمزه وضبط امواله
فكان كذلك وبعد وقت قصير عزل مصطفى باشا ووجهت الولاية على محمد باشا
فأتى الى حماه ومعه كرد حمزه ثم اتى القطيفة وقصد دخول دمشق فلم يقبله اهلها
وما نعهه الدخول الى مدينتهم وارسل مصطفى باشا لصد فرجع الى حماه
واستكتب مصطفى باشا قضاة دمشق واعيانها وعلمائها محاضرين لبقائه على الولاية
وارسلها الى الباب العالي فلم تقبل بل تقررت الولاية لمحمد باشا فسار محمد باشا
الى دمشق على طريق الزبداني ودخلها من باب وخرج مصطفى باشا من باب
آخر وما لبث محمد باشا في دمشق مدة قصيرة الا توفي بها فتولج الاعمال بعده
موقتاً ابراهيم اغا الدفتردار . ثم رجع مصطفى باشا الى دمشق وتقررت ولايتها
له . وسنة ١٦٢٤ انعمت الدولة على الامير فخر الدين المعني بولاية سوريا كلها
من حدود حلب الى حدود القدس ولقبته بسلطان البر وربطت عليه اموال
الولاية كلها فدخلت دمشق بحجة اقطاعه فاخذ يدبر الامور ويبنى القلاع
والحصون في انحاء البلاد . وفي هذه السنة اشتد الغلاء في دمشق فارسل اهلها
يشكون حالهم للامير ويطلبون تديره فلباهم وارسل لهم حالاً اني حمل
جل حنطة وفي اليوم الثاني مثلها وجمع جمال حوران ودوابها وامر اصحابها ان
ينقلوا الحنطة الى دمشق ففعلوا فامر ان يكون رطل الخبز بقطعتين فكان
كذلك فانفرج كرب الناس . ثم اتى بنفسه ونزل بمرجة دمشق غربي المدينة
فخرج جميع الاهالي للملاقاة واخذوا يدعون له بالنصر وطول البقا . ثم انه
اتخذ الفأ من الانكشارية ليكونوا بخدمة وطلب من وجوه البلدة مال جزية
النصارى فاجابوه وسلموه دفترها . ولما قويت شوكة الامير ودانت له البلاد

حدثته نفسه ان يستقل بها ويجعل ذاته سلطاناً مطلقاً عليها فاخذ كجك احمد يوشي بالامير امام رجال الدولة العظام في الاستانة وبين مقاصده (كان كجك احمد جانياً للاموال الاميرية بوادي التيم تحت يد الامير فوقع خلف بينهما فترك خدمة الامير وسار الى الاستانة فتقدم في المراتب حتى رقي الى درجة الوزارة وصار له كلمة مسبوقة) فبلغ السلطان مراداً ذلك وساءه وزاد تهيجاً بكتابة وردت عليه من حلب تنبئ عن مقاصد الامير وما بناءه من القلاع والحصون فوجه حالاً عساكره لمحاربة الامير تحت قيادة كجك احمد فاني كجك احمد دمشق بجيوشه ودخلها في شتاء سنة ١٦٣٢ واخذ يجمع العساكر من حدود بلاد الروم الى حدود بلاد مصر . وسنة ١٦٣٤ نهض بالعساكر الى خان سعسع ودعا اليه بعض المناصب وارجمهم الى اقطاعاتهم . اما الامير فجهز جنوده واصطالت نيران الحرب بينهما فدارت دائرتها على عسكر الامير ووقع اسيراً مع اولاده فاخذهم الوزير الى دمشق وارسلهم منها الى الاستانة واطلق الامان في سوريا فراقمت الاحوال مدة . ثم ثارت الفتن فقال الوزير للسلطان ان السبب من دسائس الامير فخر الدين ففتح السلطان على الامير وقتله مع اولاده الا واحداً منهم

وسنة ١٦٥٠ كان على دمشق بشير باشا فجل على الامير ملحم المعني والتقيا بوادي القرن فانكسر ورجع الى دمشق خاسراً . وسنة ١٦٥٤ عزل بشير باشا وتولى عوضاً عنه محمد باشا الكبرلي . وسنة ١٦٦٠ تمنع المعنيون والشهابيون عن اداء الاموال فسار اليهم محمد باشا الكبرلي بجنوده ففروا من وجهه فاخذ المال من الاهالي ورجع الى دمشق . وسنة ١٦٩٣ عصى الامير احمد المعني على الدولة وظفر بعساكر صيدا فامر السلطان وزراء سوريا ومنهم اسمعيل باشا والي دمشق ان يسيروا لمحاربة فساروا وكانوا جموعاً كثيرة فاخفى الامير من وجههم ففحصوا عنه ولم يجدوه فاخذت العساكر تعيث بالبلاد واخيراً انصرف كل الى محله . وسنة ١٧١١ وقع خلاف بين الامير حيدر الشهابي ومحمود باشا اليمني فاستنجد محمود

باشا بنصوح باشا والي دمشق وبشير باشا والي صيدا. فوجهها عساكرها وقبل وصولها
 اشتبك القتال بين الامير ومحمود باشا فانكسر محمود باشا فعلم الوزير ان بذلك
 فافلا راجعين كل الى محله. وسنة ١٧٢٢ قدم عثمان باشا واليا على دمشق (وكان
 قبلاً والياً على صيدا) فاحضر معه بعض الامراء اللبنانيين الذين كانوا عند رهيته
 على مال منذ سنة ١٧١٤ فارسل الامير حيدر الشهابي واستفكهم. وسنة ١٧٢٢ كان
 على دمشق سليمان باشا العظم والياً فاخذ قوم الامير ملحم الشهابي يخربون في البقاع
 فحنق منهم الوزير وخرج من دمشق بعسكر جرار لمحاربة الامير وحل في البقاع
 فارسل الامير واستعطف خاطره واعذر عن قومه وتهد له بدفع خمسين
 الف غرش غرامة ووضع عند اخاه مصطفى رهناً فقبل الوزير بذلك وافل
 راجعاً الى دمشق واخذ ببناء خانو المعروف بخان سليمان باشا . وسنة ١٧٤١
 كانت دمشق تحت ولاية اسعد باشا العظم فجهز عسكره وسار لمحاربة الامير ملحم
 فوصل الى البقاع وكان لما بلغ الامير قصد الوزير جهز عساكره ووافاه بسرعة
 واذا علم اسعد باشا بان قوة الامير تفوق قوته افل راجعاً بمجنوده الى دمشق
 فتأثره الامير حتى ابواب دمشق . وسنة ١٧٤٨ ولي اسعد باشا الامير علياً على
 بلاد بعلبك فاغناظ الامير ملحم واخذ ينهب ويخرب في البلاد فجمع اسعد باشا
 جنوده وسار بهم من دمشق واتى وخيم في صحراء بر الياس ففطن الامير لذلك
 وجمع عسكره بسرعة واتى وخيم بهم في المغيشة . ثم انتشبت بينهم نيران الحرب
 فانكسر اسعد باشا الى سهل الجديك فتبعه الامير فرحل الى دمشق ودخلها
 مكسوراً . وبعد ذلك بمدة قصيرة سار اسعد باشا الى الحج فاغنىم الامير الفرصة
 وداهم بلاد بعلبك وعزل عنها واليها الامير حيدر الحرفوش . ولما رجع اسعد
 باشا من الحج وعلم بما جرى من الامير في غيابه كتم له السوء واخذ يترصده الفرص
 للايقاع به على انه لم تطل مدته . وسنة ١٧٥٧ كانت دمشق تحت ولاية عبد الله
 باشا الشنقي ومن سنة ١٧٥٨ الى سنة ١٧٦١ كان طاعون عظيم في البلاد
 هلك به خلق كثير . وسنة ١٧٦٢ كانت دمشق تحت ولاية عثمان باشا الكرجي

فهذا لما صار على دمشق صارت منه امور مستنكرة مع اهالي غنى وكان على مصر
علي بك وغنى تلوز به فانكر على عثمان باشا ما فعله وجهاز خازن داره محمد بك
المعروف بابي الذهب لمحاربته والانتقام منه فسار ابو الذهب بعساكره الكثيرة
سنة ١٧٦٨ قاصداً الحرب واذ بلغ الدولة العلية خبر ذلك عينت لقتال العساكر
المصرية ودفع غائلتها عن البلاد الشامية والي حلب عبد الرحمن باشا والي
كلس خليل باشا والي طرابلس محمد باشا فلما قدم ابو الذهب بعساكره نزل
قرب داريا الكبرى فخرج للقائه الوزراء الاربعة مع العساكر الشامية وصارت
المعركة في سهل داريا فدارت الدائرة على الوزراء ثم ورد كتاب من ابي الذهب
الى علماء دمشق واعيانها يطلبهم لمواجهته بشأن تسليم المدينة وتوعدهم بجرقها او
اسراهم اذا ابوا ذلك فالتسوا منه المهلة حتى يجتمعوا ويشاوروا اهل المدينة
وباقى اعيانها وعلمائها بهذا الشأن . وفي تلك الليلة التي هي ليلة الجمعة في ١٤
صفر سنة ١١٨٥ هـ هربت الاعيان وعثمان باشا وولده وروساء العساكر البادية
ولم يبق في دمشق مقاتل فاستولى على الناس الخوف والهلع وذهبوا الى العلماء
وتوسلوا اليهم ان يواجهوا ابا الذهب ويسلموه دمشق ويدفعوا عنهم غائلته
فتوجهوا لمقابله فلما دخلوا عليه قابلهم بغاية الاكرام فقالوا له ان البلد لمولانا
السلطان مصطفى خان فتسلمها انت واحقق دماء المسلمين وكف عن اموالهم .
فامتهم ورفع القتال عنهم . ثم بعد ايام حارب القلعة وضربها بالفنابل وكانت
بها مصطفى اغا البطرجي فضررت الفنابل بالمدينة واهلها ضرراً بليغاً فرفع
الامر اليه فامر برفع الحصار واذ تحقق عنك بان عثمان باشا قد فر من المدينة
بن معه عزم على العود الى مصر . وبعد ان نصب من قبله قاضياً ومفتياً من اهل
البلد رحل عن دمشق قاصداً مصر . وعلى اثر خروجه منها عاد اليها عثمان
باشا والاعيان والعساكر ورئيس اليرلية يوسف اغا بن جبري من جبل الدروز
ومعه ٥٠٠٠ درزي وانزلهم في البلدة بامر عثمان باشا وهكذا انتهت هذه الحمادثة
وسنة ١٧٧٠ حضر احمد الجزار الى دمشق وخدم عند واليها عثمان باشا .

وفيهما وقع حرب بين ظاهر العمر الزيداني صاحب عكا واحزاب امراء المتناولة في بلاد بشاره والامير يوسف الشهابي فانكسر الامير يوسف مخاف درويش باشا والي صيدا وذهب الى دمشق ملتجئاً وما لبث بها مدة قصيرة الا وتوفي واليها عثمان باشا فارسلت الدولة عوضاً عنه عثمان المصري الوكيل والياً على دمشق ولما بلغها ارسل ودعا خليل باشا والي القدس الى محاربة ظاهر العمر وامر الامير يوسف ان يستعد لمساعدة خليل باشا فوقع القتال قرب صيدا فتغلب ظاهر العمر وفر خليل باشا الى دمشق بعد ان قتل من عسكره الف وخمس مئة مقاتل . وسنة ١٧٧٢ وقع نفور بين عثمان باشا والامير يوسف الشهابي فخرج عثمان باشا من دمشق بعسكره ونزل في البقاع بصحراء بر الياس فلما بلغ الامير ذلك جمع عسكراً ونزل به في المغيشة ثم انحدر لقتال الوزير وحدث بينهما مواقع لم يتم بها الظفر لاجد منها . ثم استنجد الامير بعلي بن ظاهر العمر وبالشيوخ ناصيف النصار كبير بني علي الصغير فانجداه بمجيش جرار ونزلوا في قرية الفرعون . ولما بلغ عثمان باشا ذلك دخله الهلع والرعب وتقلقل عسكره ففر هارباً تلك الليلة الى دمشق تاركاً المدافع والخيام والعلائف فغنيها عدوه . وبعد ذلك عزل عثمان باشا وتولى دمشق محمد باشا العظم . وسنة ١٧٨٢ زحف الوزير احمد باشا العظم من دمشق بمجنوده لمحاربة الجزار بالاشتداد مع الامير سيد احمد الشهابي ونزل قرب قلعة قب الياس وهناك اصطلت نيران الحرب فانكسر بعسكره ونهقر حتى دخل دمشق ثم اصطلح هو والجزار واخرى قلعة قب الياس لانهما اعتبراها اصل الفتن . وسنة ١٧٨٧ وجهت ولاية دمشق على احمد باشا الجزار فصار اليها واستلم زمامها فصار والي دمشق وصيدا سنة ١٧٨٨ عزل عن ولاية دمشق ووجهت ولايتها الى ابراهيم باشا . ثم ثلث الحال ورجعت ولاية دمشق الى الجزار فكان يضع بها نائباً من قبيله ويستقر في عكا وكان قد اخذها من الزيادة

وكان الجزار ظالوماً عاتياً متقلباً سفكاً للدماء بلاصاً للعباد قاسياً وقد فاز

بشهرة كاية وخشية الناس لشهره وجوره مات في عكا سنة ١٢١٩ هجرية ودُفن بها
وكان لا يسمع للدولة العثمانية ولا يطيع اوامرها وقد فرح الناس لموته كل الفرح
فقال الشيخ مصطفى الرومي مؤرخاً

هلك الجزار ولا عيب ومضى بالخزي وبالاثم

وبينت البارى عنا ارج قد كف يد الظلم

وعند موت الجزار كان بسجنه اسمعيل باشا فاخرجه الشيخ طاهما الكردي
واجاسه عوضاً عن الجزار مدعيًا بان الجزار بايعه بالولاية قبل موته . وكتب
اسماعيل باشا الى اصحاب الولايات والمناصب يبشرهم بولايته . اما نائب الجزار في
دمشق فلم يرد ان يعرف اسمعيل باشا والياً فكتب للامير بشير عمر الشهابي
الملقب بالكبير يطلب منه محافظه الطرقات وان يدهُ برايه فاجابه الاميراني
فعلت كل شيء قبل ورود رسالتك واما اسمعيل باشا فلم اعرفه لان الدولة لم
تنصبه . وبعد برهة الى ابراهيم باشا والياً على دمشق فسار مع عساكر الامير
بشير وقتل اسمعيل باشا والي عكا ووضع عوضاً عنه سليمان باشا فرجعت
دمشق اىالة على حداثها وكان ذلك سنة ١٢٢٠ هـ الموافقة سنة ١٨٠٥ م

وسنة ١٨١٠ م او سنة ١٢٢٥ هـ كان والٍ في دمشق اسمه يوسف باشا
فعزاه الدولة وارسلت فرمان الولاية على دمشق الى سليمان باشا والي عكا فتمنع
يوسف باشا عن تسليم الولاية وقصد حرب سليمان باشا وارجاعه فلم يفر به رغوبه
لان سليمان باشا ضم الى جنده عساكر الامير بشير الشهابي وبعد موقعة جرت
بنواحي قطنا والجديقة سلم اعيان دمشق لسليمان باشا وهرب يوسف باشا
فدخل الامير بشير مع سليمان باشا الى دمشق واستلم المدينة

وانقلب الوزراء على دمشق حتى صارت ولايتها لدرويش باشا وولاية عكا
لعبد الله باشا الخزندار فجرت وحشة بينهما لان درويش باشا كان يدعي بانه والي
دمشق وصيدا وعبد الله باشا كان يمضي بانه والي جميع سوريا وكانت نتيجة هذه
المباينة انقطاع المواصلات والاستعداد للحرب فطلب عبد الله باشا مساعدة

الامير بشير فدهُ بالجنود اللبنانيين . واما الدولة العلية فاذا كانت ترغب في اذلال عبد الله باشا بعثت باوامرها الى والي حلب ان يساعد درويش باشا والي دمشق على انه سبق فتوح الحرب ورود الاوامر لوالي حلب فسارت جنود عبد الله باشا وجنود لبنان مع الامير بشير وولده الامير خليل وهزموا عساكر دمشق التي خرجت للقائهم ونقدوا نحو قرية المنق فكانت المدافع تطلق عليهم كراتها والرصاص يطر فوقهم فثبت رجال الامير بشير بالتزال ونقدوا رغماً عن نيران الاعداء وبعد معاناة المتاعب الكلية تمكنوا من الاقتراب من حيطان قرية المنق وتسلفوا عليها واشعلوا فيها النار والقتال مستمر فلما نظر خيالة عسكر دمشق دخان المنق مرتفعاً وخيالة عسكر عكا تضايقهم والرصاص من مشاتير يهلك رجالهم وخيولهم ولوا منكسرين كما ولت عساكر المشاة من داخل القرية فتبعهم عسكر عكا الى قرب دمشق فالتزم بعضهم ان يلقوا انفسهم في المياه طائبا للنجاة واما الامير فلم يسمح بدخول عسكره الى دمشق خوفاً عليها من النهب فرجع بالعسكر واقام به في سهل المنق . اما قتلى عسكر دمشق فكانوا ينيفون على الالف ومئتي نفس على ما قيل وقتلى عسكر عكا وجاعة الامير نحو ٤٠ نفراً . ولما راي درويش باشا انكسار عساكره تحصن بقلعة دمشق وليث بها ينتظر قدوم النجاة عابه من والي حلب وادنه فلما عرف الامير بشير بان النجاة آتية بسرعة وان الدولة العلية قد صدرت امرها بتولية درويش باشا على دمشق وعكا وانها قد عزلت عبد الله باشا عن ولاية عكا رحل بجنوده بعد ان ارسل وخاطب مصطفى باشا والي حلب خطاباً لطيفاً وقد جرت هذه الحوادث المعروفة بوقعة المنق سنة ١٨٢١ م الموافقة سنة ١٢٣٥ هـ ولم يزل قوم من الذين عابوها احياء (١)

(١) انه في كل هذه المدة لم يكن راحة لابناء السبيل في دمشق لان تعديات الجندية كانت كثيرة لعدم خضوعها للنظام واذا كان اصحابها اولو السطوة لا يسألون عما يفعلون دخل في سلكها كثير من الاهالي ثم انقسمت المدينة الى حزبين حزب انكشاري وحزب

وسنة ١٢٤٧ هـ الموافقة ١٨٣١ م ابتدأت الحوادث المهمة والانقلابات العظيمة في سوريا وكانت نتيجتها انتقال البلاد الى حكومة مصر وادخال انوار التمدن اليها وكان في هذه السنة والى على دمشق اسمه سليم باشا كان قبلاً صدراً اعظم واشترك في اهلاك الانكشارية في الاستانة وتنظيم العسكر الجديد فهذا الوالي احدث في دمشق ضريبة طفيفة واجبر الاهالي على دفعها للخرينة وفرضها على المخازن والدكاكين وغيرها وحيث لم يسبق لاهالي دمشق عادة ان يعطوا شيئاً عن ذلك حتى ولا عن دكاكينهم وبساتينهم نادوا على واليهم بالعصيان وقصدوا الايقاع به . والذي زاد جراتهم هو ان هذا الوالي عندما اتى دمشق اتى بعسكر منظم فظنوا ان قصه الايقاع بالانكشارية فنفاه القوم العاقبة فقصدوا ان يفطروا به قبل ان يتعشى بهم (١)

ولما ثار الاهالي على سليم باشا اخذوا يضربون الطبول الكبيرة ويطوفون في انحاء المدينة ولما عرف سليم باشا بانه لا بد من الايقاع به دخل القلعة مع قبيقولي وكانت العداوة بينهما عظيمة وشديدة حتى انه لم يمض يوم الا وتحدث فيه مشاجرة وفي بعض الاحيان كانت تغلق الحوانيت ويمجري الدم بين الثائرين واحياناً كانوا يخربون احياء برمتها وكانت التعديات على اهل العرض والذمة كثيرة جداً وكانت المرأة الحسناء لا تجسر ان تخرج من بيتها بدون ان يحرسها حارس قوي وان لم يكن حارس فتلتزم ان تلبس ملابس رثة وتخفي ظهرها ليظنها من براها حيزبونا وكان كل صاحب مهنة يصحب اسلحته معه الى محل عمله ليكون على استعداد حتى اذا جد شر ينضم الى حزبه وكان اهل الذمة بحالة يرثى لها وكثيراً ما وقعت التعديات عليهم وكانوا يتكيسون باصحاب السطوة من المسلمين لصيانة انفسهم اما الحكومة فكانت بيد رجل يجلس بباب السرايا بسهونه تفكي باشي فكان يفضي ويمضي بحسب امياله فمن شاء ظلم ومن شاء رحم غير مختشـ لوم لا ثم وقد قلت بضاعة المعارف لرواج بضاعة السيوف والعصي

(١) لم يكن للدولة العثمانية وقتئذ مكوس على دمشق سوى مال الجمارك على الداخل اليها من خارج اياالة دمشق لاعلى الصادر منها ويبلغ دخل ذلك نحو الفى كيس سنوياً وكان لها على النصارى واليهود مال جزية الراس يزيد وينقص بحسب عدد الاشخاص ومال غنم الكنائس وامما المسلمون فلا يدفعون شيئاً البته ومجموع الدخل لم يكن ينيف على ٢٢٠٠ كيس منها تعاضم

فرقة من جنوده والباقون لبثوا خارجها لعدم وجود علف لهم ولدوابهم داخل القلعة واشتعلت نيران الحرب ففاز الاهالي على العساكر الذين خارج القلعة وقتلوا اكثرهم والتجأ الباقيون مع احد ضباط الباشا الاشداء المسمى قاضي قران الى الجامع المعلق قرب المناخلة وكانوا يحاصرون به وسليم باشا يطلق الكرات على المدينة من ابراج القلعة واخيراً تقدم الاهالي واخربوا السوق الجديد واقاموا مناريسهم وشددوا الحصار واخربوا جانباً من سور القلعة الجنوبي ما يلي الغرب والباشا ثبت في الحصار ولكن لما نفذ ما عنده من المؤونة اضطر الى اكل الدواب فنفدت بدون ان يرى نافذة للفرج فاضطر الى التسليم وطلب التامين من اهل البلد فامنوه فخرج من القلعة الى بيت في العسرونية على انه بينما كان مطبئاً هاج عليه الاهالي ثانية مدعين بانه عامل على مكنتهم لم فدافع عن نفسه اشد دفاع واخيراً تقبوا سفن المحل الذي كان فيه والقوا عليه النار فاحرقوا واخذوا جثته وعرضوها للناس فرجة

اما قاضي قران فبعد دفاع عظيم تمكن من النجاة هو ومن معه وفر سالمًا وعند حدوث هذه الحوادث وقع الخوف على النصارى من تعديات جهالة المسلمين . ولكن علي اغا الخزن اكبتي الذي كان من ذوي الباس والسطوة والبعث عن التعصب وهو من اكبر اغوات دمشق اخذ على نفسه صيانة النصارى واليهود من تعديات الاسافل فصانهم وحفظهم بحيث لم يلق باحد منهم ضرر ولما قتل سليم باشا اجتمع الاهالي واقاموا حكومة مؤقتة واخذوا يتوقعون بطش الدولة بهم ولكن لحسن حظهم بلغ الدولة تقدم ابراهيم باشا في سوريا فصرفت نظرها عنهم واعدت الجيوش التي هيأتها للانتقام منهم لمحاربتهم وارسلت والياً على دمشق اسمه علوباشا فزال الخوف والهلع من قلوب الاهالي

وبينما كان اهالي دمشق مشغولين مع سليم باشا كان ابراهيم باشا بن محمد علي باشا يحارب عكا ولما انتهى منها وساق عبد الله باشا اسيراً الى مصر توجه بجنوده مع الامير بشير الشهابي وعساكر لبنان للاستيلاء على دمشق واتوا

وعسكروا في داريا

واما علو باشا والي دمشق فلما عرف بقدم ابراهيم باشا عليه خرج من دمشق بعشرة آلاف مقاتل من الدماشقة والاكرد فالتقاه ابراهيم باشا ووجه عرب الهنادي على خيالة الاكرد واصدر امره لعساكر النظام ان تقابل جموع العساكر الدمشقية وتطلق البنادق عليها في الجو . فلما التقى العسكران واطلق جنود ابراهيم باشا نارا دائمة جزع الدماشقة لذلك وخافوا لانهم لم يعمدوا شيئا مثل هذا من ذي قبل اما الهنادي فتبعوا الاكرد وقتلوا كل من لحقوه منهم . وفي المساء عقد الدمشقيون مجلسا كبيرا مؤلفا من وجوه الاهالي فقرروا ان يقرروا تسليم المدينة لابراهيم باشا فارسلوا اليه رهطا من جانبهم علي آغا عرمان متسلم القلعة وطلبوا منه الامان فامنهم فسلموه مفاتيح المدينة ورجعوا وفي اليوم الثاني دخل ابراهيم باشا بجنوده المدينة من بوابة الله ومعه الامير بشير والامير خليل ولم يوقع باحد ضررا

واقام ابراهيم باشا بدمشق الى ٥ صفر ثم سافر نحو حمص واخذ معه بعض اعيان المدينة وترك بها المعلم بطرس كرامة لترتيب مجلس الشورى ولما تمكن ابراهيم باشا من فتح سوريا جعل دمشق عاصمتها واقام فيها مجالس القضاء وجعل على ولايتها شريف باشا المصري وكان من مساعديه بحري بك وقد كان الاجانب يمنعون قبلا عن الدخول الى دمشق ولكن لما تولى البلاد ابراهيم باشا اخذ يتقاطر السياح اليها . وفي ايامه اول قنصل اجني وكان انكليزيا ورفع الراية الانكليزية فوق بيته واتخذ ترجانا له المرحوم نعمة الحضيرية وهو اول ترجان للاجانب في دمشق وكان رحمه الله من اصحاب الوجاهة والذكاء والغنى بين المسيحيين وله شهرة في التقوى وحسن الادارة وقد توفي سنة ١٨٢٨ بعد ان اقام بخدمة بامانة وجد . ومن ثم اخذ يتقاطر قناصل الدول والتجار ويأتون بالبضائع الافرنجية ويبيعونها بدون ان يصادفوا معارضة . ودامت حكومة ابراهيم باشا في دمشق الى سنة ١٨٤٠ م . وفي تلك

السنة انت مراكب الدول المتحدة واخذت عكا عنوة بعد ان حاربتها ثلث ساعات فقط فالتزم ابراهيم باشا ان يترك سوريا للدولة العلية فخرج منها وسار الى مصر برا عن طريق العريش . ويوم خرج من دمشق قتل علي اغا الخزنا كتيبي وغيره من الاعيان . ولا يلقى بالمؤرخ ان يتغاضى عن ذكر ما اجراه ابراهيم باشا من الاصلاحات في سوريا فانه اجتهد بامر تعميم زراعة توت الحرير ونشط الصنائع وسعى في ترويج التجارة واوجد الامن في الطرقات وقرر حق التملك ومنع الرشوة والمحاباة وكان يرسل ماموريه الى جهات سوريا ليحبروا الاهالي الذين كانوا قد نسوا الاعمال الزراعية حتى يزرعوا اراضيهم وادخل في البلاد زرع الارز والذيل وادخل دودة القرمز الى غير ذلك من المآثر الحسنة

وبعد ان رحل ابراهيم باشا عن سوريا اخذت الدولة العلية ترسل ولايتها الى دمشق كجاري عاداتها فارسلت اولاً علو باشا المار ذكره وكان السنيور وود قنصل دولة انكلترا الشخصية رقيباً على اعماله وكان حسن التدبير والسياسة وعلى جانب عظيم من الدعة والالطف والاستقامة فحذب القلوب اليه ونفذت كلته وحصل على اعتبار جميع الناس على اختلاف مذاهبهم . وقد انتفعت البلاد به . وفي تموز سنة ١٨٥٢ اتى دمشق الهواة الاصفر من جهات الحجاز وهو اول هواء اصفر حدث بهذه المدينة فات به نحو ٣٠ الف نفس وكان وقتئذ صوم رمضان تنهد المسلمين . ولم تتخذ الكرتينيات لانها لم تكن معروفة في سوريا

وسنة ١٨٥٤ انتشبت الحرب بين الدولة العلية بالاشتراك مع الدول المتحدة والروسية فاتي الانكليز واخذوا يعينون اقواماً من دمشق للتخديم فانتظم بجند منهم كثيرون اطعمهم بالاجور الزائدة . (في اواخر هذه السنة ولد مؤلف هذا الكتاب في مدينة دمشق) . وفي مدة هذه الحرب التي انتهت في سنة ١٨٥٦ بعهدة باريز راجت الاشغال بدمشق واي رواج وكثر ربح الاهالي والمرجح ان ذلك من المال الذي صرفته دولتنا فرنسا وانكلترا في الممالك العثمانية

وبعد انتهاء الحرب بين الدول وروسيا حدث بين مسيحيي دمشق حادث

مزعج اشغل افكار مسيحي سوريا اجمع وذلك ان البطريرك اكليمندوس الروم الكاثوليكي أعلن وجوب انتقال حساب كنيسة الشرقي الى الحساب الغربي فهذا الانتقال جعل شغباً في الشعب وحدث اموراً مهمة ليس من متعلقات كتابنا هذا البحث فيها ودامت المجادلات والمناقشات الى سنة ١٨٦٠ م حيثما ثارت الفتنة في جبل لبنان بين الدروز والنصارى وامتدت شرارتها الى دمشق وجرى بها ما جرى من الفتك الذريع بالنصارى وهي المعروفة بمحاذة ستين ولي في ذلك رسالة وافية سانشرها اذا وفق المولى

وفي اليوم الثامن من المحاذة التي معمر باشا والياً على دمشق فارسل المنادين ينادون بالامان ومنع التعدي فخذت الفتنة ورجع كل من الشائرين الى محله وبعد ايام حضر فواد باشا مأموراً مفوضاً من قبل الدولة لاصلاح احوال سوريا بعد ان حضرت مراكب الدول العظيمة الى بيروت لصيانة النصارى وقصاص المتعدين فاتي دمشق حالاً وارسل احمد باشا (الذي كان على دمشق مدة المحاذة) الى الاستانة . ثم اعيد الى دمشق حالاً وقتلوه فيها باطلاق الرصاص وقتلوا معه القائد الذي حضر مذبحة نصارى حاصبيا واليكباشي الذي حضر مذبحة نصارى راشيا

وحال وصول فواد باشا الى دمشق دخل القلعة ونظر النصارى المصابين جراحاً عراً بحالة تفتت الاكباد وحرارة الشمس تفعل بهم نهارة وبرد الليل ليلاً فاثربهم منظرهم الحزن وابكاه فامرهم بعينيات يومية لسد جوعهم وبأكسية لستر اجسامهم واخذ يلاطفهم بكلام عمومي ويعدهم بتحصيل حقوقهم ومقاصد المتعدين عليهم

وفي اليوم الثاني اصدر اوامره المشددة بجمع مسلوبات النصارى فكانت تجمع بسرعة على انه لم يصير جمعها بالترتيب اذ لم تقيد بدفاتر فلم يصل منها الا ما قل واما الجواهر والحلى الثمينة فالبعض ممن نهبوها حرزوا عليها واخفوها والبعض باعوها لليهود بالبخس الاثمان . ثم سمح للنصارى بهاجرة الشام فرحل كثيرون

منهم الى بيروت وغيرها من الاساكل وافرج لمن بقي منهم في دمشق ما يلزم من بيوت المسلمين واسكنهم فيها وكان خرجهم من خزينة الحكومة بانصال وقد وردت لهم مساعدات كثيرة من المحسنين في اوروبا واميركا

ثم انتخب فواد باشا مجلساً للفحص عن قاموا بالثورة فحكم المجلس على بعض من اشتركوا في الحادثة بالقتل والنفي فشنق نحو سبعين رجلاً وقتل بالرصاص مئة واحد عشر رجلاً ونفي بعض الاعيان والعلماء والوجوه ونحو اربعة الاف نفس من العوام ومن كان منهم شاباً ادخل بالسلك العسكري

وبعد ان انتهت امور جبل لبنان على الوجه الذي نراه عليه الآن وراقت الاحوال في دمشق وانعم على النصارى بتعويضات عن مسلوباتهم ومحرقاتهم رجع فواد باشا الى الاسنانة وصار صدراً اعظم وانصرف الفرنسيون ومعتدو الدول وبوارجهم من بيروت فاخذ المهاجرون من دمشق يرجعون اليها شيئاً فشيئاً على انه قد استوطن منهم كثيرون في بيروت ومصر والاسكندرية ولا يزالون هناك. ثم اخذ نصارى دمشق يبنون كنائسهم ودورهم ودكاكينهم ولم تمض بضعة سنين الا اصبحت احياءهم عامرة. وقد ارتفعت اجور البنائين ومن لهم تعلق بالبناء حتى بلغت اجرة العامل خمسين غرشاً يومياً هذا فضلاً عن ارتفاع اثمان مواد البناء فلتحق بالنصارى اضرار بالغة بسبب ذلك

وخلف معمر باشا في ولاية دمشق المرحوم شرواني باشا الذي كان في مجلس التحقيقات عقب حادثة دمشق فاحدث تحسينات كثيرة وسنة ١٨٦٤ تشكلت ولايات المماليكة العثمانية فصارت دمشق عاصمة ولاية سوريا ووجهت ولايتها الى مخلص باشا ثم لعنه المرحوم راشد باشا ودام على سوريا ست سنين واجرى بها اصلاحات كثيرة وردع اصحاب التعدي من العربان والنصيرية ودخلت في ايامه المبادئ الماسونية في دمشق (وكان ماسونياً) وراجت اسواق المعارف والآداب وكثرت المدارس والجرائد في بيروت. وفي اول توليه كانت الاعمال رائجة والارباح كثيرة وقد احبب الناس حباً شديداً ولم يزالوا

يذكرون أيامه ويتأسفون على فواتها
 سنة ١٨٧١ تولى
 دمشق صبي باشا ثم حالت باشا ثم اسعد باشا ثم حمدي باشا ثم ناشد باشا
 ثم ضيا باشا والي اطنه حالاً وفي غيابه احيات وكالة الولاية لدولتو عزت باشا
 مشير العرضي الهايوني الخامس وذلك سنة ١٨٧٧ م وكانت حرب بين الروسية
 والترك فجرد كثيراً من العساكر من سورية وارسلها الى ساحة القتال ثم
 عين عمر فوزي باشا والياً ولم يلبث ان طلب الى الاستانة وفي اوائل سنة ١٨٧٨
 اتى جودت باشا والياً على سوريا وفي تشرين الثاني طلب الى الاستانة فاقيم وزيراً
 للزراعة واتى مكانه مدحت باشا الوالي الحالي فدخل دمشق يوم الثلاثاء في ٢
 ك ١ سنة ١٨٧٨ ففرح الناس بقدومه لما سمعوا عنه من الاستقامة والدراية واملوا
 الاصلاح في ايامه . ومنذ سنة ١٨٦٠ الى الآن اي نهاية سنة ١٨٧٨ حدث
 بدمشق امور مهمة ففي سنة ١٨٦١ و ١٨٦٢ و ١٨٦٣ كانت الاثقال بهار اثمجة
 والمصنوعات جيدة والذهب كثير بايدي الناس وسنة ١٨٦٤ ذهبا الجراد
 فاتفق اكثر مزروعاتها ومنذ ذلك الوقت اخذت الاعمال بالانحسار شيئاً فشيئاً
 والاهالي بالضعف المالي ودخل بينهم روح التفرنج فكاد يهلك ثروتهم وفي صيف
 ١٨٦٥ اتاها الهواء الاصفر فمات به نحو عشرة الاف نفس وسنة ١٨٦٧ الموافقة
 سنة ١٢٨٧ كان غلاء شديد وتوقفت الاشغال ودام ذلك الى سنة ١٨٧١ وهبط
 سعر الحنجر فلحق ضرر عظيم باصحابه وسنة ١٨٧٢ انحبست الامطار فصار غلاء آخر
 واشتد ضيق الاهالي وفي اذار هطلت الامطار والثلوج فسدت الطرقات واشتد
 الغلاء حتى بيع جفت الحنطة (٢٥ اقة) بمئة غرش ونيف وكان البعض يأكلون
 بقول الارض لفقرهم . وسنة ١٨٧٥ عاودها الهواء الاصفر واستقام شهرين فمات
 به تسعة آلاف ومئتان منهم ٢٥ نسمة من النصاري (واول من مات بهذا الوباء
 امرأة الخواجه نقولا السبط وكانت من الفريديات بالتهذيب والجمال) . وفي
 اواخر ايار في تلك السنة هطلت سيول مفعمة فطاف نهر بردى فاقطع
 الجسور المتينة وعلت المياه فوق سطح المرجة ذراعاً ونصفاً ودخلت دائرة الحكومة

وسوق الخيل والمحاربة حتى دخلت العمارة فاخذ الصيادون يصيدون الاسماك من اسواق المدينة التي دخلتها المياه . وسنة ١٨٧٦ و ١٨٧٧ اخذت الاحوال تتأخر تأخرًا متصلًا بسبب الحروب الاهلية وحروب الروس والدولة العلية حيث غاب كثيرون الى ساحة القتال واسباب أخرى دعت الى الفقر عدلنا عن ذكرها حبًا بالاختصار . وسنة ١٨٧٨ كانت بدايتها كالتي قبلها على انه في اولها وقع الصلح بين العثمانيين والروسين فراجت الاشغال قليلاً ثم صار غلاء فبيع جفت الخنطة بخمسة وسبعين غرشاً والشعير بخمسة وخمسين وكانت الامطار في اولها كثيرة والثاوج متصلة حتى ان الناس لم يروا الشمس مدة شهرين ونصف وقد قال الشيوخ بانهم منذ مدة ابرهيم باشا لم يروا في دمشق امطاراً كهذه

وفي الربيع اتى الجراد فالتلف المزروعات الصيفية واضر بالاشجار ثم تبعه مرض ابوهدلان فافنى الابقار

اما الراحة فسائة الآن في دمشق والاهالي عائشون بالحب والوفرة مع بعضهم اسفون من جرى حادثة سنة ١٨٦٠ التي سوّدت تاريخ مدينتهم

خاتمة مختصرة

خضعت دمشق للسلطين العثمانيين حتى الآن واول من دخلت في ملكه السلطان سليم الاول ابن بايزيد وهو الذي اخذها من ملوك مصر وبعده السلطان سليمان الثاني ثم بقية السلطين

ولا يخفى انه بعد انحطاط قدر انطاكية العظمى نقل البطارقة الانطاكيون كرسيمهم الى دمشق سنة ١٥٢٩ وقد استوى على ذلك الكرسي كثير من البطارقة الدمشقيين والحلبيين وغيرهم وفي ايام ولاية ابرهيم باشا على دمشق دخل اليها مرسلو البروتستانت وقد انشأوا فيها وفي قراها عدة مدارس . وسنة ١٨٧٢ دخل دمشق الرهبان اليسوعيون واخذوا يشتغلون بنشاطهم المعتمد

الكتاب الثاني

في اوصاف دمشق

فصل

في ابنية دمشق

ابنية هذه المدينة شاهقة ملتصقة بعضها ببعض لا فسيحة بين الدار والاخرى
حتى كأن المدينة بناء واحد

وهذه الابنية التي نشاهدها كابرار عالية مبنية بحجارة بسيطة من وجه
الارض الى ما فوقه بثلاث اواربع اذرع وما فوق ذلك من لبن او لبن وخشب
وكلها مازورة بطين احمر اوشيد ولا منظر لها من خارج واما من داخل فهي دور
فسيحة مزخرفة بانواع الزخارف والنقوش وفي صحنها برك مخفوفة بالدهون وغيره
من الاشجار مع كثير من النباتات العطرية ذوات الازهار الجميلة والروائح
الذكية . ولنساء دمشق غرام زائد بالازهار فيحرصن عليها الحرص الشديد

ولا تدخل داراً من دور دمشق الا تجد في حجرها فرشاً جميلاً قيمته بحسب
اقدار صاحبه وهو معمول بحسب الطراز الشرقي اي من مقاعد ومساند
وسجادات وبسط وما اشبه على انه في السنين المتاخمة فرش بعض الاغنياء بيوتهم
بالاثاث الغربي ولكنهم ابقوا في البيت حجرة فرشها شرقي وفي بعض الدور
قاعات رفيعة مدهونة باجل الادهان في وسطها برك يجري اليها الماء بانصال
وما يزيد دور دمشق حسناً لطف اهاليها العجيب وانسهم الغريب فانهم
يستقبلون كل من زارهم بالبشاشة والملاطفة والترحاب والدعة ويحفلون به
ويعزونه ولا يبدون لديه الا المعروف غنياً كان ام فقيراً ولا سيما اذا كان غريباً
عن ديارهم وامصارهم واذا تعرف الغريب باحدهم عرفه بكل اصحابه باقصر
وقت فصار كواحد من السكان

اما طراز ترتيب الدور داخلاً في هذه الايام فهو غالباً ايوان وعلى كل من جانبيه حجرة وبقية الحجر تقابل بعضها بعضاً وعليها علال لها نوافذ كثيرة يغشاها البلور يسمونها فرنكات وكل دار لا بد لها من صحن وفي بعض الدور اقبية تحت الارض يضعون بها المؤنات

ومن اشهر دور المدينة القديمة دار عبد الله بك العظم واقعة بطرف سوق الزمرية الشمالي وهي كبيرة جداً وتحتوي على اجل الناعات الشرقية وفيها بضع برك واسعة فلما يوجد نظيرها ويقصد هذه الدار اهل السباحة للفرجة . قيل ان بها ثلاث مئة وستين حجرة بين سفلية وعلوية وقد بنيت منذ اكثر من مئة وعشرين سنة

ومن الدور الحديثة في حي النصاري ما بين باب توما وطالع القبة دار حبيب افندي الصباغ بناها المرحوم متري افندي شاموب وتم بناؤها سنة ١٨٦٦ وهي متسعة جداً مرصوفة بالرخام فيها كثير من الاعمدة المرمرية البيضاء وكثير من المقاصير والحجر والقاءات الجميلة المزخرفة وحديقتهما تحتوي على اجل الازهار قيل ان نفقتها بلغت ٢٦ الف ليرة . ولما توفي بانيها اشتراها حبيب افندي صباغ باربعة آلاف ليرة

ودار المرحوم انطون افندي الشامي وهي اجل واوسع من الاولى تم بناؤها سنة ١٨٦٦ ايضاً وبلغت نفقتها ٢٠ الف ليرة . ولما زار دمشق ولي عهد امبراطور روسيا سنة ١٨٦٩ نزل بها وشهد بانها احسن الدور التي شاهدها بسياحتها في المشرق . وموقعها الى الجنوب من الاولى

ودار يوسف افندي عنبر موقعها في حي المتكئة قال من ساح بلاد سوريا ان ليس هذه الدار نظير على الاطلاق حتى انه يعز وجود نظيرها في اوربا لانه فضلاً عن اتساعها العظيم وانتظام هندستها وسعة بركها وكثرة مياهها ورصف ارضها بالرخام الملون ثرى جدرانها قائمة على كل دوائرها من رخام ملون منقوش باجل النقوش بنوع لم يوجد له مثيل في دمشق وخلافها الى ان قال

وهذه الدار تستحق الفرجة وامعان النظر لما بها من دقة صناعة البناء والنقش وانما بنقوشها الكثيرة اشبه بقلعة بعلبك وقال غيره ان دار الخواجه عنبر لو احنوت على عظم الحجارة مع ما بها من غرائب صنعة النقش لساغ لنا القول ان بعلبك جد يدك بنيت في عصرنا وقال آخر من لم يمكنه التفرج على نقوش بعلبك الجميلة بقدر ان يستغني عنها بالتفرج على دار الخواجه عنبر . وكان الشروع في بنائها سنة ١٨٦٧ واشتغل بها العملة بضع سنين ولم تكمل بعد لان احوال بانيتها قد تاخرت وما بني منها كانت نفقة ٤٢ الف ليرة ومواد البناء والاجور رخيصة ولو شرع في بنائها يوم بنيت دار المرحوم انطون الشامي المار ذكرها لكلفت ٩٠ الف ليرة ومن عرف رخص مواد البناء في دمشق وبخس اجور العملة علم حالة الدار التي كلفت تلك المبالغ العظيمة

ودار شمعايا افندي ودار الخواجه اسلامبولي ودار الخواجه ازبونا ولم يصرف على الواحدة منها اقل من ٢٠ الف ليرة وكل هذه الدور بحسب اليهود وقد بنيت بين سنة ١٨٦٥ وسنة ١٨٧٢

ودار سعيد افندي قوتلي بجوار الجامع الاموي من جهة الشمال ودار اخيه مراد افندي بزقاق العواميد نزل بها الكراندوق نقولا الروسي وشهد بها ما شهد ولي عهد المانيا بدار الشامي . ودار حسن آغا البارودي ودار سمادة محمد سعيد باشا وكل هذه حديثة العهد انفتحت عليها المبالغ العظيمة ويوجد دور كثيرة معتبرة اعرضنا عن ذكرها اكتفاء بالاشهر

وكان عدد دور دمشق بالثقرير الرسمي سنة ١٨٧١ م الموافقة سنة ١٢٨٨ هـ نحو ١٤٦٩٦ دارا لكل الطوائف

اسواق دمشق

اسواق دمشق كثيرة العدد وهي على نوعين مجموعة ومتفرقة وكلها تخموي على ٦٩٠٠ دكان اما الاسواق المجموعة فيطلق عليها اسم المدينة وفيها اصحاب

التجارة وارباب البيع والشراء الاغنياء وتباع بها الاقمشة والبضائع الثمينة وغيرها
وهي اول سوق العلمية يعملون بها العلب الخشبية وما اشبهها (٢) سوق الدقاقين
وبها يدقون الاقمشة الحريرية (٣) سوق البرورية وهي سوق العطارين تباع بها
السكاكر والمربيات والحلويات وهي سوق جميلة مرتبة (٤) سوق الحبالين يباع
فيها المرس والخيطان والحبال (٥) سوق اليعجبية تباع فيها العبي (٦) سوق
الحقق ويقال لها السوق الطويلة لطولها وهي جزء من الطريق المستقيم القديم
وبها تباع الديما والعبي والاموال المانيفاتورة التي يستعملها الفلاحون (٧) سوق
القطن وبها يباع القطن والغزل عمل البلاد . وكل هذه الاسواق الا سوق
البرورية على خط واحد ممتد من الشرق الى الغرب (٨) سوق باب الجماية
وفيها تباع العطاراة (٩) سوق السلاح ويقال لها سوق الثمن ايضا (١٠) سوق
العقادين وكان فيها عقادون فقط واما الآن ففيها صاغة ايضا (١١) سوق
الصاغة وهي سوق على حداثها متصلة بالعقادين ولها اربعة ابواب ودكاكينها
مفصول بعضها عن بعض بالواح خشبية فقط (١٢) سوق القباقيب وبها يعملون
القباقيب والصناديق والصواني الجميلة المطعمة بالصدف وهذه السوق تمتاز
عن غيرها بكون سقفها معقودا بالحجارة (١٣) سوق الخراطين (١٤) سوق
القوافين وبها تباع الاحذية العربية (١٥) سوق الحرير وكان يقيم فيها
باعة الحرير واما الآن ففيها عملة الكنادر وباعة المانيفاتورة (١٦) سوق القليجية
(١٧) سوق النورية ويقال لها سوق الغزولية ايضا (١٨) سوق الخياطين وبها
باعة الاجواخ والمنسوجات وغيرهم (١٩) سوق باب البريد وهي اجل اسواق
المدينة كلها واحسنها وبها تباع منسوجات هذه البلاد ومنسوجات بلاد الافرنج
الثمينة ولا تخلو من مئات بل من الوف من الناس وفي وسطها قبة شاهقة قائمة على
اعمدة عظيمة عليها كتابات كثيرة بالعربية والكوفية ومن جملتها هذان البيتان
عرج ركابك عن دمشق فانها بلد نذل لها الاسود وتخضع
ما بين جايها وباب بريدها قمر يغيب والف بدر يطلع

(٢٠) سوق العصرية فيها تباع الاواني الباورية والخزفية وهي مكشوفة لا سقف لها (٢١) سوق باب القاعة مكشوفة ايضاً (٢٢) السوق الجديدة وهي مشهورة كباب البريد وبها كثيرون من باعة الجواهر ومن يخيطنون الملابس الافرنجية وغير ذلك (٢٣) سوق الاروام وهي سوق الدالين (٢٤) سوق النسوان وهي جزء من سوق الاروام (٢٥) سوق القميلة وبيع فيها النقاس المستعمل وغير المستعمل والاثاث المستعمل والاسلحة وغير ذلك (٢٦) سوق السروجية وتعمل بها ادوات الخيل (٢٧) سوق الزرابلية وقد احترقت منذ عشرة سنين الى الآن اربع دفعات (٢٨) سوق الدرويشية وهي ممتدة من راس سوق الاروام الى باب الجابية جنوباً (٢٩) سوق السنانية وبها قوم يعملون العلب وغيرهم تجاس وصباغون (٣٠) سوق الارز وهي سوق صغيرة متصلة بالبنورية

هذه هي الاسواق المتفرقة فكثيرة جداً لانه لا بد من سوق ان اكثر بكل حي كبيراً كان ام صغيراً ومن هذه الاسواق ما هو مجموع او متصل ببعضه ببعض ايضاً كسوق علي باشا الجديدة تم بناؤها منذ اربع سنين وفي راسها الغربي قراة خانة وهي الوحيدة في دمشق وسوق الخيل وسوق الجبال وسوق الخضروية تباع فيها الخضرو والفواكه بالجملة وسوق الخمير وسوق المخايرية وبها يعملون المخاير والصناديق البسيطة للفواكه وسوق المناخية والبوابجية وكل هذه متصلة مشهورة وسوق العمارة وهي سوق طويلة مشهورة تباع فيها لوازم القوت وغير هذه الاسواق مما يطول شرحه وفي راس سوق السنانية الجنوبي سوق تجتمع فيها الوف من الاغنام كل يوم باكرًا فياتي الجزارون ويشتررون لوازم يومهم ويمتد من راس هذه السوق الجنوبي طريق متسع مستقيم طوله نحو ميلين يخترق الميدان من الشمال الى الجنوب وعلى جانبيه دكاكين وقهاوى وحواصل الخنطة وهذا الطريق مكشوف وكان مختلف العرض وغير مرتب وفي ايام ولاية المرحوم راشد باشا تحسن وصار صالحاً لسير المركبات وزرع على جانبيه اشجار من الازدرخت على بعد متناسب ولعدم الاعناء بهذه المغروسات يبست ولم يبق منها الا بقية قليلة

جدًا وعرض هذا الطريق ينيف على خمسين قدمًا ففي الوسط طريق للعربات والدواب وعلى جانبها رصيفان من حجارة عرض كلٍّ منهما عشر أقدام وهما لسلوك الناس وبين كل رصيف والطريق الوسطى قناة صغيرة مكشوفة عملت لجر الماء صيفًا لرش الطريق الوسطى ولسير الماء شتاءً إلى البوائع ولو اعنتي بتلك الاغراس بعد راشد باشا لأضحي الميدان من أحسن أقسام المدينة وأجملها وكل الأسواق التي يطلق عليها اسم المدينة مستقيمة عريضة جميلة مرتبة لا ترى الشمس في الصيف ولا الأمطار في الشتاء لأنها مسقوفة إلا ما استثنيناهُ وكل يوم يرى فيها الوف من الرجال والنساء للبيع والشراء وفي أيام الأعياد الشهيرة تغص تلك الأسواق بمجاهير الناس وارض هذه الأسواق كانت من قبل مرصوفة بحجارة على أنه لثمادي الأيام تغطت بتراب وكثرة رش المياه عليه صيفًا وتواصل دوس الأقدام صار كبلاط لا يصدر عنه الغبار فلذلك ترى البضائع دائمًا نظيفة وقبل سنة ١٨٦٣ كانت أسواق المدينة ضيقة حيث كان لكل دكان مصطبة امامة وفي السنة المذكورة اعنتي المرحوم شرواني باشا بتنظيم طرقات دمشق وتحسينها ورصفها بالحجارة على طراز جديد فاقبلع تلك المصاطب من امام الدكاكين فعرضت الأسواق وتحسن منظرها وما بقي قابل الإصلاح اتمه المرحوم راشد باشا

ولما اصلى شرواني باشا الطريق خارج المدينة من جهة مسجد القصب نقش تاريخ ذلك على سبيل بين مسجد القصب وبرج الروس وقد اثبتناه هنا وهي

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| بني طرق الهدى رشدي البرايا | وزير البس الدنيا جالا |
| قدارك جلقًا من بعد ضعف | فنايت من عدالتهم اعندالا |
| وآلف مجلس التحسين نظمًا | فعم بنفع الشام ارتجالا |
| وكلف صالح الافعال سعيًا | بصالحها فكان الاسم فالالا |
| فجدد عندما التاريخ حيا | سبيلًا قد جرى عذبًا زلالا |

اما دكاكين المدينة فكلها عقود وعمات هكذا حذرًا من الحريق وطرارها شرقي على انه قد عمل بعضها يوم تصلحت الاسواق بحسب طراز الافرنج. واسقفه الاسواق شاهقة وكلها جملونات خشبية (الأسواق القباقيب) وفي اسواق المدينة كثير من الحمامات والحمامات والجوامع وقليل من القهوى

كنائس دمشق واديرتها

لكل طائفة من طوائف النصارى في دمشق كنيسة او اكثر وكلها (الكنائس الميدان) تجددت بعد سنة ١٨٦٠ وقد كانت اكثرها قبل الحادثة عامراً مشيداً وما لم يكن موجوداً انشئ بعدها فاطائفة الروم الارثودكس ثلث كنائس ثنتان في المدينة وواحدة في الميدان فالاولى الكنيسة الكبيرة مبنية على اسم مريم العذراء وتعرف بالكنيسة المريمية وهي قديمة العهد يظن بان اسمها وضعت منذ ايام ارخاد يوس قيصر المار ذكره وقد كانت عظيمة ولما فتح المسلمون دمشق كانت من القسم الذي استولى عليه خالد بن الوليد بالسيف فاخذها المسلمون واهملوها فخربت ولما تولى الخلافة الوليد بن عبد الملك الاموي كان يلاصق الجامع الاموي كنيسة على اسم مار يوحنا فاخذها من النصارى و اضافها الى الجامع ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز استدعى النصارى اليه ان يعرضهم معبدًا عوضاً عن المأخوذ منهم فعرضهم بالكنيسة المريمية فعمروها عمارة عظيمة وبقيت هكذا الى ٢٧ رمضان سنة ٦٥٨ هـ اذ اخرجها المسلمون عند ما ثاروا على النصارى وبعد مدة استأذن النصارى واعادوها كما كانت ثم في سنة ١٤٠٠ م اخرجها تيور كغيرها من عمارات المدينة ثم ارجعت وكانت مبنية من حجارة كبيرة على غاية من المتانة (ولها اقبية كبيرة تحت الارض قتل بها سنة ١٨٦٠ عدد وافر من الذين التجأوا اليها) وكانت تقسم الى كنيستين الاولى على اسم السيكة وبها ايقونة جميلة يسمونها المسكوبية والثانية كنيسة مار نقولا وسنة ١٨٦٠ احترقت الكنيسة المريمية وخربت خراباً تاماً سنة ١٨٦١ شرعوا في تجديدها وعلوها كنيسة واحدة

يبلغ طولها نحو ٧٠ ذراعاً وعرضها نحو أربعين وقد اعلموا ببنائها فانتهت من اجل
كنائس سوريا ومصر . والثانية كنيسة مار يوحنا الدمشقي وهي على بعد
قليل من الاولى الى جهة الشمال الشرقي وموقعها في الاسية بناها المرحوم المطران
أيو انيكوس المساميري الدمشقي بامداد روسيا غنيب حادثة سنة ١٨٦٠ على
اسم مار يوحنا الدمشقي وقد كانت قبلاً داراً لقنسلات روسيا ولما ارتد بانيتها
الى الكنيسة الكاثوليكية التي خرج منها استرجعها الروم بامر الباب العالي فهمة
المرحوم انطون افندي اللاذقاني وغيره وكان ذلك بعد تكريسها بوقت قصير
وهي كنيسة صغيرة بلاصقتها مدرسة لطائفة الروم الارثوذكس بناها غبطة
البطريرك ابروئوس الحالي اما كنيسة الميدان فموقعها في القرشي ثم
بناها في اواخر سنة ١٨٦٢ وهي كنيسة صغيرة وفيها مدرسة للذكور
وللكاثوليك ثلث كنائس واحدة في المدينة وثلثان في الميدان اما كنيسة
المدينة فكبيرة وموقعها في حارة الزيتون بجانب السور الى الجنوب الغربي عن
الباب الشرقي كانت قديماً معبدًا او ملكاً لليهود القرائين الذين انقرضوا من
دمشق ثم اشتراها الكاثوليك وفي ايام ابراهيم باشا المصري ابن محمد علي وضع
اسمها المرحوم البطريرك مكسيموس مظلوم بمساعة بحري باس وكان بناؤها
بين سنة ١٨٢٢ وسنة ١٨٤٠ م على اسم السيدة وسنة ١٨٦٠ احترقت ثم جددوها
فصارت احسن مما كانت وهي كنيسة الروم في الاتساع واصغر منها قليلاً على
انها اشد متانة وقوة وقد أنفق على بنائها مال كثير قيل بانها ثلاثون الف ليرة .
ومن الذين اسعوا ببنائها الاسعاف الزائد المرحومان متري شلوب وانطون
الشامي ولها قبة شاهقة جداً وبجانب الكنيسة دار البطريركخانه وسنة ١٨٧٢ انشأ
غبطة البطريرك غريغوريوس باحدي زوايا دار الكنيسة من الشرق مدرسة
متقنة البناء لذكور طائفتهم وفي دائرة هذه الكنيسة حديقة واسعة جميلة
واما كنيسة الميدان فالاولى في محلة باب المصلى على اسم القديس جاورجيوس
والثانية في القرشي على اسم سيدتنا النياح وهما صغيرتان بناها المرحوم البطريرك

مكسيوس ايضاً بعد بنائه الاولى ببضع سنين

وللسريان الكاثوليك كنيسة على اسم مار موسى الحبشي واقعة على الطريق السلطاني الى الغرب عن الباب الشرقي على بعد قليل منه وهي صغيرة جميلة وبناؤها مدرسة وبطركخانة احترقت سنة ١٨٦٠ وتجدد بناؤها بمساعي المرحوم المطران يعقوب الريشاني مطران تلك الطائفة

وكنيسة مار سركيس واقعة بجانب الباب الشرقي بلصق السور مخصصة بطائفة الارمن القدم وهي قديمة العهد جداً احترقت سنة ١٨٦٠ ثم تجددت وفي دائرتها مدرسة صغيرة اذكور تلك الطائفة وبقرتها بيت يسكنه مرتبة الطائفة

وكنيسة السريان اليقويين موقعها في حارة حنانيا بالقرب من الباب الشرقي وهي كنيسة صغيرة وقد جددت سنة ١٨٦٠ على اسم القديس جاورجيوس وكنيسة الارمن الكاثوليك واقعة امام دير الرهبان العازريين من جهة الشرق وهي صغيرة جداً وقد انشئت بعد سنة ١٨٦٠ على اسم القديس غريغوريوس وكان مكانها فرن وقد اخرب فيه المؤلف في اول يوم من حادثة ٦٠ والطائفة البروتستانتية كنيسة تان بنت الاولى منها مسر موط الانكليزية سنة

١٨٦٨ . وبنيت الثانية سنة ١٨٦٤ بهمة القس يوحنا كروفورد الاميركاني والقس روبن الانكليزي وفي دائرتها مدرسة للذكور . وفي حنانيا كنيسة

صغيرة على اسم القديس حنانيا يقال بانها في المحل الذي كان به بيت حنانيا اما اديرة دمشق فجميعها مخصصة بالطوائف الباباوية وكلها تحتوي على

كنائس شهيرة حسنة

اولها دير الاء العازريين موقعة بين داري الشامي وشلموب وهذا الدير متسع مستطيل يمتد من الشمال الى الجنوب ويسمى دير اليسوعيين ايضاً وقد كان صغيراً ومنذ ٢٥ سنة بوشر بتوسيعه وبناؤه بناءً متيناً فتم في سنة ١٨٦٠ فدهمة الحريق وكان فيه مدرسة للذكور واخرى للاناث وفي دائرته طبيب يعالج مجاناً كل من ياتيه من اي طائفة كانت وصيدليته تعطي الادوية مجاناً ايضاً وعند

تجديده بعد سنة ١٨٦٠ زيد انساعا من الجهة الجنوبية وتحسنت كنيسته كثيرا فصارت اجمل مما كانت قبلا وهندستها بحسب طراز كنائس المغرب ومحرابها متجه الى الغرب وهذا الدير يقسم قسمين قسم للراهبات وفيه مدرسة البنات وقسم للرهبان وفيه مدرسة يومية للصبيان. وراهبان هذا الدير وراهباته الاعضاء الزائد في تربية الاولاد ولا سيما الايتام هذا فضلا عما لهم من الايادي البيضاء في عمل الخير لانهم فضلا عن فضائلهم التي ظهرت لحد الآن دون ان يقدر المنتقد ان يرى فيهم بمكبرته عيبا تراهم يبذلون الجهد الجهد والكد الاكيد في ايام الاوبئة والامراض الفتالة في خدمة المرضى والمصابين بنوع يحل على التعجب والتعجب ويجبر المؤرخ ان يذكر ذلك اثلا بضيع ذكر المحسنين وقد ذكرت ما ذكرته شهادة للحق واجابة لدواعي الدمة

ودير الالباء الفرنسيسكانيين وموقعة الى الشمال من سابقه على بعد قليل وقد تأسس بحسب ما قيل من نحو ٢٢٥ سنة وتجدد عقب سنة ١٨٦٠ بعد ان اصابه بما اصاب غيره فانسعت دائرته وتحسنت كنيسته المعقودة بالحجارة تحسينا مهما واضعى لها قبة شاهقة العلو في راسها صليب نحاسي كبير. وفي هذا الدير دائرة للرهبان ومدرسة بسيطة وقد انفقوا على بنائه ١٢ الف ليرة على ما قيل

ودير مار انطونيوس وهو مقابل الذي قبله من جهة الشمال ويخص بالطائفة المارونية وقد احترق سنة ١٨٦٠ وتجدد بعدها وكنيسته متوسطة الانساع وهي على اسم القديس انطونيوس البادواني وفي هذا الدير راهبان احدهما الاب الشهير الخوري يوسف كرم

وفي الصالحية كنيسة صغيرة تخص طائفة السريان الكاثوليك وهي حديثة ايضا. وعلى هذا النمط تكون كنائس النصارى في دمشق سبعة عشر كنيسة اما كنائس اليهود فكثيرة جدا حتى يكاد يوجد في بيت كل غني حجرة كبيرة مفرزة للعبادة العمومية واما الكنائس العامة فعشرة اشهرها كنيس سوق الجمعة

جوامع دمشق

الجوامع في دمشق كثيرة العدد ومتفرقة في كل انحاء المدينة وتبلغ ١٥٣ جامعاً هذا فضلاً عن مقابر الاولياء الشهيرة والمدارس العديدة التي تقام بها الصلاة وإذا قصدنا ذكرها بالتفصيل ضاق عنها هذا الكتاب فنقتصر على ذكر الجوامع الأكثر شهرة واعتباراً وهي

اولاً الجامع الاموي وهو من اكبر جوامع المسلمين واقدمها واشهرها واجملها وانقنها بناء امير المؤمنين ابن عبد الملك ابن مروان كما تقدم وذلك بين سنة ٨٩ و ٩٦ هـ وجمع اليه اشهر الصنائع من ملكته المتسعة واتاه باثني عشر الف صانع من بلاد الروم ايضاً فاني عظيمًا جميلًا متقنًا بالنقوش الحسنة والفسيفساء البلورية المدهونة بالوان الدهان الجميلة وانفق عليه مالا جزيلًا لا يقل عن مئتين وخمسين الف ليرة

وكان في مكان هذا الجامع هيكل عظيم في ايام الاراميين علي اسم الههم رامون وكان لذلك الهيكل مذبح جميل امر آحاز ملك يهوذا بان يعمل مثله في هيكل سليمان في اورشليم. ثم اتخذ اليونانيون معبدًا لاهتهم وكذا الرومانيون وفي ايام ارخادبوس قيصر الروماني تخرب بعضه فبناه بناءً جميلًا وحواله كنيسة مسيحية علي اسم مار يوحنا المهدان ولما فتح المسلمون دمشق دخل نصف هذه الكنيسة بحوزتهم والنصف الآخر وهو الغربي بقي للنصارى فكانوا يصلون فيه وكانت كنيسة مار يوحنا هذه من الكنائس الكبيرة العظيمة جدًا التي لا يوجد لها نظير في سوريا الا بانطاكية وكانت متسعة جميلة متقنة مزينة بافضل نقوش البناء وغيره ومحاطة بسور عظيم شاهق جدًا وابوابها جميلة وعلي عتبة بابها الجنوبي كتابة باليونانية بقلم كبير لم تزل الى يومنا وترجمتها بالعربية : ملكوتك ايها المسيح ملكوت ابدى وسلطانك يمتد مدي الادوار

ولما قصد الوليد بناء الجامع لزمه القسم الذي بيد النصارى فطلبه منهم

وعرض عليهم مالا لبناء كنيسة غيره فابوا فاخذوه جبراً وهدمته واذا رأوا ذلك طالبوه بالمال فاجب اعطاءه. وفي ايام خلافة عبد العزيز عرضوا عليه الامر فعوضهم بالكنيسة المرمية ونفقة بنائها من خزينته وقد دهم هذا الجامع نكبات كثيرة وتهدم اكثره بالحريق كما ذكرنا ذلك في اوقاته في الباب الاول فليراجع وطول هذا الجامع من الشرق الى الغرب مئتا خطوة وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو مئة وخمسين خطوة وله من داخله رواق على جهاته الاربع قائم على اعمدة وسواري متقنة وارضه مرصوفة بالرخام الملون وفي صحته بركتنا ماء على كل منها قبة قائمة على اعمدة متينة وحرمة مستطيل على طول الجامع ويمتد من الشرق الى الغرب وسقف الحرم قائم على اعمدة عظيمة شاهقة وفي وسط السقف قبة شاهقة جداً مغطاة بالرصاص وهي اعلى ابنية المدينة كلها سوى مواذن الجامع الثالث وترى من مسافة بعيدة وعلى راسها هلال عال ويسمونها بقبة النسر لعلوها وقيل لانها تشبه النسر لكون الرواقين في شمالها ويمينها كاجنحة لها وفي وسط الحرم قبة بغاية الجمال والمهابة وتسمى قبة النبي يحيى وهي قائمة على اعمدة متقنة الصنعة وفيه ايضاً اربعة محاريب لاصحاب المذاهب الاربعة بنيت سنة ٧٢٨ وبانيها تنكر المار ذكره

وفي الجامع كثير من الحجر المخصصة بالزيارات منها مشهد الامام علي والحسين وعائشة وغير ذلك مما يستغرق التكلم عن مفرداته صهيلاً كثيرة وكل يوم يجتمع به عدد غفير من العلماء والمدرسين والائمة والسامعين والقارئین وله خمسة وسبعون مؤذناً يتناوبون الاذان بمواذنه الثالث باجمل الاصوات وفيه كثير من المصاحف منها واحد بخط عثمان يتبرك به الناس ويقسمون عليه. وفي كل ليلة ينار المسجد بالوف من الفناديل حتي تخال الليل نهارة اما المواذن الثالث فهي اولاً ماذنة عيسى واقعة بشرفي الجامع لامتثال لها في العلو وتعلو عن قبة الجامع نيف ومئة قدم واذا صعدت اليها يمكنك ان ترى دمشق وما حوّلها من القرى الى بعد شاسع وامامها من الغرب ماذنة اقصر منها

قليلاً ويقال لها الغزالية وهما قديمتان جداً كانتا في زمن الرومانيين واليونانيين على ما ذهب اليه بعض المؤرخين قال البصوري كان بكل زاوية منارة وبنى ذلك اليونانيون للرصد فسقطت الشماليتان وبقيت القبليتان اهـ . واما الثالثة وهي الشمالية ويقال لها مأذنة العروس بناها الوليد فانت بغاية الاتقان والجمال ومع انها اقصر من سابقتها تفوقها حسناً وجمالاً وقد تغزل فيها الادباء وذكرها حماسها باشعارهم من ذلك ما قاله الفتح بن شبيب لقوم قاسوا حجارة ومساجدها بدمشق

قاسوا حجارة بجاني فاجبتهم هذا قياس فاسد وحياتكم

فعروس جامع جلق ما مثلهما شتان بين عروسنا وحياتكم

وقد اشتمل هذا الجامع على اربعة مشاهد في كل جهة مسجد برمقة الحسن وبمقبة البهاء اما ابوابه الخارجية فسبعة ففي جهة القبلة باب العبرانية ويسمى باب الساعات وباب الزيادة قال فيه ابن نباتة

ارى الحسن مجموعا بجامع جلق وفي صدره معني الملاحه مشروح

فان يتغالى بالجوامع معشر فقولوا لم باب الزيادة مفتوح

وفي جهة الغرب باب البريد وفي جهة الشرق باب جيرون وهو اكبر الجميع ومن جهة الشمال اربعة ابواب احدها صغير يفتح تجاه قبر الملك صلاح الدين والثاني كبير يفتح الى الكلاسة والثالث اكبر منه يسمى باب الفراديس والرابع الى الشرق ويسمى باب السلسلة او باب الكاملية . وفي هذا الجامع كثير من التحف الثمينة والساعات والمزاويل لمعرفة الاوقات وايراداته وافرة لكثرة اوقافه ثانياً جامع السنانية وموقعة امام باب الجابية بناه سنان باشا عند ما استولى

السلطان سليم العثماني على دمشق وهو حسن وشهير لوقوعه في نصف المدينة

والجامع المملوكي موقعة بين العمارة والمخايرية وهو قديم ومتين

وجامع السويقة وهو قديم ايضاً وشهير على انه قد تخرب بعضه في هذه الايام

وجامع المصلي في باب المصلي بالميدان وهو متسع جداً وقديم ويقال بانه

اول جامع بني في الاسلام بناه ابو عبيدة يوم كان محاصراً دمشق

وجامع الشيخ محيي الدين بالصالحية جدّدهُ السلطان سليم العثماني عندما
 اتى دمشق ويقصدهُ الناس للزيارة كل يوم الجمعة وهو من اشهر جوامع الصالحية
 وجامع تكية السلطان سليم بالمرجة بناهُ السلطان سليم فاتى بغاية الجمال
 وجامع البدرية في محلة القيرية بالقرب من الجامع الاموي وهو قديم جدًا
 وكان في ايام الرومانيين دار الاسقفية ولم تنزل جدرانهُ القديمة باقية الى يومنا
 وتحسب من اثار المدينة واذا امعنت النظر نحو اليه وانت سائر في الطريق
 ترى اعمدة بغاية العظمة والغلاظ واقعة الآن في الجدران وعددها ليس بقليل
 ومنها يمكنك ان تستدل على اهمية هذا المحل القديم وما كان عليه من الفخامة وقد
 ظن قوم بانه كان قبلاً محل دائرة الحكومة لا الاسقفية الا ان المؤرخين يقولون
 ان دائرة الحكومة بدمشق كانت بباب البريد

وبالاختصار ان معابد الاسلام في دمشق كثيرة جدًا فنقتصر على ذكر
 عددها لتبيان فضل المدينة

جوامع لاكثرها منارات شاهقة ١٥٣ . مساجد ٧١ . تكات ١٤ . ترب
 اولياء ومحلات زيارات مشهورة ١٩٤ . مدارس ٣٩ . ومجموع ذلك ٤٧١

حمامات دمشق

اجمع الذين ساحوا في جميع انحاء الممالك العثمانية وبعض الديار الشرقية على
 تفضيل حمامات دمشق عن غيرها لما فيها من الاتقان والنظام والهندسة وغزارة
 المياه واتقان الخدمة والاكرام والاعشاء ونجس الاجرة بالمغتسل وترتيب حمامات
 دمشق واحد فان الحمام ينقسم الى دائرة خارجية في وسطها بركة مستديرة ينسكب
 فيها الماء من اربعة او خمسة انابيب وحولها مصاطب يتخلع عليها المغتسلون
 ثيابهم ويقدم لهم ما يلزمهم من البشاكير والمناشف وما شاكل ذلك ودائرة
 الاستحمام تنقسم الى قسمين خارجي وداخلي ولكل منهما اجران ولكل جرن انبوب
 ماء حار وفي بعض الحمامات لكل جرن انبوبان واحد ماء حار وآخر

بارد اما سقف دائرة الاستحمام فهو عقد ذو نوافذ صغيرة مستديرة يغطيها بلور
وسقف الدائرة الخارجية قبة شاهقة

وعدد حمامات دمشق ٥٨ حماماً متفرقة في انحاء المدينة اشهرها حمام
الخياطين وحمام القيشاني وجدرائه مصفحة بالقيشاني وحمام النوفرة وموقعه بالقرب
من الباب الاموي الشرقي وحمام المسك وهوائن الحمامات واجملها موقعه في حارة
النصارى جدده بعد سنة ١٨٦٠ المرحوم متري شلوب واصلى قنائة مائه. وحمام
الخراب وحمام الناصري في الشاغور. وحمام البكري. وحمام القيرية وحمام الشيخ
ارسلان في باب توما. وغير ذلك من الحمامات المنتشرة في جميع الانحاء

قهواي دمشق

في دمشق ما ينيف على مئة وعشر قهواي بين كبيرة وصغيرة . وهي منتشرة
بانحاء المدينة ومن اشهرها قهوة السكرية في باب الجابية . وقهوة الفاحين بالقرب
منها . وقهواي الدرويشية كلها في الدرويشية . وقهوة العسرونية وهي متسعة كبيرة
موقعها براس العسرونية بنيت منذ اربع سنين . وقهوة المناخية . وقهوة الجبينة
بسوق الخيل . وقهواي العمارة بالعمارة . وقهوة الجاويش بالقيرية . وقهوة الرطل
بباب توما . وقهوة باب السلام . وغير ذلك وثن فنجان القهوة بها بغير سكر
خمس بارات فيقصدها الناس لاجل التسلية والاجتماع بعضهم ببعض

وفيهما قهواي يسمونها كازينات وهي في سوق الخيل والمرجة وفي الصوفانية
خارج باب توما وثن فنجان القهوة عشرون بارة في بعض هذه القهواي وعشر
بارات في البقية فيقدر الغريب من اي رتبة كان ان يصادف شيئاً من اسباب
الراحة واذا قصد الاختلاط بالناس يجد لطفاً ودعة من يجادلهم وهذا من
دلائل اجماع الاهالي على محبة الغرباء

وفي الاربع السنين الاخيرة تبددت قهواي كثيرة في المرجة فصار الناس
يجمعون بها ليلاً ونهاراً في الفصول الثلاث وفي بعضها نهاراً في فصل الشتاء

وكان للهواوي اعتبار كلي في الايام السالفة لان جماعة الانكشارية كانوا يجتمعون بها ويصورون عددهم الحربية فوق الوجاق وكانوا يعتبرون تلك الصور كراية يحامون عنها وكان من قتل قتيلاً وتوصل الى وجاق الفهوة سلم

خانات دمشق

خانات دمشق كثيرة وعددها ١٢٩ خاناً متفرقة في انحاء المدينة وهي على نوعين نوع يخص باصحاب التجارة وهو في المدينة (اي مجموع الاسواق) ونوع للدواب واواية المكارين وبعض الفقراء وهو متفرق بكل الانحاء واشهر خانات التجار خان اسعد باشا وهو اعظم خانات الشام بناؤه جميل من حجارة مدماك ابيض ومدماك اسود وفي صحنه بركة كبيرة مستديرة حسنة المنظر وفوقها قبة عظيمة شاهنة العلو قائمة على سوارى عظيمة متينة ويقسم الى قسمين سفلي وعلوي وفي كل منهما حوانيت للتجار بعضها كالفاعات ويقصد هذا الخان اهل السياحة للتفرج عليه لما به من الجمال وصناعة البناء ومن الغرائب انه حوى ادق صنعة من عمل التجارين وقد اظهر بعضهم الاندهاش من انقان بابه وجماله وعلى جانبي بابه فستقتان حسنتان يشرب منهما النيس واذا دخلت اليه تجدد عن يمينك ويسارك ساهين حجريين يوصلان الى الطابق العلوي وفي هذا الخان حوانيت اكابر التجار وخصوصاً الذين يتجرون الى العراق العربي وبلاد العجم اما يانيه فهو اسعد باشا العظم وذلك من نحو قرن ونصف تقريباً. وخان العمود امامه. وخان سليمان باشا في الجبالين ويقال له خان الحماصة لان تجار حمص ينزلون فيه وهو ثاني خان اسعد باشا في الجمال والاتساع. وخان الزيت. وخان المرادية. وخان الخياطين او خان الجوخ. وخان الزعفرانية. وخان الشيخ قطنا. وخان الجوار. وخان المرادية. وخان الجبرك وكان اولاً مركزاً للجبرك وستة ١٨٦٤ نقل الجبرك منه فاشتراه متري افندي شهاب وعمله سوقاً ثم اشتراه شمعايا افندي والآن يُعرف به وفيه بعض كبار الصيارفة وكل هذه الخانات

قدية جميلة متقنة . ويوجد خانات غير هذه اعرضنا عن ذكرها
اما النوع الثاني فاشهر خاناته بسوق الخيل والعمارة وباب المصلى والشاغور
والعالية ويمكن الغرباء التزول بها ولا يلتزمون ان يدفعوا اجرة الحجرة اكثر
من ١٥ غرشاً في الشهر

لوكنات دمشق

ليس في دمشق الا لوكنة واحدة للمرحوم ديتري كره موقعها في سوق
الخيل وهي جميلة مرتبة لا يلتزم المسافران يدفع فيها يوماً اكثر من خمسين غرشاً

فصل

في اقسام دمشق

نقسم دمشق الى قسمين بالنظر الى القدمية قسم داخل السور وقسم خارجة
فالاول قديم جداً والثاني بني في العصر الاسلامي شيئاً فشيئاً وهو جزء كبير
من الشاغور والميدان الفوقاني والتحناني والقنوات والبخصة وحارة الجديقة
والعقبة والعمارة الداخلية والعمارة البرانية ومسجد القصب وكل هذه واقعة الى
الغرب وبعض الشمال والجنوب من السور واما الى الشرق فلا عمارة على الاطلاق
واما بالنظر لما هو معروف في دفاتر الحكومة فتقسم دمشق الى ثمانية اثمان وهي اولاً
ثمان القيمرية ويدخل فيه حارة النصارى وحارة اليهود . ثانياً ثمن الشاغور . ثالثاً
ثمان الميدان الفوقي . رابعاً ثمن الميدان التحتي . خامساً ثمن القنوات . سادساً ثمن
العقبة . سابعاً ثمن العمارة . ثامناً ثمن الصالحية . وكل ثمن يقسم الى احياء

ابواب دمشق

نقدم ان قسماً من دمشق خارج الاسوار وقسماً داخلها فالذي خارج الاسوار
له مخارج كثيرة العدد لا يعتبرونها ابواباً للمدينة واما الذي داخل السور فله
ثمانية ابواب وهي قديمة العهد جداً فمن الشمال اربعة ابواب وهي باب توما جدده
زنكي المار ذكره في ايام السلطان محمد بن قلاوون وذلك سنة ٧٦٤ هـ . وباب

السلام جدد سنة ٦٤١ هـ . وباب العمارة وهو باب الفراديس له تاريخ لم يتمكن من قراءته . وباب البوابجية وهو باب الفرج جدد في ايام سيف الدين ابي بكر بن ايوب سنة ٦٠٦ هـ وهذا الباب مشهور جدًا وكانوا يتفاءلون به بالخير وقد ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي بقوله

قل ما تشا عن جلق وانسب لها ولا حرج
فالخير واليمن بها وبابها باب الفرج

ومن الغرب بابان الاول باب السرايا بقي كما كان قبلاً الى سنة ١٨٦٢ م عندما اصلحت الطرقات في ايام شرواني باشا فهدم . والثاني باب الجاية جدد سنة ٥٦٠ ومن الجنوب باب الشاغور وهو المعروف بالباب الصغير ومن الشرق الباب الشرقي وهو من زمن الرومانيين كان له على كل جانب باب صغير عمل امامه الاسلام ابراجاً ولها باب آخر من الجنوب قريب من الباب الشرقي وهو مسدود في هذا الوقت ويسميه النصارى باب بولس لانهم يقولون بان بولس الرسول دلي من نافذة فوقه يوم ثار عليه الاضطهاد اما المسلمون فيسمونه باب كيسان

حصون دمشق

اشهر حصون دمشق قلعتها وهي قديمة جدًا يظن بانها اسست من بداية العصر الاسلامي وهذه القلعة واقعة غربي المدينة ما يلي الشمال وطلوها من الشرق الى الغرب ٢٣٠ خطوة وعرضها من الشمال الى الجنوب ١٧٠ خطوة وابراجها عالية جدًا حتى يكاد يبلغ علوارفعها نيف وتسعين قدماً وقد كان قبلاً يسكنها الناس ويقيم بها ملوك دمشق ونوابها وكانت تجنوي على القصور والقاعات المتقنة ودامت كذلك الى ايام ابراهيم باشا واما في ايامنا هذه فاضحي كل ذلك خراباً ولم يبق بها الا مخازن المهمات للعساكر الشاهانية وقد داهمها الخراب مراراً واعيد بناؤها كما ذكرنا ذلك في محلاته . ولهذه القلعة بابان كبيران وباب صغير مردوم وهي بغاية المتانة وحولها خندق عميق تجري فيه المياه ويمر نهر بانباس في

وسطها. وسنة ١٨٦٢م انشأت الحكومة قلعتين صغيرتين واحدة في حارة النصاري في محلة طالع القبة والثانية في الميدان الفوقاني قرب الجزمانية وسنة ١٨٧٣م انشأت محلاً آخر في المرجة عن شمال طريق المركبات المؤدي الى بيروت ووضعت به الدخائر القابلة للاحتراق وهذه المحلات وان تكن صغيرة يمكن ان تحسب من الحصون. وفي دمشق أكثر من عشرة منازل للعساكر الشاهانية يسمونها قشلاً وكلها بالقرب من سراي العسكرية وتسع نحو عشرين الف جندي بمهاتهم

فصل

في مياه دمشق ومنزلها

قيل ان دمشق تشرب من سبعة انهر وكثر لغط الناس بذلك وهذا اكيد على ان هنك الانهر تتفرع من واحد في الاصل وهو نهر بردى وبعد ان تسقي البساتين والمدينة يرجع الفائض منها اليه ويسير به ويصب في بحيرة المرح شرقي المدينة على بعد ١٥ ميلاً منها. ومخرج هذا النهر من جنوبي قرية الزبداني ومن هناك يسير في سهل الزبداني المتسع الخصب وبعد ان يقطعها ياخذ بالانحدار في وادي بردى المسمى بوادي البنفسج ووادي الذهب ايضاً ويمر بسوق وادي بردى ومن هناك تفرق منه شعبة صغيرة تسير في قناة قديمة مخفورة في الصخر لتسقي الاراضي المرتفعة والباقي يسير في ذلك الوادي وتنسكب فيه عين كثيرة فتسقى به البساتين والمخدائق التي على ضفتيه ولما يصل الى قرية الفيجة ينضم اليه نبعها المساوي له في الغزارة. ومن هناك يسير النهر الى قرية بسمية وبينها وبين الفيجة على بعد عشرة دقائق من بسمية عين الخضر وما ادراك ما عين الخضر نبع زلاي لجيني يخرج من سفح الجبل ويسير في قناة قديمة وعلى احد جوانبه مرجة صغيرة كسنتها يد الطبيعة ثوباً سندسياً والنهر من جانبها الآخر يزيد بها جلالاً والجبال الشاهقة حولها تعطيها مهابة حتى اضحت سلمياً للغريب وصفوا الغريب وفي كل اسفاري بسوريا لم ارام ماء كما اراها في النقاوة والجودة. وقد اعثنى الاقدمون

وجروا ماءها بقناة بسية ونقروا تاريخ ذلك على صخر هناك على انه لطول الايام
اندرست احرفه ولم يبق منها الا ما قل جدًا

ثم يمر بالاشرفية والجديدة والهامة وعند جسر الهامة ينقسم النهر الى قسمين
علوي وسفلي فالعلوي يُسمى بريد (قال التاجي ان نهر بريد بسفح الجبل
المعروف بقاسيون بدمشق حفره بريد بن ابي سفيان (اخو معاوية) والسفلي
يظل اسمه بردى وبالقرب من دمر ينقسم من بردى قسم آخر يُسمى النهر الدبراني
يسير نحو داريا مارًا تحت جسر طريق المركبات المؤدية الى بيروت

واذا سرت مع النهر على طريق العربات وقصدت التوجه الى دمشق
يكون بردى عن يمينك وبريد عن يسارك يبعد عنك قليلاً فعند وصولك الى
جسر الخشب الذي يبعد عن دمر نحو ميل واحد ينقسم نهر ثورا ويكون عن
يسارك ايضاً وبعد هنيهة يقسم نهر القنوات ثم نهر بانياس وما يبقى يظل اسمه
بردى اما القنوات وبانياس فيدخلان المدينة في اقنية ويشعبان في دورها
ومعابدها وشوارعها وحماماتها وما يزيد منها يضم الى بردى . والنهر الدبراني
نقسم منه شعبة عند وصوله الى داريا وتسير باقنية وتسقي جزءاً من الميدان واما
يزيد فيدخل الصاحبة ويسقي بساتينها ودورها وما يبقى منه يسير فيسقي بعض
القرى واما ثورا فيجوز بين بساتين الشام الشمالية ويسقيها ويدخل منه شعبتان
الى المدينة وما يبقى تسقي منه بعض القرى واما بردى فتحين يدخل المدينة ويصل
الى القلعة يقسم منه نهر يُسمى عقربا فيدخل مع بردى المدينة ويدبران ارجحة
كثيرة بها وبعد ذلك يخرجان من باب توما وتصير المياه الزائدة عن المدينة
تنضم اليهما ثم يتفرقان على القرى لسقاء البساتين وبعد ذلك تنضم بقايا جميع
النهر الى واحد يصب في بحيرة المرج وبهذا الاعتبار يقال ان الشام تشرب من
سبعة انهر وهي : بردى . بريد . الدبراني . ثورا . قنوات . بانياس . عقربا .
وقد جمع ذلك بعض الفضلاء بقوله

شوقي بريد ودمع الصب ما بردا وبان يأس من المحبوب حين بدا

ومدعي قنوت والعدول حكى ثورا يلوم النتي في عشقه حسدا
على مغنية بالجنتك جاوبها وخلا مات في خلخالها كهدا

منتزهات دمشق

اجمع الباحثون واهل السياحة على ان دمشق كلها نزهة وعدوها جنة الارض
لنضارتها وكثرة مياهها وبساتينها وحدائقها . واجل اوقات ربيعتها واجمل اشهر
ربيعها اذارها حتى قالوا : دمشق في اذارها جنة في ازهارها . ومع ان طرقات
المدينة مقطعة لارتفاع الجدران وعلاوها والنصاق البناء ترى داخل كل دار
نزهة محصورة واذا صعدت على مرتفع او على سطح ترى الاشجار والبساتين تحيط
بالمدينة من كل جانب احتياط الهالة بالقرى واذا خرجت من ابواب المدينة
لا ترى الا حدائق غناء ومياه جارية واشجارا نامية وطبورا مغردة وحقولا جميلة
خضراء ونسima رفيقا حتى لا تسير يحمل الا وتجذ فيه من اسباب الحظ والانبساط
ما يسرك وينشرح به خاطرك ومع ان كل مكان خارج دمشق يحسب روضة
تجد في كل ناحية جنائن وحدائق خصوصية يقصدها القوم رجالا ونساء المنزهة
فمن منتزهات دمشق المرجة والصوفانية والطويلة والصالحية التي قيل فيها
الصالحية جنة والصالحون بها اقاموا

وغير ذلك مما يطول شرحه اقتصرنا بالاماع اليه لشهرته

واذ كانت دمشق بهذه الدرجة من النزهة فبالقدر يوجب قوي في اهلها حب
السرور والانشراح وصاروا لا يمضي عليهم يوم بدون صرف شيء منه بالنزهة ومنها
كانت غمومهم يتركونها خارج ابواب المنتزهات فيضحون كمن لا هم لهم وربما تعجب
الغريب اذا راها منصبين على الصفوف بهذا المقدار وقال بانهم لقوم كسالى يابون
الاشغال وينفرون من الاعمال ولكن ان بحث في احوالهم واطال الاقامة بينهم
يرى ان لا شيء عندهم ما توهم وما يراه منهم من حب الانشراح انما هو ناجم عن
امر خدمة الجسد المتعب من الشغل فبالنزهة راحة بعد تعب الاشغال

اما التنزه عندهم فله محلات معلومة وايام معدودة وهي سبع ثلاثات وسبعة سبوت وخمسة خمسة وتبتدي في اوائل شهر اذار عندما تاخذ الاشجار تطلق ازهارها ففي الثلاثات يخرجون الى الصوفانية ويحتمعون على شطوط الانهر التي بها يزورون الشيخ ارسلان وفي السبوت ينتشرون للتنزه في المرجة الوفا نساء ورجالا وكانوا في الايام السالفة لا يشتغلون في السبوت بل ينتزهون وفي الاخمسة يتصدون محلاً في جبل قاسيون اسمه الاربعين ويقومون به باسباب الانشراح. واذا دخل غريب دمشق في الايام المذكورة من احدى هذه المحلات يظن بان سكان دمشق نحو مليون نسمة كما انه لو جاز في اسواقها يوم الجمعة او يوم وقفة عيد ظن ذلك الظن نفسه

ومن ايام التنزه العمومية وقت النيروز ويبتدي في ١٢ اذار فيخرج الناس في ايامه باكرًا الى البراري والبساتين ويرجعون بعد الشروق بوقت قصير

فصل

في تربة دمشق ونباتاتها واشجارها وهوائها

تربتها * الاراضي المحيطة بدمشق جميعها سهول حمراء التربة جيدة فيها كثيرة الخصب واصحابها اولو جيد واعناء كلي في امر الزراعة وقد برعوا بهذا الفن وفاقوا به جميع السوريين ومع انهم يزرعون الارض الواحدة في السنة مرارًا تراها دائماً تاتي بمستغلات متنوعة وذلك لكثرة الجهد وجودة التربة وغزارة المياه ومناسبة الفصول محاصيلها * محاصيل دمشق الحنطة والشعير والباقياء والنصه والجلباء والكرسنة والقطاني والذرة الصفراء والبيضاء والفلول واللوبياء والباقياء والشمر واليانسون والمصفر والقنب والبندورة والباذنجان الاسود والكرنب والقرنبيط والملفوف (يخناء) واللفت والشوندر والبصل والكراث والثوم والفجل والقلناس والرشاد والارضي شوكة والبطاطا والخيار بانواعه والفناء والكوسا والبطيخ بانواعه والسلق وغير ذلك وكل هذه الاصناف يكبر حجمها جدًا وكثرة محصولها تباع باثمان بخسة جدًا وينبت بدمشق ايضا انواع الزهور الشرقية وخلافها مع

كثير من العقاقير الطبية

اشجارها * لكثرة اشجار هذه المدينة اصبحت كلها غياضاً مرتبة ذات منظر
بهى الى الغاية وتقسّم اشجارها الى قسمين مثمرة وعقيمة فالمثمرة منها المشمش بانواعه
كالحموي والبلدي والسندياني والكلاي . والنفاج بانواعه والتوت والنخوخ
بانواعه والدراقن بانواعه والعنابية والاوز والقراصية والجوز والكهثرى بانواعه
والسفرجل والريمان بانواعه والزيتون بانواعه والكرم بانواعه والآس والتين
والزعبول والليمون بانواعه الى غير ذلك من الاشجار المثمرة وكل اثمار هذه
الاشجار كبيرة الحجم وتباع باسعار بخسة لكثرتها

واما العقيمة فهي الحور والصفصاف والغار والدلب والدردار وكل ذلك
كثير الوجود واكثره يزرع على شطوط الماء للانتفاع باخشابه

هواؤها * هوا دمشق جيد حسن في كل الفصول الا الخريف فان
الهواء فيه يتغير ويصير مضرّاً بالصحة وكثرة المياه في دمشق تتولد فيها الامراض
العنيفة في ذلك الفصل وفي بعض الاحيان تنفش فيها حميات قتالة يموت بها
كثيرون من الناس ومما يساعد امتداد هذه الامراض عدم نظافة الطرقات
والمامل بان الوالي الحالي اهتم بمدحت باشا لا يغفل عن هذا الامر

فصل

المعارف في دمشق

تلاّت هذه المدينة بنور المعارف في الايام الغابرة ونالت قصب السبق في
مضمار الآداب ولا سيما في زمن الدولة الاموية فقد شاد خلفاء تلك الدولة وغيرهم
المدارس والمكاتب وانفقوا عليها الاموال الجزيلة ووقفوا عليها الاوقاف الكثيرة
فانصبّ اهلها على العلم فافلحوا ونبع منهم جم وافر من العلماء الاعلام ممن افتخر
بهم المشرق على انه لكثرة ما طرأ عليها من الحروب والثقلات السياسية دالت
دولة العلم فيها فاهتمت مدارسها وتشنت شمل مكاتبها . ولكن لما ظهرت تباشير
الامن في الايام المتأخرة عزم بعض ذوي الفضل الذين لم تخل دمشق منهم قط

على ارجاع شوكة العلم وتعزيز شأنه واخذوا يبذلون ما بوسعهم لجمع شئيت
المكاتب والممول انهم يفوزون رغماً على كل مانع يحول دون متصدهم المبرور.
اما عدد المدارس في هذه السنة وتلاميذها فهو كما ياتي مفصلاً

مدارس النصارى

مدارس المذكورة تسعة وهي مدرسة الروم الارثوذكس وكلها يومية تدرس
فيها العربية بفروعها والتركية والفرنساوية واليونانية والجغرافيا والحساب
وفيها سبعة معلمين ومئتان وتسعون تلميذاً ونفقة السنوية نحو اربعين الف غرش
تجمع من ابناء الطائفة ومن ابرادات مخصصة بها ولها نشرة سنوية تبين اعمالها .
والمدرسة الانجيلية وتدرس فيها العربية بفروعها والتركية والانكليزية والحساب
والجبر والهندسة واللوغرثمات والفلسفة الطبيعية وفيها ستة معلمين ومئة
وعشرون تلميذاً ونفقة من مجمع كنيسة اراندا القسوسية . والمدرسة البطريركية
الكاثوليكية انشأها غبطة البطريرك غريغوريوس وانفق عليها ما ينيف على
الف ليرة وكان افتتاحها في غرة اذار سنة ١٨٧٥ وتدرس فيها العربية والتركية
والفرنساوية وفيها عشرة معلمين ومئتان وخمسون تلميذاً ودخلها السنوي من
التلامذة ثلاثة عشر الف غرش ونفقة ستة وعشرون الفاً والبطريرك يدفع
الفرق من ماله الخاص . والمدرسة الكاثوليكية السريانية وتدرس بها العربية
والفرنساوية وفيها معلم واحد وخمسون تلميذاً . ومدرسة الارمن القدماء
وتدرس بها الارمنية وفيها معلم واحد وخمسة وعشرون تلميذاً . ومدرسة السريان
اليغقوبيين تدرس بها العربية والسريانية وفيها معلم واحد وخمسة وعشرون
تلميذاً . والمدرسة العازرية وهي مدرسة متقنة تدرس بها العلوم الدينية والعربية
بفروعها والفرنساوية واللاتينية والحساب والتاريخ والجغرافيا وفيها ثمانية معلمين
ومئة وستون تلميذاً . ومدرسة الفرنسي سكانيين تدرس فيها العربية البسيطة وفيها
معلم واحد وخمسون تلميذاً . والمدرسة الانكليزية اليهودية وهي مخصصة باليهود
وتدرس بها العربية والعبرانية والتركية وفيها ثلاثة معلمين وخمسة وعشرون تلميذاً

واللصاري ثلاث مدارس اخرى في الميدان وهي المدرسة الكاثوليكية وفيها معلم واحد وستون تلميذاً والارثودكسية وفيها معلم واحد وخمسة واربعون تلميذاً . والانكليزية وفيها معلم واحد وخمسة واربعون تلميذاً وفي جميع مدارس الذكور ١١٤٥ تلميذاً و ٤١ معلمًا

مدارس الاناث سبع وهي : مدرسة الروم وتعلم فيها العربية والفرنساوية والحساب والجغرافيا وفيها اربع معلمات ومئة وخمسون تلميذة . والمدرسة الانكليزية وتعلم العربية والانكليزية والحساب والجغرافيا وفيها خمس معلمات و ١٢٠ تلميذة بعضهم من اليهود . والمدرسة اليسوعية تعلم بها العربية والفرنساوية وفيها اربع معلمات ومئة واربعون تلميذة والمدرسة العازرية وهي اتقن مدارس الاناث بدمشق وفيها خمس مئة بنت واربع عشرة معلمة . والمدرسة الانكليزية الاسلامية انشئت سنة ١٨٧٨ وفيها معلمة واحدة وخمس وثلاثون تلميذة . ومدرسة الكاثوليك في الميدان وفيها معلمتان وستون تلميذة . والمدرسة الانكليزية في الميدان وفيها معلمتان وخمس وخمسون تلميذة . وفي الجميع ١٠٧٠ تلميذة و ٢٢ معلمة ونفقة هذه المدارس كلها كل سنة ثلاثة آلاف ليرة نصفها من اهل الوطن ونصفها من الاجانب

مدارس المسلمين

مدارس المسلمين في هذه المدينة كثيرة منها ما هو لدرس العلوم الدينية واللغة والفقه ومنها ما هو لدرس مبادئ القراءة اما مدارس النوع الاول فعدد طلبتها نحو ٧٠٠ ولا يمكن الجزم في ذلك لان اكثر العلماء يدرسون في بيوتهم او في الجوامع واما مدارس النوع الثاني فقد احصتها الحكومة سنة ١٢٨٨ هـ فكانت ٧٤ مدرسة للذكور وفيها ١٣٠٠ تلميذ و ٢٨ مدرسة للبنات فيها ٢٤٩ بنتًا . وللحكومة اربعة مدارس رشدية فيها ٢٥٠ تلميذاً ومكتب حربي استعدادي فيه ستون تلميذاً ومدرسة حربية كلية فيها مئة تلميذ . وفي هذه السنة اي سنة ١٨٧٩ اقام حضرة صاحب الدولة والابيه مدحت باشا جمعية دعاها الجمعية الخيرية واناط بها امر تعميم المعارف بين الامة الاسلامية فانشأت حالا ثنائي مدارس

مرتبة وفي نيتها ان تنشئ مدارس اخرى للذكور والاناث وقد توارد الطلبة عليها
فبلغ عددهم نحو الف ومئة ونفقة هذه المدارس من اهل الاحسان . وقد انشئ
مدرسة للبنات بلغ عدد تلامذتها ١٥٠ قيل وفي نية ابيته انشاء مدارس عالية
عمومية لجميع الطوائف

مدارس اليهود

اليهود اثنا عشرة مدرسة بسيطة فيها ٣٥٠ تلميذاً ويدرسون فيها مبادئ
دينهم باللغة العبرانية والعلم عندهم في درجة دنية مع انهم اغنياء وفي وسعهم ان
ينشئوا مدارس عالية

الجمعيات الادبية

في دمشق جمعيتان ادبيتان فقط وهما جمعية رباط المحبة وهي فرع من
جمعية اتحاد الشبان المسيحيين بلندن تأسست سنة ١٨٧٤ ومقصدها مضادة
روح الكفر والملكات الردية كالسكر ونحوه وتهذيب الشبان المسيحيين وتقويتهم
في المبادئ الدينية المسلم بها من جميع الطوائف النصرانية ومساعدة المرضى
والمحتاجين ولا تتعرض للامور السياسية على الاطلاق وعدد اعضائها ٢٨ من
قانونيين وكراميين ومراسلين . والجمعية التاريخية وقد انشئت سنة ١٨٧٥
وغايتها البحث في العلم والتاريخ ولا تتعرض للمسائل السياسية ولا الدينية وعدد
اعضاءها ينيف على السبعين

مكاتب دمشق

قد ذكرنا انفاً انه كان في دمشق مكاتب شهيرة ولقد لعبت بها ايدي
الخراب فلم يبق منها الا القليل ومن اشهر ما بقي منها الى يومنا هذا المكتبة العمرية
بالمدرسة العمرية بالصالحية فيها كتب نفيسة وكما خط واكثرها نادر الوجود .
ومكتبة الشيخ خالد بالفناوات في بيت الشيخ عمر الحضرة وكل كتبها خط . ومكتبة
عبد الله باشا بمدرسة عبد الله باشا وكتبها خط منها تاريخ الشام لابن عساكر في
ثمانين مجلداً . ومكتبة الاشماسية بمدرسة قرب الجامع الاموي وكل كتبها خط

أما مكاتب النصارى فكان فيها من الكتب العربية واليونانية ما لا وجود له في غيرها ولكن دهمها الحريق سنة ١٨٦٠ فلم يبقَ منها شيء. وسنة ١٨٧٦ سعى الدكتور بطرسن الأميركاني بتأسيس مكتبة عمومية توفف المطائفة الانجيلية فجمع مكتبة صغيرة حوت كتباً مفيدة ولم تنزل العناية مبدولة في توسيعها وتحسينها

فصل.

في صنائع دمشق وتجاريتها

وُجِدَتْ الصنائع في دمشق منذ زمان طويل واعتنى بها الدماشقة فافلحوا وحُسِبَتْ مدینتهم من الطراز الاول بين مدن الصنائع الشرقية حتى صار اسمها عالماً لبعض المصنوعات المتقنة كما سترى. ثم سقاها الزمان كما سقى غيرها من مدن المشرق وتناوبتها النكبات فامست وليس لها من صنائعها الكثيرة الا اثر بعد عين لان قسماً منها هاجرها والتي رحلت في بلاد الافرنج كصناعة الوشي المسبي عندهم دمسقوا الى الآن. وقسم ركب طريق الفارطين كصناعة السيوف الدمشقية التي فقدت منها منذ تغلب تيمور عليها. وصناعة القيشاني التي فقدت في القرن الماضي لانحصار عملها في قوم افناهم الزمان ففويت معهم ولم تنزل مصنوعاتهم الى الآن شاهدة بذكائهم وحسن انقائهم لها. وصناعة دهان البيوت وقد فقدت ايضاً في اواخر القرن الماضي واوائل الحاضر ولم تنزل آثارها في بيوت كثيرة من المدينة وقد مرّ على بعضها نيف وثلاث مئة سنة ولم تنزل بروقها كأنها عمات امس وفقدت ايضاً غير ذلك كثيراً من الحرف مما لا يجدي تعدادُهُ الاّ الاسف

أما النسم الباقي فيكاد يكفي الدماشقة ويغنيهم عن غيرهم اذا سعلوا في انقائه وترويحِهِ. ويقسم الى خمس حرف اولها النسيج وهو اهم عندهم لكثرة العاملين فيه ولانه محور اعمال المدينة ومصدر تجارتها وثانيها الدباغة وثالثها الصباغة والحداة ورابعها البناء ومتعلقاته وخامسها الخياطة ولكلٍ منها فروع كثيرة ولا نقدر ان نعين وقت دخول هذه الصنائع الى دمشق على اننا نرجح انها

كانت قبل الإسلام وإن المسلمين أخذوها عن سكان المدينة الأصليين ونسنتج هذا من بعض الأدلة التاريخية منها أن العرب وجدوا فيها كثيراً من الصنائع المقيمة وقت الفتح وكانت مصنوعاتهما في غاية الانقار أيام الدولة الأموية وهي أول دولة إسلامية قامت في دمشق . ومنها أن كثيراً من صنائع الدماشفة كالصباغة والبناء وإهم فروع النسيج لم يزل منحصراً في الأمة المسيحية . هذا ولا يمكن إلا أن نقول أن العرب قد حسّنوا أكثر صنائع دمشق وأدخلوا بعضها حديثاً فمن ذلك عمل القيشاني الذي لا يوجد منه ما هو مصنوع منذ أكثر من ست مئة سنة فلا مرأه أنه من مخترعات العرب . على أن البعض حاولوا نسبة اختراعه إلى غيرهم وقالوا أن الروم علّوا ما يشبهه وهو الفسيفساء البلورية الموجودة في الجامع الأموي وفي كنيسة بيت لحم الكبيرة وفي قبة الحرم الأقصى بالندس الشريف . وذلك مردود لأن بين الفسيفساء والقيشاني بونا عظيماً في الجوهر والصنعة . وما زالت صنائع دمشق تزدد حسناً وانتشاراً إلى أن فتحها تيمور الفانك في ربيع الآخر سنة ٨٠٢ هجرية فأمّن أهلها وقيل ما قدّموه له من نفائس الهدايا مما يصنع في مدّ يدهم ثم نكث أيمانه بعد عهده وأطلق العنان لرجالهم فنهّبوا المدينة وعمّوا فيها وأتخّضوا في أهلها وأضرموا النار في أرجائها . أما الصنائع فكانت مصيبتها مضاعفة لأنه لم يكتف بها لحرقها من الضرر بخراب المدينة بل اختار كل من كان ذا شهرة فيها وأخذ معه لما قام عنها . وقد ذكر ذلك جماعة من المؤرخين منهم صاحب كتاب عجائب المقدور إذ يقول "وبعد أن أمست النار تلعب بانحاء المدينة وتهلك أبنيتها الحسنة الجميلة سار تيمور عنها يوم السبت في ٢ شعبان سنة ٨٠٣ قاصداً الجهة الشمالية التي منها أتى وقد أجلى معه بعض الأعيان وأصحاب الفضل وكل ماهر بفن من النساجين والخياطين والذين يصنعون السيوف البواتر من أشهرت بهم دمشق" . وبما أن تيمور أجلى أحدى العملة اقتصر الصنّاع بعدهم على التقليد وكانت صنائعهم تنحط جودةً وقيمةً بتوالي الزمان ولكنها بقيت في المرتبة الأولى بالنسبة إلى صنائع سورية

اما صناعة النسيج فحافظوا عليها كل المحافظة لشدة ازومها وكثرة دخلها
وانساع متجرها ولا سيما في الايام السالفة قبل ان انتشرت البضائع الافرنجية في
بلادنا . وبقيت صناعة نسيج الحرير على غاية الاتقان مع انه لم يحصل تحسين في
آلاتها وسبب ذلك انحصارها في الامة المسيحية التي لا املاك لها بل اتعيش من
صنائعها ورخص الحرير في الايام السالفة واقتصار الاهالي على استعمال منسوجاتهم
اما الآن فقد نكبت صنائع دمشق اعظم نكبة ولا سيما صناعة النسيج لسبب
غلاء الحرير وكثرة انتشار البضائع الافرنجية مع عدم متانتها . وهذا مما دعا
الحاذق السيد عبد المجيد الاصفر ان يقاد الالاجه بالغزل ليتمكن ابناؤه الوطن
من استعماله والضيق ذات يده انضم الى السيد حسن الخانجي فامدّه وبعد الجهد
نال مراده وراج عمله بين الخاص والعام واقتدى به بعض العملة وزادوا عمله
انقائاً فاضحى نسيج الديما صناعة مهمة يتعيش بها الوف . ومنذ نحو عشرين سنة
استنبط رجل من بيت مرتضى شكلاً جديداً منقوشاً نقشاً جميلاً فراج كثيراً ثم تبعه
السيد درويش الروماني وقاد القلاووظ الافرنجي المعرق بمساعدة الخواجه
جرجي ماشطه على ان النساء ايبسن لبسة لانه غير مشرف بوسام افرنجي فعدل عن
عمله . ومنذ مدة وجيزة رأى الحاذق الخواجه يوسف الخوام انصباب القوم على
لبس البطالون واحتياجهم الى نسيج خفيف يناسب الصيف فغير وزاد في نول
الديما واتى بنسيج احسن من النسيج الافرنجية وارخص فنال ثناء الجميع ولواهتم
جميع الصناع اهتمامه في اصلاح صنائعهم لفازوا فوزه واغنى البلاد عن النسيج
الافرنجية في برهة قليلة

اما انواع النسيج فقد قل عددها في وقتنا الحاضر عما كان في بداءة هذا
الجيل وما بقي منها فهو ١٦٠٠ نول الالاجه و ٦٥٠ قطني و ٢٣٠٠ ديما و ١٥٠
شالات حرير وشالات غزل و ٢٥٠ كفيات حرير وكفيات غزل و ٥٠ زنار
طرابلسي حرير وزنار طرابلسي غزل و ٥ فوط وملاية حرير وغزل وبوشيه الخ
و ٢٠٠ كريشه وهرمزي وسلطانية ومجتمع هذه الانوال ٥٢٥٠ نولاً

وهذه الانوال مع ما يتعلق بها كافية لتشغيل ستة عشر ألف نسمة
 اما صاغة دمشق فلم اطول باع في صنعتهم وكذلك الدباغون ويبلغ
 عدد هم نحو خمس مئة نسمة واما التجارون فقد نجحوا نجاحاً مهماً في صنائهم في
 الايام المتاخرة حتى صار على الاعمال الاوربية وفاقوها اتقاناً وكذلك البنائون
 والنحاتون والسرزيون واما الحدادون فاعمالهم متأخرة
 وسنة ١٨٦٠ اجتمع بعض الاعيان وعملوا كرخانة تدير آلتها المياه وانفقوا
 عليها ما لا جزيلاً على انه لعدم حسن غزلها توقف حالها مدة فتناقص ثمن اسمها
 ولكن في الملك المتاخرة صار تشغيها وبازمها كل يوم من القطن نحو ستين رطلاً
 وفي دمشق صنائع كثيرة اعرضنا عن ذكرها اكتفاء بما ذكر
 تجارتها

نجمت تجارة دمشق في الازمنة الغابرة اعظم نجاح وازدادت تقدماً بعد سقوط
 تدمر ونحولت تجارة الهند اليها وجمعت بين متجراوربا واسيا لحسن مركزها فصبت
 فيها انهر الثروة وتكفل موقعها الحسن مع الصالح التجارية ان يعيدها عامرة
 بعد كل بلية تحيق بها ومصيبة تدهمها حتى اصبحت مع كبر سننها وعظم شيخوختها
 كعروس تنجلي بين مدائن سوريا وبما انها باب الحجاز كان كل سنة يتقاطر اليها
 الحجاج افواجا من بلاد العجم وبر الاناضول والرومي والعراق وغيرها فتروج
 تجارتها على انه منذ ان تصاف هذا القرن اخذت تخط انحطاطاً سريعاً لان قوات
 خارجية ضادتها وتغلبت على مركزها التجاري وسلبته واول نكبة دهمتها تسببت
 عن سير سفن البخار في البحار فخرت تجارتها البرية مع الاستانة
 والروم ايلي وبر الاناضول وغيرها وتحوّل ذلك الى الموانئ البحرية وعندما
 فتحت ترعة السويس حلت بلية عظي وطامة كبرى على تجارة دمشق لانها سلبت
 كل ما بقي لها من التجارة البرية وفتحت باباً قريباً للحجاز فامتنع الحجاج عن الاتيان
 اليها فخرت جداول الذهب الغزيرة التي كانوا يسكبونها بها ذهاباً واياباً حيث
 كان ياتيها كل سنة ثمانية آلاف ونيّف ويجهزون منها للحجاز وفي اياهم يجهزون

منها الى بلادهم وياخذون البضائع والاقمشة اما هدايا واما للتجارة واذا انفق كل حاج ٥٠ ليرة يكون ما ينفقه الحجاج سنوياً اربع مئة الف ليرة ولا يخفى كم كانت تنتفع دمشق من هذه المبالغ وقد كان كثيرون من اهلها من ذوي العيال الكبيرة الذين لا ثروة عندهم يتعيشون من البيع بالامانة للحجاج او من انزال البعض في بيوتهم . وقد كملت في هذه السنة اضرار ترعة السويس بتجارة دمشق لان ما بقي لها من تجارة العراق فتح له طريق على السويس فتحوّل الى موافي سوريا ومع هذه الاضرار التجارية التي دهمت تجارة هذه المدينة لم يزل لها تجارة متسعة بمنسوجاتها وغيرها مع داخية المملكة العثمانية وتجارة قليلة مع الممالك الاجنبية اما ما يصدر عنها من المنسوجات الى الاسنانه وازير ومصر وبغداد وحلب وارمينيا وجهات سوريا وانحاء المملكة العثمانية فيبلغ مبالغ عظيمة وفضلاً عنه يصدر عنها الى جهات سوريا كثير من العبي وادوات الخيل والحبال والمواد اللازمة للزراعة والمشمش والقمردين وغير ذلك وما يصدر عنها الى اوربا فهو الصوف والخرق والعظام وبزر المشمش ولها تجارة واسعة مع اهل حوران في الخنطة وغيرها ويصدر عنها كل سنة جانب عظيم من الطحين والبرغل الى بيروت اما وارداتها فكثيرة جداً كالانابي والادوات والغزل والمنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية والكتانية والدودة والنيل والارز والسكر والقهوة وغير ذلك مما يطول شرحه

فصل

في اطوار الدماشقة وبعض عوائدهم

الدماشقة قوم امناء ذور شهامة وناموس ودعة وموانسة رقيقو الطباع حسنوا المعاشرة سلبوا النية والطوية كرماء يحبون الغرباء ويكرمونهم ويميلون الى السلام ويرغبون في البسط والانشراح ولو لم يكن في دمشق بعض الاشقياء الذين يسودون اسم مدينتهم بما يفعلونه من الجرائم لساغ ان نقول بان كل اهالي دمشق في مقدمة السوريين في حسن الاخلاق

ملابسهم * كان اهالي دمشق في الايام السالفة يلبسون الملابس الضخمة
ويتعممون رجالاً ونساءً بالعمائم الكبيرة جداً وقد اشتهت ملابسهم وقتئذ في اكثر
الاشياء ملابس الاكراد في وقتنا الحاضر ولكنهم منذ ايام ابراهيم باشا المصري
اخذوا يغيرون زيهم حتى صار لطيفاً حسناً يوافق طباعهم . وفي وقتنا الحاضر
يلبس الرجال القنابيز ويتمنطقون فوقها بشالة او زنار حريري او غير ذلك
ومنذ مدة ليست بطويلة اعتمد بعضهم على التسرول وبعضهم لبسوا البنطلون
كالافرنج . واليهود والنصارى وبعض المسلمين يلبسون على رؤوسهم الطرايش
الاسلامبولية واكثر المسلمين يتعممون بعمائم صغيرة لطيفة من قاش الاغاباني
وكانوا منذ عشر سنين يلبسون الطيلسانات الطويلة فوق ملابسهم ولكنهم قد
اخذوا يقلعون عن ذلك ويعتاضون عنه بالباطات وكان قبلاً من الامور المعيبة
ان يطلق الرجل شعر راسه واما الآن فتغير الحال

اما النساء فتمكاد تكون ملابسهن واحدة وقد اقلعن عن الملابس القديمة
بالتمام حتى لم يعد لها اثر وعوضاً عن تلك الربطات (عمائم كبيرة) التي كانت
توضع على الراس اصبحت رؤوسهن مكشوفة او مغطاة بقاش رفيع جداً ومنذ مدة
اخذن يتبعن الازياء الافرنجية فصرت تراهن كل يوم بزي جديد على انهن مع
كل اجتهادهن لا يقدرن ان يرتبن ملابسهن كالنساء الافرنجيات وقد تولد
فيهن بغض الاقضية الوطنية وصرن يحسبن كل قاش غير موسوم بوسام افرنجي
كشيطان رجيم على انه في المذات المتأخرة لشدة الضيق الذي صادفه رجالهن
تغيرت اميالهن قليلاً واعتبرن منسوجات الوطن بعض الاعتيار وصرن يلبسها .
ولا تخرج امرأة من بينهما بدون ازار ويسبلن غالباً على وجوههن المناديل لكي
لا يراهن احد

الخطبة والاعراس * اختلفت عوائد اهل دمشق في الخطبة والاعراس
فلمسلمين عادة والنصارى اخرى واليهود اخرى
عادة المسلمين . لما كانت عوائد المسلمين لا تسمح للنساء ان يظهرن على

الرجال حتى ولو كانوا من افاريين ازم عن ذلك انه اذا قصد رجل ان يتزوج
يجتمع بعض نساء عائلته المتقدّمات في السن ويذهبن ويفتشن له على عروس
فلما يجدن ما يناسبه ياتين ويخبرنه فيرسل بعض رجال عائلته ليخطبوها له من
اهلها وعندما يقر القرار بين الخاطبين على المهر الذي يكون للعذراء من ٢٥٠
غرشاً الى ٥٠٠ ليرة يكتب الكتاب (العقد) في بيت اهلها بحسب الشريعة
ويقدم لمن يحضر من الخاطبين والشهود شربات بسكر صيفاً وشراب القرفة شتاء
وبعين وقت الزفاف في تلك الجلسة التي تكون غالباً في الليل . ومن ثم يشرع
اهل العروس في تجهيزها . اما جهازها فهو اثاث لبيت رجلها وبعض ملابس
خصوصية لها وقبل الزفاف بيومين ينقل الحمالون الجهاز الى بيت العريس على
رؤوسهم وظهورهم ليراه الناس في الاسواق والازقة ويوم الزفاف يذهب نساء
من بيت العريس وياتين بالعروس ثم ارا مصحوبة ببعض نساء عائلتها وفي المساء
نقوم الافراح في بيت العريس وياتي اصحاب العريس واقاربته ويتعشون ويذهبون
به الى بيت آخر ويلبسونه لباس العرس وفي وقت العشاء ياتون به باحتفال
والشبان امامه يضحون ويهللون ومعهم المشاعل ولما يصلون الى باب الدار تستلم
العريس الماشطة (مديرة العروس) وتسير به الى الحجرة المعدة له وهو مطرق
بنظره الى الارض وهناك تكون عروسه مزينة تنتظره . اما افراح العرس فهي
للنساء وغالباً تكون سبعة ايام . وفي صباح ليلة العرس يقدم العريس الى عروسه
هدية بحسب اقتداره يسمونها صبة ويخرج الى السوق مالئاً جيبه ملابساً يهديه
من يهنئه ويبارك له

عادة النصاري . كان النصاري في ما سلف كالمسلمين لا تظهر نساؤهم
على رجالهم فكان اختيار العروس عندهم كاختيار المسلمين وهذه عادة مضرّة جداً
بالنظر الى الامة المسيحية التي لا تطلق عندها وكم ابنة شنيعة المنظر سيئة الطباع
تزوجت بجمال اختها لانهم كانوا يرون الخاطبات الجميلة ويبدلونها وقت
العرس بالشنيعة الى غير ذلك من الاعمال المضرّة بالراحة واما في هذه الايام

فقد تحسنت الحال نوعاً وصار الخطيب قادراً ان يختار الفتاة التي تناسبه وهي تكون بالخيار ان تقبله او ترفضه

اما هدية الخطبة في هذه الايام فليست مربوطة بشرط او عادة فان منهم من يعطون الخطيب ومنهم من ياخذون منه . اما العرس فكان منذ اربعين سنة سبعة ايام متوالية وكان ياتي المدعوون بهدايا يسمونها حمولة واما في وقتنا الحاضر فقد ألغي ذلك بالتام ثم صار ثلاثة وبعد سنة ١٨٦٠م صار يوماً وليلة وفي هذه السنين المتاخرة صار ليلة واحدة

العرس . يدعى المدعوون قبل العرس بسبعة ايام باوراق ويأتون بيت العريس يوم الاحد مساءً وتأخذ آلات الطرب تعزف الى الساعة الرابعة او الخامسة فيذهبون رجالاً ونساءً لياتون بالعروس والشموع في ايدي الرجال (قد كان لا يسمح للعداى ان يذهبن لياتين بالعروس على انه منذ اربع سنين سمح لهن بذلك) وحين يصلون الى بيتها يجدون الباب مغلقاً فيطرقونه ولا يفتح لهم بسهولة وهذه عادة قديمة ومعناها ان العروس عزيزة على اهلها وعندما يستفتحون ويفتح الباب يدخل الاشبين اولاً (وكيل العريس) ويكرم البواب بدراهم ثم يدخل الناس فيستقبلون احسن استقبال وبعد ان يلبسوا نحو ساعة يبسطوا اشراج وشرب يوزع وكيل العريس شمعاً على الرجال الذين في بيت العروس ثم تغطي العروس بازار ويذهبون بها الى بيت العريس بالاغاني والتراتيل والرجال تتقدم النساء كما اتوا وحينما يدخلون البيت تلبث النساء مع العروس في حجرة واحدة وبعد هنيئة نصير صلاة الاكليل وبعد ذلك يحيط النساء بالعروس ويجلبنها برقص وغناء والشموع بايديهن ثم يذهبن بها الى حجرة المائدة وتكون عليها المآكل الفاخرة من الحلوى والفواكه وما شاكل وبعد ان ياكل جميع الحاضرين يذهب بالعروس الى حجرة معدة لها ولعريسها ثم ياتونها بعريسها وياخذون بالانصراف ولا يبقى من المدعوين الا بعض النساء اللواتي هن اشد قرباً للعريس مع والدة العروس وفي صباح ليلة العرس يقدم

العريس هدية لعروسه بحسب مقدرتيه . وفي يوم البطالة الاول بعد العرس يجتمع الرجال من اهل العروس ويأتون بيت العريس لزيارة عروسهم والتبريك لها وهذه الزيارة يسمونها سلاماً وتُصرف غالباً بالاغاني والبسط

وفي أول بطالة بعد هذه الزيارة يذهب العريس وعروسه واهله معه الى بيت عروسه ليلاً لرد الزيارة فتصير ليلة ذات بسط وحظ وفي نهايتها يضعون ما كلاً ومشرباً ثم ينصرف الجميع

عادة اليهود . نظراً لما عند اليهود من الحرية الكاملة اضتى امر اختيار العروس على الشاب من اسهل الامور على انه عند ما يقصد ان يخطب فتاة يسأل اهله عما لها من المال او ما يريدون ان يهبوها فان وافقه خطبها والا فلا ويعطي العريس عروسه علامة الخطبة في الجنيينة غالباً اما اعراسهم فمزوجة من عوائد النصرى والمسلمين ولذلك لا يزور الى سردها عوائد الدماشقة في احزانهم

. عند ما يحل المصاب في بيت ينعى اهل المتوفى واصحابه فيأتون ويلبسون ملابس سوداً اما النساء فيحملن شعورهن وياخذن في انواع النحيب وبعضهن يبالغن في ذلك حتى يسببن ضرراً لذواتهن واقرب الناس الى الميت يلبسون الاسود حزناً عليه مدة طويلة

فصل

في حكومة دمشق ومتعلقاتها

كانت دمشق قبل سنة ١٨٦٤ مركز الولاية المنسوبة اليها على انه منذ تلك السنة صارت مركزاً للحكومة سوريا وفيها يقيم الوالي ومشير العرضي الهايوني الخامس والى مجالسها تعود المسائل الاستئنافية من انشاء الولاية (الا التجارية فانها تستأنف الى بيروت) وفيها مركز ضابطة سوريا وقيم بها قناصل الدول اما ولاية سوريا فتقسم الى متصرفيات والمتصرفيات الى قناصمات ومدريات . اما واردات خزينة الولاية فهي بحسب نشرة الحكومة سنة ١٢٨٨ هـ

١٩٣٦ ٦٧٥٤١ غرشاً ومصرفها ٢٤٩٥٨١٢٢ فالدخل يزيد عن المخرج كثيراً ولكن لا التزام الخزينة بالقيام بالمصاريف المجازية وسوء الادارة الناتجة من عدم استقامة بعض المأمورين وقعت الخزينة تحت ديون بأهظة جداً تبلغ نحو ٦٠٠ ألف ليرة وهذه الديون تُعرف بالسراكي وقد استدانها من الاهلين ثم تمتعت عن دفعها فلحق الخراب باربابها ومن عرف ولاية سوريا وطاف بلادها وفحص احوال بعض مأموريها يحكم حكماً جائزاً ما بان ايرادات الخزينة لو حُفِظَت لكانت مضاعف ما يصل اليها الآن وهذه حالة تقتضي بالانتباه والتمعن فان رامت الحكومة اجراء الاصلاحات في بلادها لا يجب ان تهتم بالمصاريف اللازمة لذلك لان ضبط الاموال بواسطة الرجال الامناء بوافيها بزيادة دخل تفوق ما تلزم لزيادته في اجور مأموريها وبزيادة العمران الذي يتبع الاصلاح يزداد الدخل لان سوريا بلاد ذات ثروة طبيعية يستبعد الحصول عليها الا باجراء الاصلاحات اللازمة لاستقامة الحكماء وحفظ النظام وما اشبه ذلك

نثریات

كل سنة في نصف شوال يسافر حج المسلمين من دمشق الى مكة المشرفة باحتفال عظيم ويرجع اليها في النصف الاخير من شهر صفر باحتفال ايضاً في ايام رمضان وليالي الاعياد الاسلامية تزين مآذن دمشق بالمصابيح معدل الاغنام التي تذبح بدمشق كل يوم ٢٨٠ رأساً . ومقطوعة المدينة كل يوم من الخنطة ٢٣٠٠ كيلة ومن الشعير ٥٠٠ ومن الذرة ٥٠٠ مدّت طريق المركبات بين بيروت والشام سنة ١٨٦٠ وكذلك التلغراف في دمشق خمس مصابن كبيرة واحد عشر معمل نشاء و٣٢ معجلاً لطبع الاقشة واربع مناكن للاقشة وثمانى عشر مصبغة ملونة وخمسة عشر عسكرية . وثلاثة مسالخ . ومطبعة جبرية للعسكرية . ومطبعة اعنيادية للحكومة يطبع بها جرنال سوريا وهو الرسمي . ومطبعة جبرية للحكومة * ومياه دمشق فيها خاصة لدفع مرض الجذام فلا يصيب اهل دمشق والغريب الذي ياتيها مصاباً به لا يزيد مرضه

الباب الثالث

فصل

في من مات بدمشق من الصحابة

ابو الدرداء الصحابي الخزرجي * ولاة الامام عمر القضاء بدمشق ومات
بها في خلافة الامام عثمان وقبره معروف بباب الصغير

اوس بن اوس الثقفي * نزل دمشق ومات بها في خلافة عثمان
بلال الحبشي بن رباح * مولى ابي بكر الصديق ومؤذن النبي . صلعم
حضر مع عمر فتح القدس واختلف في محل دفنه ف قيل دفن بحلب وقيل بداريا
وقيل بدمشق بباب الصغير

سهل بن ربيع الانصاري الصحابي * سكن دمشق ومات فيها في ابتداء
خلافة معاوية ودفن بمقبرة باب الصغير

شعون الصحابي * شهد فتوح الشام وكان من كتاب دمشق وفي باب
الصغير بارض الشاغور ضريح يُعرف بشعون فيحتمل ان يكون هو
فضالة بن عبيد الصحابي * سكن دمشق وولي قضاها لمعاوية مات
بدمشق ودفن بباب الصغير

آثلة بن الاسقع * شهد فتح دمشق ومصر ثم نزل الشام ومات في خلافة
عبد الملك بن مروان سنة ٨٢ ودفن بباب الصغير وقبره معروف بزار
قال المحافظ بن طولون وقيلي باب الصغير قبة بلال بن حماسة وثلاث
من ازواج النبي (صلعم) وقبر فضة جارية السيدة فاطمة الزهراء وقبر ام الدرداء
هؤلاء كلهم في تربة واحدة ونقل في كتاب الاشارات في الزيارات ان قبر السيدة
زينب بنت الامام علي بن ابي طالب بمقبرة باب الصغير بزار ويتبرك به . وقبر
سكينة بنت الحسين بتربة القلندرية داخل القبة . وقبر السيدة فاطمة ابنة الامام

علي ايضاً بقبرة باب الصغير عليه بناء معروف يقصد للزيارة . والمعروف عند
اهل دمشق ان قبر السيدة زينب ابنة الامام علي في تربة نسبت اليها يقال لها
الآن قبر الست

ابي بن كعب بن قيس الخزرجي * قيل انه دُفن بالمدينة وقيل بدمشق
وهو المشهور . قبره الآن خارج دمشق قرب باب شرقي عليه قبة عظيمة يزار
ويتبرك به

سرحيل بن حسناء * قال الصوري في ظاهر دمشق خارج باب توما
بالقرب من ضريح العارف بالله الشيخ ارسلان ضريح اشهر انه ضريحه وفي ناحية
الغور قبر عليه قبة اشهر ايضاً انه قبره وما يدري ايها الصحيح
ضرار بن الازور الاسدي * مات بدمشق ودُفن خارج باب شرقي
وقبره معروف

خولة بنت الازور * اخنت ضرار المذكور حضرت فتوح الشام ماتت في
دمشق ودُفنت خارج باب توما بالقرب منه وقبرها مشهور يقصد للزيارة
اما الجهة الشمالية ففيها قبر ابي الدحداح واما غربي دمشق فلم يدفن فيه
احد من الصحابة

(ذكر من دُفن من الصحابة في قرى دمشق)

قرية المنع غربي دمشق فيها قبر رضية الكلبي الصحابي المشهور
قرية مرانة نواحي داريا دُفن فيها تميم الداري بن اوس بن خارجة
حرملة بن يزيد الصحابي الانصاري * دُفن بالقرب من قرية جوبر
سعد بن عباد الخزرجي الصحابي * جاء الشام ومات بها سنة ١٤ في
خلافة عمر ودُفن في قرية المليحاء وقبره معروف يقصد للزيارة
السيدة زينب ام كلثوم ابنة الامام علي * ماتت في الشام ودُفنت في قرية
راوية (هي قبر الست) وفي نهاية العشر الاول من محرم كل سنة يخرج الشيعة
لزيارتها ويندبون اهل بيت النبي صلعم

مدرك النزازي * قدم مع ابي عبيدة بن الجراح في فتوح الشام وتوفي
بقرية راوية المذكورة ودُفن بينها وبين حجارة من غوطة دمشق
ابو مرشد كنان بن بربوع * دُفن في طريق عقربا قبلي فديبا قال
الواقدي مات سنة اثنتي عشرة

فصل

في ذكر من مات واشتهر بدمشق من الاولياء المقربين والعلماء العاملين
ابو البيان بن محفوظ القرشي * من ابناء الطائفة البيانية المنسوبة اليه
بدمشق كان اماما عابدا ورعا يعرف اللغة والنحو والفقه اخذه عن شيخ البطايع
وكان معاصرا للشيخ ارسلان واليهالة وله تاليف كثيرة وتعاليق وطرق واذكار
واسعار ربانية وزهدية وكان هو والشيخ ارسلان مجاورين في المسجد الذي عند
الباب الشرقي مات سنة ٥٥٥ هـ ودُفن بباب الصغير وقبره معروف بزار
ويتبرك به

ابن عساكر بن حسين بن هبة الله * هو الفخر المحافظ الكبير ابو الفاسم فخر
الشافعية وامام اهل الحديث الف تاريخ الشام في ثمانين مجلدا وله تاليف غير
التاريخ بلغت ثمانية وعشرين مصنفات توفي سنة ٥٧١ هـ ودُفن بباب الصغير
شرقي المحجة التي فيها معاوية

ابن قيم الجوزية الحنبلي * هو محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي ثم الدمشقي
الفقيه الاصولي النحوي المفسر المحدث في علوم كثيرة وله مصنفات عديدة في فنون
كثيرة مات سنة ٧٥١ هـ ودُفن بمقبرة باب الصغير تجاه المدرسة الصابونية وبني
على قبره قبة

ابن رجب شيخ الحنابلة والمحدثين * هو زين الدين بن رجب الامام
الاصولي المحدث الفقيه والواعظ الشهير كان اماما في الفنون وله مصنفات كثيرة
منها شرح البخاري وشرح الاربعين النووية وطبقات الحنابلة والقواعد ورياض
الانس وغيرها مات بدمشق ودُفن بباب الصغير عند قبر معاوية

ابراهيم الناجي شيخ المحدثين بدمشق * كان اماماً ورعاً عارفاً بالصحابة
ورجال الحديث مات بدمشق ودفن بباب الصغير غربي معاوية وقبره على الطريق
احمد ابو العباس المغربي * شيخ المالكية بدمشق كان اماماً بارعاً مات
بدمشق ودفن بباب الصغير بين بلال الحبشي والشيخ حماد

اسماعيل بن علي المفتي المعروف بابن الحائك * العالم الاصولي انتهت اليه
الرئاسة والافتاء مات سنة ١١١٢ ودفن بباب الصغير شرقي اوس الثقفني
بدر الدين بن جمال الدين بن مالك * المشهور العالم العلامة النحوي
اللغوي الصوفي المحقق الشافعي مات بدمشق سنة ٦٨٦ ودفن بباب الصغير
الحافظ الذهبي * شمس الدين صاحب التاريخ المشهور اخذ الفقه عن
الكامل الزمكاني وابن قاضي شعبة مات سنة ٧٤٨ ودفن بباب الصغير وتاريخ
وفاته لفظه الذهبي

الشيخ عمر بن حسن الخرقني * من تابعي اصحاب الامام احمد ومن علماء مذهبه
المعتبرين ومن الممول عليهم بالفقه كان زاهداً عالماً فاضلاً بالليل رحل من بغداد
وسكن بدمشق فرأى يوماً منكرًا فأنكره ونهى عنه فقتل لاجل ذلك ودفن
بباب الصغير منابل الجراح

عبد الرحمن بن ابراهيم بن سباع المفتي * هو تاج الدين المصري الدمشقي
العالم العلامة المعروف بابن فركاج تفقه وبرع في مذهب الشافعي وهو شاب
وكتب في الفتاوى وكانت تاتي من الاقطار وتصانيفه كثيرة مات بدمشق سنة
٦٩٠ ودفن بباب الصغير

عبد الله بن عمر العجاوني الحنفي النحوي * فاق اهل عصره في علم النحوي
ولد في عجلون ورحل الى دمشق واشتغل في العلوم ودرس وافاد وانتفع به الجهم
الغفير مات سنة ١١١٢ ودفن بباب الصغير شرقي بلال الحبشي

محمد علاء الدين بن علي الحصري الاثري الحنكفي الفقيه الواعظ
المحدث المفتي الحنفي له تاليف في الفقه وغيره منها الدر المختار في شرح تنوير

الابصار وشرح المتنبي الذي شاع ذكره في الامصار وشرح المنار في الاصول
والقطر في النحو واخبر الفتاوي الصوفية وله تعليق على تفسير البيضاوي وله
مؤلفات آخر غير ذلك توفي سنة ١٠٨٨ ودفن بمقبرة باب الصغير

كعب الاحبار (ض ٤) * من اكابر المحدثين روي عنه اشياء كثيرة وعولوا
عليه وحصل له اعظم اعتبار عند المسلمين قال الهروي مات في دمشق ودفن
بباب الصغير

محمد اليتيم * العارف بالله الشافعي الصوفي مات سنة ١٠٠٥ ودفن
بباب الصغير بقرب نصر المقدسي

محمد بن محمد بن سلطان الحنفي * شرح الكاظم ومات بدمشق سنة ٩٠٥
ودفن بباب الصغير بقربة القلندرية

نصر المقدسي ابن ابراهيم النابلسي * شيخ الشافعية بالشام مات سنة ٤٩٠
ودفن بباب الصغير بجانب ابي الدرداء (١)

سيدنا ارسلان * ويقال له الشيخ ارسلان هو ابن يعقوب بن عبد الرحمن
الجعبري مات سنة ٥٤٠ ودفن بمسجد خالد بن الوليد وقبره معروف بقصد
الناس للزيارة ويتركون به وعند الشيخ ارسلان مقبرة كبيرة دفن بها بعض من
اهل الفضل والصالح

نقي الدين بن الصلاح * هو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري
كان مفتياً في مذهب الشافعية اماماً في التفسير والحديث والفقه مشجراً
في الاصول مات في دمشق سنة ٥٤٢ ودفن بمقبرة الصوفية بطرفها الغربي على
الطريق

(١) يقال ان بباب الصغير قبور جملة من اهل البيت وغيرهم كقبر سهل بن حنظلة
وقبر ام الحسن بنت حمزة بن جعفر الصادق وقبر علي بن عبد الله بن عباس وقبر زوجته ام
الحسن بنت جعفر بن الحسن بن الحسين بن فاطمة الزهراء وقبر خديجة بنت زيد
العابد بن هولاء في تربة واحدة وقبر سكيكة بنت الحسن وقبر محمد بن عمر بن علي بن ابي
طالب وبها قبور كثيرة لم تعرف لما قيل بان مقبرة باب الصغير حُرثت وزُرعت نحو مئة سنة

ابن عساكر * هو الفخر شيخ الشافعية بالشام كان زاهداً عابداً منقطعاً
للعلم والعبادة مات بدمشق سنة ٦٢٠ ودفن بمقابر الصوفية مقابل قبر ابن
صلاح

ابراهيم بن عبد الرزاق * الحنفي المحدث الفقيه شارح القدوري مات
بدمشق سنة ٨٠٦ ودفن بمقابر الصوفية

ابراهيم بن سليمان الحموي * من علماء الحنفية شرح الجامع الكبير في ست
مجلدات وشرح المنظومة في جلد بن ولم يُعرف تاريخ موته قال العدوي مات
بدمشق ودفن بمقابر الصوفية

مسعود بن محمد النيسابوري * الامام البارع الشافعي انفرد برئاسة
الشافعية وكان فصيحاً بليغاً مات سنة ٥٧٨ ودفن بمقبرة الصوفية

احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام * المعروف بابن تيمية الحنبلي ولد سنة
٦٦١ وبرز وافتى ودرس وصنف التصانيف البديعة الكثيرة سرد الامام
صلاح الدين الصفدي اسماها في ثلاث اوراق كبار وجرت له محن كثيرة الى ان
توفي مسجوناً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ ودفن بمقبرة الصوفية

يوسف بن عبد الرحمن المعروف بالحافظ المزي كان اماماً عالماً
علامة ولد سنة ٦٥٠ وله تصانيف جميلة منها تهذيب الكمال في اساء الرجال
في ثلاثة عشر مجلداً واطراف الكتب السنية في خمسة مجلدات وله امال وفوائد
وشعر حسن توفي سنة ٧٢٨ ودفن بمقبرة الصوفية غربي قبر ابي تيمية

عماد الدين بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي كان عالماً بالاصول
والتحديث وصنف التصانيف البديعة مات سنة ٧٧٤ ودفن بمقبرة الصوفية
عند شيخو ابي تيمية

ابو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن اسمعيل المقدسي ثم الدمشقي
الامام العلامة الفقيه الشافعي المقرئ النحوي المحدث كتب الكثير من العلوم
وصنف فيها ما اثنى الفقه ودرس وافتى وبرز في العربية وكان كثير التواضع

مات سنة ٦٦٥ ودفن بباب الفراديس على يسار الداخل من الباب الى مرج الدحاح

الحسن بن محمد البوريني الشافعي * كان فريد وقت في الفنون صنف التصانيف البديعة منها حاشية على الممثل وشرح ديوان ابن الفارض وتحريرات على تفسير البضاوي وله تاريخ عظيم وله رحلة حلبية ورحلة طرابلسية وله رسائل كثيرة وجمع ديوانا من شعره وكان عالما محققا ذكي الطبع متين الحفظ مات سنة ١٠٢٤ ودفن بمقبرة باب الفراديس

ابراهيم بن منصور المعروف بالفتال الدمشقي الحنفي العالم المحقق والماهر المدقق شيخ مشايخ الشام له تعليقات منها حاشية على شرح النظر للفاكي وتحريرات على مواطن من التفسير وكان ينظم الشعر الحسن مات سنة ١٠٩٨ ودفن بمقبرة الفراديس

ابوب بن احمد بن ايوب الحنفي الخلوقي الصالح * له تحريرات ورسائل لا يمكن حصرها واكثر ما روي له رسالته التي ساهما ذخيرة الفتح ودونها عقيلة التغريد وخميلة التوحيد و ذخيرة الانوار وسيرة الافكار جمع بين علم الشريعة والحقيقة ولد سنة ٩٩٤ ومات سنة ١٠٧١ ودفن بباب الفراديس

عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابي عصرون * هو قاضي النضاة شرف الدين التيمي الدمشقي كان امام الشافعية في عصره واليه المنتهى في الفتاوى والاحكام (وكان من اكبر تلامذته الفخر بن عساكر) مات سنة ٥٨٥ ودفن بمدرسته المعروفة به قرب قلعة دمشق وقبره يزار

الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي بن محمد بن احمد بن عبد الله امام الصوفية ورب طريقهم ولد بهرسية سنة ٥٦٠ وكان مسكنا في دمشق وظهوره فيها وبها نشر علومه توفي في دمشق سنة ٦٣٨ ودفن بسفح قاسيون وقد اعنى سلاطين آل عثمان باظهار قبره وبني عليه المرحوم السلطان سليم خان المدرسة العظيمة وبجوارها الجامع المعجور ورتب له الاوقاف الحسان وقد الف بمناقب

الشيخ محيي الدين ومواهيه الامام السيوطي مؤلفاً جليلاً سماه تنبيه الغبي على تنزيه
العربي والى فيه ايضاً الشيخ عبد الغني النابلسي مؤلفاً حسناً سماه السر المختفي في
ضريح ابن العربي والى فيه ايضاً كتاباً جليلاً سماه الرد المتين على منتقص
المعارف محيي الدين. والقوم لا ينقطعون عن زيارة الشيخ محيي الدين ويعتبرونه من
اعظم الاولياء وفي كل يوم جمعة ترى مئات من الناس حول ضريحه للصلاة والزيارة
ولك محمود * المدعو سعد الدين ولد بمليطه سنة ٦١٨ وتوفي بدمشق
سنة ٦٥٠ ودفن عند والده بسفح قاسيون

العلامة تاج الدين السبكي * صاحب الطبقات جمع الجوامع
والتصانيف المفيدة وتولى قضاء الشام وخطابة الجامع الاموي مات بالطاعون
سنة ٧٧١ ودفن بقاسيون بقرية السباكين المشهورة بهم

الشيخ ابو عمر الدمشقي الصالحى * هو محمد بن احمد بن قدامة المقدسي
الزاهد جمع بين المعارف الالهية والعلوم الشرعية وكان كثير الصلاة ويجمع
المخطب ويحمله للارامل والايام وكان مسموع الكلمة عند رجال الدولة وبنى
المدرسة المعروفة به بالصالحية مع مصنعها مات سنة ٦٠٧ ودفن بالتربة المعروفة
به بسفح قاسيون

الامير الكبير ركن الدين * قال الذهبي كان عفيفاً ديناً كثير الصدقات
مات سنة ٦٢١ ودفن بجبل قاسيون

قاضي النضاة بن خلكان * احمد بن محمد بن خلكان صاحب التاريخ
المشهور المسمى بوفيات الاعيان كان اماماً عالماً فقيهاً نحويّاً مات سنة ٦٨٠
ودفن بسفح قاسيون مقابل الرباط الناصري والعاذلية

عبد الرحمن بن ابي بكر بن داود * العالم الرباني الفادري صنف عدة
مؤلفات منها نزهة النفوس والافكار في خواص النبات والحيوان والاحجار
ومنها تسليمة الواجم في الطاعون الهاجم . مات سنة ٨٥٦ وقبره مشهور بزم
١٢٠٢ القاضي محمود ابو عبد الله بن مالك صاحب الالفية * هو جال الدين محمد

بن عبد الله بن مالك الامام العلامة الاوحد الطائي النحوي المالكي حين كان بالغرب والشافعي حين انتقل الى الشرق ولد سنة ٦٠٠ كان اماماً في القراءة وصنّف فيها قصيدة دالية وكان في اللغة اليه المنتهى واما النحو والصرف فبلغ فيهما الغاية القصوى اقام في دمشق يصنّف ويشغل بالجامع والتربة العدلية وقدم القاهرة ثم رحل الى دمشق وكان ينظم الشعر مات سنة ٦٧٢ ودفن بسفح قاسيون وكان ذا وقار ودين وصلاح

ابراهيم بن احمد الموصللي * من ائمة الحنفية شرح القدوري ومات سنة ٦٧٥
علي بن خليل الحنفي * الاديب الفقيه عرف بابن قاضي عساكر مات سنة ٦٥١ ودفن بسفح قاسيون ومن نفيس شعره قوله

تطلّبت في الدنيا خاليلاً فلم اجد وما احدٌ غيري لذلك واجدٌ
فكم مضى بغضاً بريك محبة وفي الزند نار وهو في اللبس باردٌ

الشيخ عبد الرحمن العيني * نسبة الى راس العين ولد بصاحبة دمشق سنة ٨٢٧ وتصانيفه كثيرة جاللة شرح الكنتز والبخاري والفية العراقي والشمسية والدرر للقنوي والوشاح في المعاني والفية ابن مالك والتهذيب للسعد والجزرجية واختصر التلخيص وشرحه ونظم اللغة التركية في قصيدة سماها الدرة المضية مات سنة ٨٩٢ ودفن بتربة الجامع الجديد بصاحبة دمشق

الشيخ ابو مسعود الولي مات سنة ٦٠٥ ودفن بسفح جبل قاسيون
العلامة جمال الدين محمد بن احمد الشريشي صاحب التصانيف مات سنة ٧٦٩ ودفن بسفح قاسيون * ولده بدر الدين محمد بن محمد امام اهل اللغة في عصره مفتي الشام المعروف بابن الشريشي شارح المقامات وغيرها من الكتب البديعة مات سنة ٧٧٠ ودفن بجانب والده عند جامع الافرنج

ملخص ترجات بعض مشاهير علماء القرن الثاني عشر واول هذا

القرن اعني به القرن الثالث عشر

الشيخ محمد بن الشيخ عبد الرحمن الكزبري الدمشقي الشافعي مدرس

الحديث تحت قبة النسر في الجامع الاموي ولد في ١٢ شعبان سنة ١١٤٠ وتوفي في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٢١ ودفن بمقبرة باب الصغير . الشيخ عبد الرحمن الكزبري والد المتقدم ذكره هو محمد بن زيد الدين الدمشقي الشافعي ولد في صدور سنة ١١٠٠ وتوفي يوم الجمعة في ١٧ محرم سنة ١١٨٥

الملا علي بن محمد بن سالم التركاني امين الفتوى بدمشق ولد سنة ١١٠٢ وتوفي سنة ١١٨٢ ودفن بمقبرة الحقلية عند داره بميدان الحما

الشيخ احمد بن عبد الله بن احمد البجلي الاصل الدمشقي المولد كان زاهدا صوفيا فقيها حسابيا فرضيا محدثا ولد سنة ١١٠٨ ومات يوم السبت في ٦ محرم سنة ١١٨٩ ودفن بباب الصغير وله من المؤلفات الرائقة الروض الندي في شرح كافي المبتدي والآخر الحرير بشرح مختصر التحرير ومنية الرايض لشرح عمدة كل فارض

٥ الشيخ العلامة المحقق علي افندي الداغستاني هو علي افندي بن صادق بن محمد بن ابراهيم الداغستاني ولد سنة ١١٢٥ واتى دمشق سنة ١١٥٠ ونزل بجامع من جوامعها وقد وجهت عليه وظيفة في الحديث تحت القبة سنة ١١٧٢ هـ بعد وفاة مدرستها احمد افندي المنبني ووظيفة التدريس في الفقه في المدرسة السليمانية ووظيفة التدريس في تفسير ابي السعود عند مقام سيدنا يحيى سنة ١١٨٥ وغير ذلك وتوفي في ١٢ ذي الحجة سنة ١١٩٩ ودفن بسفح قاسيون بالقرب من قبة البليغي فوق الافرم وله كتابات منها ما كتبه على خلاصة الحساب وحاشية في الاسطرلاب وشرح حديث الرحمة وغير ذلك . اهـ

٦ الشيخ علي بن محمد بن علي بن سليم الشافعي الدمشقي الصالح الشهير بالسليبي ولد سنة ١١١٢ توفي في ثاني جمادى الاولى سنة ١٢٠٠ ودفن بسفح قاسيون بالقرب من الداودية وله من التأليف تكملة شرح تفسير البيضاوي للنجم عمر الرومي في سورة الاسراء وشرح على شرح غاية الاختصار لابن قاسم وشرح على نظم الاجرومية وغير ذلك

٧ الشيخ مصطفى الرحمني ولد بدمشق في ١٤ محرم سنة ١١٢٥ وكان من علماء عصره وسنة ١١٨٧ جاور في المدينة وتوفي بها سنة ١٢٠٥

٨ الشيخ محمد ابو الفتح العجلوني الاصل الدمشقي المولد كان عالماً ولد في رمضان سنة ١١٢٨ وتوفي سنة ١١٩٢ ودفن بباب الصغير وله تصانيف جليلة

٩ السيد عبد الرزاق البهنسي ولد سنة ١١٢٥ وكان شاعراً اديباً بارعاً فقيهاً توفي في ٢ رجب سنة ١١٨٩ ودفن بتربة مرج الدحاح

الشيخ احمد العطار الحمصي الاصل الدمشقي المولد حج اربع مرات ولما اتى بونا بارتى عكاه تجند مع اولاده لمحاربة الفرنسيين وحرض الناس على القتال . توفي في ٩ ربيع الثاني سنة ١٢١٨ ودفن بتربة مرج الدحاح وكان عالماً ماهراً الشيخ امين الصابجاني ولد بغزة هاشم سنة ١١٢٣ تعلم الفقه والفلك بالقاهرة فبرع جداً جاء دمشق والف رسالة في الربع المنظر واخرى في العروض وغير ذلك توفي بدمشق في ١٧ شعبان سنة ١١٩٧

الشيخ مصطفى اللقيمي الملقب باسعد الشافعي ولد بدمياط سنة ١١٠٥ وكان عالماً بارعاً سكن دمشق وتوفي فيها سنة ١١٧٨ وقبل موته نظم تاريخاً لقبره وهي
قبرته من اوثقته ذنوبه وغدا لسوء فعالة متخوفا
قد ضاع منه عمره ببطالة والعيش منه بالتكدر ما صفا
ماذا ثوى قبر اللقيمي ارخل مستمنح للعفو اسعد مصطفى ١١٨٧

وله من المؤلفات الرحلة المسماة بمناخ الانس بالرحلة لوادي القدس ورسائل في الحساب والآداب وديوان شعر وغير ذلك ودفن بتربة الدحاح

الشيخ محمد الجاويش ولد في دمشق ونشأ على محبة العلم فلزم العلماء فصار عالماً درس في الجامع الاموي فافاد توفي سنة ١١٩١ ودفن بتربة باب الصغير

الشيخ محمد العبي الحموي الاصل ولد في دمشق وكان خطيباً في جامع سنان باشا عاش نيف على خمسين سنة وتوفي سنة ١١٧٤ ودفن بتربة باب الصغير

الشيخ محمد امين بن عمر بن عبد العزيز بن احمد بن عبد الرحيم بن عابد بن

ولد بدمشق سنة ١١٩٨ وتوفي في ٢١ ربيع الثاني سنة ١٢٥٢ وعمره أربع وخمسون سنة واخذ عن علماءها وتفقه بالشيخ شاكرا العمري العقاد واخذ عنه العلوم العربية والعقالية وعن غيره باقي العلوم وانتفع به خلق كثير لم يزل بعضهم احياء . منهم الشيخ محمد الحلواني مفتي بيروت والشيخ عبد النبي المبداني شارح القدوري امين العنينا بدمشق سابقا والشيخ حنين الرسامة والشيخ عبد القادر شارح العلائي والشيخ محمد افندي الجبائي قاضي بغداد والمدينة المنورة حالا

وكان له ذوق في حل مشكلات العلوم والاعتماد العظيم في طائفة القوم واخذ الطريقة على الشيخ شاكرا المذكور وله التآليف الكثيرة التي تبلغ الخمسين وكان عالما فقيها بضيق كتابنا عن ذكر مآثره الحميدة دفن في مقبرة باب الصغير بالترتبة الفوقانية قريبا من الشيخ العلائي

وقد تعاقب خاطرنا بسرد تراجم بعض من علماء جيلنا الحالي وافاضله الذين نشأوا بدمشق على انه لسوء الحظ حال مانع وهو عدم حصولنا على اخبار مدققة عنهم فعدلنا عما قصدنا ونحن آسفون

هذا وليعلم المطالع بان سلسلة العلماء الاعلام لم تنقطع من دمشق في وقت من الاوقات . وفي كل عصر نجد بها عددا وافرا منهم حتي انك ترى العلم متسلسلا في بعض العيال من مدي مديد كعائلة بيت حمزة فانها عائلة علم شريفة ذات نسب شريف وقد ذكر المحي في تاريخه تراجم بعض من اعضاءها الذين اشتهروا بالعلم والفضل وهم السيد محمد بن السيد كمال الدين واخوه السيد حسين والسيد عبد الرحمن والسيد عبد الكريم والسيد ابراهيم واما في عصرنا فاما مشهور من هذه العائلة الشريفة هما الشريف العالم العلامة مسعود افندي امين الفتوى واخوه الشريف العلامة اسعد افندي من اعضاء مجلس التمييز وهما من اصحاب الدين والبرقة والاحسان وقد فعلا سنة ١٨٦٠ اعمالا توجب الشناء عليها

وعائلة بيت العمادي وقد اشتهرت بالفضل وتسلسل فيها العلم وقد ذكر

الحبي بعض تراجم اعلامها . وعائلة بيت النابلسي ومن اشهر رجالها الشيخ عبد الغني النابلسي وقد فخصنا عن ترجمته لتزين بها جيد كتابنا ولسوء الحظ ذهبت انا بنا سدى . وعائلة بيت الفرفور وعائلة بيت القاري وعائلة بيت المحي وعائلة بيت العمري وعائلة بيت الكزبري وغير ذلك مما يطول شرحه
اما مشاهير علماء دمشق في وقتنا فكثيرون . منهم الشيخ مسلم الكزبري والعالمان محمود افندي واسعد افندي حمزة المار ذكرها والعالم العلامة الشيخ سليم العطار والشيخ عبد الغني الميداني وجابي افندي والشيخ سليم سمارة والشيخ الخاني والشيخ محمد الطنطاوي وبنو المنير وغيرهم مما يطول شرحه وكلهم علماء اعلام اصحاب فضل عظيم يحق لدمشق ان تتفاخر بهم

فصل

في القديسين ومشاهير العلماء المسيحيين الذين نشأوا في دمشق
القديس حنانيا الرسول . لا يعلم بالتأكيد هل ولد هذا القديس في مدينة دمشق ام لا ولكن المرجح بانه من ابناءها وكان واحداً من السبعين تلميذاً وسكن دمشق في بادئ الديانة المسيحية وبشر بها وهو الذي شفى شاول الذي صار بولس الرسول على ما جاء في الفصل التاسع من سفر اعمال الرسل وبعد ان بشر حنانيا بالانجيل في دمشق مدة مضى الى الاوطرابولي ثم الى اماكن اخرى منذراً ومبشراً وقد احتمل اشد الاضطهادات والعذابات كغيره من الرسل واخيراً قبض عليه في عهد ليكيانوس الوالي الروماني وبعد ان جلد شديداً باعصاب البقر ومزق لحمه بعذابات شديدة مات رجلاً بالحجارة
القديس يوحنا الدمشقي . ولد هذا القديس في دمشق سنة ٦٧٦ م من عائلة شريفة من ابوين غنيين وكان ابوه من اكابر رجال الدولة الاموية في دمشق وقد اعنى بتربيته وفقهه في العلوم والمعارف على القديس قزما الشيخ (سياتي ذكره) فنبغ يوحنا في العلوم وصار نبزاً للاداب في زمانه ولمانوفي ابوه

خلفه في وظيفته عند سلطان دمشق وحصل على الوجاهة والاعتماد. ثم اعرض عن العالم وذهب الى دير مار سابا في فلسطين ودخل في الطريقة الرهبانية ولما اتم موجباتها اخذ يشتغل في التأليف والتصنيف فالف كتباً كثيرة في اللاهوت وغيره وقد فاقت تاليفاته اللاهوتية ما سواها وكان يلقب بـ «مهرى الذهب» (اسم نهر بردى سابقاً) لفصاحته وحسن كلامه. ثم رُسم كاهناً. وسنة ٧٨٠ توفاه الله وله من العمر ١٠٤ سنين اما بيته عند ما كان في دمشق فمعروف الآن وموقعه عن يسار حمام البكري قرب باب توما وقد امتلكه اليسوعية مؤخراً

القدّيس قزما المنشي . اختلف المؤرخون في مكان ولادة هذا القدّيس والسنة التي ولد فيها ولكنهم اجمعوا على انه كان عالماً متضلّعاً بارعاً في علوم كثيرة وخصوصاً في فني الفصاحة والبديع واشتهر في الانشاء والكتابات الدينية وقد لبس الاسكيم الرهباني والف النسك في براري فلسطين ثم وقع اسيراً في يد جنود المسلمين فساقوه الى دمشق وباعوه بها اسيراً فاشتراه والد القدّيس يوحنا الدمشقي وعنته من العبودية واقامه راساً على بيته واذا رأى ما عنده من غزارة العلم والتقوى ولجّه امر تعليم ابنه يوحنا المذكور آنفاً وولد آخر كان يتيماً في بيته يعتبره كابنه واسمه قزما فظل الى حين وفاته

القدّيس قزما الباراسقف ما يوما . ولد في اورشليم سنة ٦٧٩ وتيم صغيراً فسافر الى دمشق فقبله والد القدّيس يوحنا الدمشقي ورباه كابنه ثم ترهب بدير مار سابا وسيم اسقفًا لما يوما وله بعض مؤلفات دينية عاش طويلاً ومات جايلًا

القدّيس صفرونيوس . بطريرك اورشليم ولد في دمشق سنة ٥٥٨ م ومنذ حداثة مال الى الفضائل والآداب واخذ العلوم عن علماء دمشق فبرع جدّاً واذا كان عظيم التدبّر ذهب الى فيافي فلسطين لزيارة نساكها فصبا لمعرفة طريقهم دون ان ينذر على ذاته نذرهم واتخذ له مرشدًا منهم اسمه يوحنا موسكوس وابث عنده مدة ثم سارا معاً لزيارة رهبان القطر المصري واخذنا يفحصان عن احوالهم التي اذهلتها جدّاً وصنفا كتاباً بما نظراه سباه بستان الرهبان ثم ذهبا

الى الاسكندرية فقبلها بطريركها القديس يوحنا الرحوم بكل اكرام واحترام لما فيها من الديانة والفضيلة واخذ يشتغلان عند الانذارات الروحية ولما هاجم الفرس القطار المصري وعاثوا به فرأى الى رومية خيفة على حياتهما ونقرا من البابا يوفاسيوس ولبثا عند سنتين فتوفي احدهما يوحنا فنقل القديس صفرونيوس جثته الى فلسطين ودفنها في دير القديس ثاوضوسيوس وسكن صفرونيوس هناك بعيشة رهبانية واذ كانت شيعة المونواليتيين الذين يعتقدون بارادة واحدة بالسيد يسوع المسيح قد اخذت تنتشر في بلاد فلسطين اخذ القديس صفرونيوس يقاومها بكل قدرته وسنة ٦٢٢ م سيم بطريركا للكرسي الاورشليمي ولازم مقاومة تلك الشيعة وجمع مجعاً من اساقفة ابرشيته وقرر به شجب تلك الشيعة ثم الف كتابين جمع بهما اقوال الكتب المقدسة وتعاليم اباء الكنيسة الموضحة وجود ارادتين ومشيتين وفعلين في السيد المسيح. وسنة ٦٢٦ حمل العرب على اورشليم بعد ان فتحوا دمشق فسلمها البطريرك صفرونيوس للامام عمر بشرط ان تبقى للمسيحيين حريتهم الدينية وكنائسهم وفي ١١ من شهر اذار توفي في اورشليم وعمر نحو ٨٠ سنة تقريباً وقد عينت له الكنيسة اليوم الحادي عشر من اذار كل سنة تذكاراً

٦٧ القديس اندراوس الاقريطشي . ولد في دمشق من ابوين صالحين واختلّف في سنة مولده وما عليه الاكثرون هوانه ولد قبل سنة ٦٢٥ م وقد اعنى به والداه وربيانه بحسب مبادئ الديانة المسيحية واجتهدا في تعليمه وتدريبه العلوم والآداب ففجّ غاية النجاح ولما علم به البطريرك ثاوداوس الاورشليمي اخذته لخدمة كنيسة ولما انعقد المجمع المسكوني السادس القسطنطيني الثالث سنة ٦٨٠ م للاشاة ارتقة المونواليتية . بعث البطريرك ثاوداوس بالقديس اندراوس نائباً عنه لما كان عنده من غزارة المعارف والفضائل حال كونه كان برتبة شماس رسائي فقط وبعد نهاية المجمع رسم القديس اندراوس شماساً انجيلياً وسلمت لعنايته نظارة المكان المختص بتربية الايتام وبعد ملكه انتخب رئيس اساقفة

لجزيرة اقر بطش ولما استولى على كرسىها الروحي ازدادت شهرة لحسن سياسته
وفصاحته واعنائه وقد ألف عدة مؤلفات في مواضيع مختلفة منها القانون الكبير
الذي يتلى في الكنيسة نهار الخميس من الجمعية الخامسة من الصوم الكبير وقبل
موته بمدة من الزمان ترك ابرشيته وانفرد عن العالم في جزيرة ابيريسوس وهناك
حرر اخص مؤلفاته الكثيرة وبعد ان بلغ سن الشيخوخة مات في تلك الجزيرة
والكنيسة تعمل تذكاره في اليوم الرابع من شهر تموز كل سنة

فصل

مشاهير علماء المسيحيين في جيلنا الحاضر

السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم . ولد السيد مكسيموس
مظلوم بمدينة حلب في شهر تشرين الثاني سنة ١٧٧٩ م وكان والده غير مثري يدبر
بضعة احوال نسج الالاجه على انه كان من اصحاب التقوى والاستقامة ولما ولد له
مكسيموس سماه ميخائيل واخذ يجتهد في تربيته

ثم حاول جماعة الاكليروس الحاي اقناعه بالانتظام في طغمة الاكليروس
لما راوا فيه من التدين والذكاء واخبروا مطرانهم جرمانوس آدم الذي كان
مقيما في لبنان فاستدعاه وقرّبه اليه وسامه شماسا ودرسه اللاهوت الادبي وجعله
كاتما لاسراره ثم رسمه خوريا على كنيسة حلب . وما زال يفلح في كل مساعيه حتي
سيم مطرانا في دير المخلص وسي مكسيموس وذلك سنة ١٨١٠ م

وسنة ١٨١١ انشا البطريرك اغابوس مدرسة لطائفته في قرية عين تراز
من قرى جبل لبنان وسلم رياستها لعهدة المطران مكسيموس وسنة ١٨١٢ اجتمع
اكليروس الكرسي على ارسال المطران مكسيموس لرومية لقضاء بعض المهام
فسافر من مدينة بيروت الى مالطة ثم الى ترياسته واقام بها بضعة اشهر ثم سافر
الى البندقية وفي تشرين اول سنة ١٨١٤ رحل الى رومية وقابل الاب الاقدس
البابا بيوس السابع سنة ١٨١٥ تنزل عن ابرشية حلب فسامه البابا رئيس
اساقفة ميراليكية واخذ يدرس في رومية اليونانية واللاتينية والاطالية ويقوم

باشغاله بجهد واعناء وفي حزيران سنة ١٨١٧ م سافر من رومية قاصداً تريباسته فير بتوسكانا ونزل بمدينة ليكورنا الى شهر ايلول ومنها سار فاجتاز بولوتيا والبندقية الى تريباسته وبينما كان نيافته مقيماً بتريباسته اتصل به خبر ما وقع من التعدي على طائفته بحلب فاعرض الامر للاب الاقدس ولجميع انتشار الايمان المقدس برومية فارسل اليه المحبر الاعظم منشوراً رسولياً باسم جلالة فرنسيس الاول ملك اوستريا ليتوسط امر الروم الكاثوليك لدى الباب العالي فحل المنشور وتحريراً برسم وزارة خارجية النمسا وسارجهما الى فيينا فتمثل لدى جلالة الملك ووزير خارجيته ونال منها الرعاية والاکرام وبعد ان استقام اربعة اشهر في فيينا ودّع جلالة الملك ورجال بلاطه ورجع الى تريباسته وسنة ١٨٢٠ سافر الى البندقية ومنها الى بادوا وويلان ثم اتى جنوا ومرسيليا وبنى فيها كنيسة لطائفته كرسها على اسم القديس نيقولاوس وانشأ بجانبها داراً للخوارنة (وهي اول كنيسة بناها) وسنة ١٨٢٢ في شهر حزيران رحل من مرسيليا الى رومية والى فيها كتابة الكتر الثمين في اخبار القديسين في خمسة مجلدات من القطع الكامل وعرب عدة تأليف للقديس الفونسوس ليكوري وطبع على مصروفه في رومية كتاب امجاد مريم وكتاب الاستعداد للموت وكتاب الواسطة العظيمة وكتاب الرياضة اليومية وكتاب زيارة القربان المقدس وارسلها الى بلاد المشرق فوزعت مجاناً والى كتاب قواعد الصرف والنحو في اللغة العربية هذا عن تاليفات واستخراجات غيرها بقيت محفوظة خطأ ودرس مدة وجوده فيها اللغة الفرنسية وبلغ ما انفق فيها

وبعد ان اقام في اوربا ١٨ سنة دعاه البابا غريغوريوس ان يرجع الى سوريا ويجدد مدرسة عين تراز المقدم ذكرها فامثل ورجع فدخل بيروت في شهر تشرين الثاني وصعد الى مدرسة عين تراز واخذ في ترميمها وانشأ فيها مكتبة احضرها معه تحتوي على نحو الف مجلد ونيف من نفائس الكتب وبلغ ما انفق على المدرسة والمكتبة نحو عشرة آلاف ريال عمود

وفي شهر اذار سنة ١٨٣٢ م توفي البطريرك اغناطيوس قطان فانهقد مجمع في دير القديس جاورجيوس الغرب لانتخاب خليفة له وفي ٢٤ اذار اصابته القرعة كير مكسيموس فسي بطريركا على طائفة الروم الكاثوليك في الثالث بطريركيات الانطاكية والاسكندرية والاورشليمية اما هو فكان يمضي البطريرك الانطاكي وسائر المشرق وقد صادق على انتخابه البابا غريغوريوس السادس عشر. سنة ١٨٣٨ حصل على براءة من السلطان محمود تعرب عن معرفته من الدولة العلية متروبوليت انطاكية والاسكندرية والقدس الشريف وقد اعرض الامر على الخبر الاعظم فممنحه بموجب مرسوم رسولي ان يمضي اسمه البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي وسائر المشرق

وفي ٢٥ ايلول سنة ١٨٤٠ سافر الى رومية وزار الخبر الاعظم ثم رحل منها الى مرسليليا ودخلها في اول كانون الثاني سنة ١٨٤١ وفي اذار سافر الى باريز فحصل على كرامة واعتبار ملكها وعائلته ورجال بلاطه وليث مدة وعرب تاريخ الحروب الصليبية في مجلد بن . ثم رجع الى مرسليليا ومنها سافر الى القسطنطينية عن طريق مالطة واستقام بها ست سنين ونصف يحامي عن حقوق طائفته ويناضل عنها اما اثار اعماله في هذه المدة فهي اول تحرير طائفته تحريراً مطائفاً بحيث عرفت رسمياً كطائفة قائمة بذاتها دون ادنى تعلق بغيرها . ثانياً نواله من السلطان عبد الحميد خان براءة لا يوجد نظيرها في القيود السلطانية تعرب عن معرفته بطريركا قديماً لطائفة الروم الكاثوليك المالكين على انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر الممالك المخروسة . ثالثاً انعم عليه بالنيشان المرصع الكبير نظير البطارقة القسطنطينيين وبعد ذلك رحل الى سورية

وكان وصوله الى بيروت سنة ١٨٤٨ م. وفي اذار رحل منها برا الى القدس الشريف فعيد الفصح بها واستمر مناظراً بناء الدار والكنيسة التي ضمنها الى شهر تشرين الثاني . ثم سافر الى دمشق مركز ابرشيته العام . وفي اذار سنة ١٨٤٩ رحل الى اورشليم وعقد مجتمعا من عموم مطارنته قرره بعض امور لخبر طائفته .

ثم رجع الى بيروت وسافر الى الاسكندرية ومنها الى حلب . ثم سافر الى انطاكية والاسكندرية وبيروت ورجع الى دمشق وكان يطوف القرى وقدر سم اثني عشر مطراناً لبرشيات كرسية منهم نيافة المطران غريغوريوس عطا مطران حمص وحما وتوابعها حالاً

وكان مع كل اسفاره وتاليفاته الكثيرة وترجاته الوافرة والرسائل الفاتحة المصرا التي حررها لا يفتر عن الوعظ والتبشير والاشتغال في امور طائفته داخلاً وخارجاً حتى اتمضها من الانحطاط وجعلها في مقدمة الطوائف المسيحية . وشيد لها كنيسة وفي مكة وجوده بدمشق كانت المناقشات والجدالات الدينية بانصال بينه وبين العلامة الدكتور ميخائيل مشاقة وقد طال امرها واخذت اهمية كبيرة

وبعد ذلك رحل الى القطر المصري واشتغل بما فيه النفع اربعيته وفي ٢٤ آب غربي سنة ١٨٥٥ توفاه الله في مدينة الاسكندرية فنقل جسده الى مصر ودفن في كنيسة التي بناها باحتفال عظيم وقيل انه لم يترك شيئاً من المال الا ما قل جداً لانه انفق كل شيء في تشييد الكنائس ونفع طائفته وقد انشأ بمكة بطريركيته طغمة اكليروس خاص علماني حافظ على البتولية التامة بدون ندورات

الشماس انطون الخلع . ولد في دمشق في اواخر القرن الثامن عشر ودخل طغمة الاكليس الكاثوليكي ودرس وتفق في العلوم العربية والفارسية وسافر الى مصر واقام بهامكة وعرب كتاب الجبالستان الشهير ثم رجع الى دمشق وتمذهب بمذهب الروم الارثوذكس وترك وظيفته الاكليروسية وتزوج بامراة من طائفة الروم وتوفي نحو سنة ١٨٥١

الارشندريتي غبريل جبارة الواعظ المشهور . ولد في دمشق من ابوين كاثوليكين ودخل الطغمة الاكليروسية وبعد ان لبث مدة كاثوليكيًا اعتنق المذهب الارثوذكسي ورفي الى درجة ارشندريتي وفي نحو سنة ١٨٦٠ شيد

كنيسة في بيروت سماها كنيسة السيدة وصار مأمورًا بطريركيًا وقد لازم وظيفة الوعظ والانداز وله كتابات كثيرة في مواضيع مختلفة وكان فصيحًا متكلمًا جسورًا وفي شهر نيسان من هذه السنة اعني سنة ١٨٧٨ ذهب بطلب من جلالة الكرانديق نيقولا الروسي فادر كنيسة المنية وهو في مدينة ازميز ودُفن بها باحتفال عظيم

٤ الخوري يوسف الحداد . ولد في نحو سنة ١٧٨٠ وكان نقيًا فاضلاً يحب العلوم اخذ العربية عن كثيرين من مشايخ المسلمين ودرس اللغة اليونانية والعبرانية وبرع فيها وامتاز بعلم المنطق واشتغل بالتدريس في المدرسة البطريركية بدمشق فافاد الجهم الغفير وحصل على اعظم شهرة حتى توارد عليه الطلبة من كل جانب وقد كان رحمه الله واعظًا مفلحًا لازم الوعظ على منبر الكنيسة المريمية سنين عديدة وكان لا يفتر عن الترجمة والمطالعة والتأليف حتى قيل بانه لم يمض عليه يوم بدون ان يترجم به او يكتب شيئًا مفيدًا واشتهر بعلم اللاهوت وقد تزوج ورزق عدة اولاد ذكور واناث وقتل في حادثة سنة ١٨٦٠ وتلاشت موافاته حرقًا في تلك الحادثة ولم يبق منها الا ما ندر جدًا

(العالم العلامة والفرد الفهامة الدكتور ميخائيل مشافة)

هو ميخائيل بن جرجس بن ابراهيم بن جرجس بن يوسف بتركي الذي لقب بمشافة لاحترافه تجارة مشافة الحرير ولد في ٢٠ اذار سنة ١٨٠٠ م موافق ٢٣ شوال سنة ١٢١٤ هـ بقرية رشميا من اعمال جبل لبنان من عائلة شريفة كاثوليكية وكان ابوه في خدمة الامير بشير الشهابي الكبير ومن المقربين اليه وبعد ان ولد له ميخائيل بمدة قصيرة نقل بيته الى دير القمر واتخذها وطنًا له وكان ميخائيل نبيها ذكيًا فتعلم مبادئ القراءة في وقت قصير وقد كان يميل الى الحساب فتلقن عن ابيه الفوائد الاربع وزاد على ذلك مسك الدفاتر

وكان يسمع من يهود دير القمر عن الكسوف والخسوف قبل حدوثها قال للتوصل الى معرفة ذلك فعزت عليه الوساطة على انه لم يضعف امله وكان

يظن بان علم الفلك من العلوم التي تنبئ عن المحوادث الارضية قبل حدوثها
وسنة ١٨١٤ حضر بطرس عنموري خال العلامة ميخائيل مشاقفة من
دمياط الى دير القمر وكان عالماً في العلوم الفلكية والطبيعية والرياضية فطالب
اليوان يدرسه علم الفلك فاجابه واخذ يدرسه الهيئة والرياضيات فحصل
جانبا من هذه العلوم بوقت قصير

وسنة ١٨١٧ ذهب الى دمياط وصار كاتباً في محل عمه في تلك المدينة
وما لبث الا امتد لاشغال تجارية خصوصية ففجج بها وصار له ثروة صغيرة وسنة
١٨١٨ قرأ كتاب سياحة المعلم فولانه المترجم الى العربية فتبلبلت افكاره من
من جهة الدين جداً على انه استمر محافظاً على ما استلمه من اهل وفي هذه السنة
حضر عرساً بدمياط وكانت الموسيقى تصدح فسأله احد الحاضرين عن الحن
وقبل ان يجيب بانه يجهل فن الموسيقى تعرض رجل عكاوي من الحاضرين
وقال للسائل (هذا جلي لساه بعيله لا يفهمشي) فتأثر من هذا الكلام وذهب في
اليوم التالي الى احسن الموسيقيين واخذ يدرس هذا الفن عليه وفي مدة شهرين
عرف اصوله وصار يضرب على اكثر الآلات حتى انه صار من علماء الموسيقى
والف فيها رسالة لم ينسج على منوالها. وسنة ١٨٢٠ ترك دمياط لسبب الطاعون
ورجع الى دير القمر وكان بطالع الجبر والمقابلة لذاته

وبعد بضع سنين اقامه الامير بشير مدبراً عند امراء حاصبيا فاكرموا
مشواه وانزلوه بمنزلة عظيمة واعطوه اراضي متسعة في الحولة عند نهر اللدان
واعطوه قرية في قضاء القنيطرة

وسنة ١٨٢٨ اصابه مرض بخاصيبا فذهب الى دير القمر للداواة وبعد
خمسة اشهر شفي فجد في طلب صناعة الطب واخذ يطالع كتبها لذاته بجدي
واجتهاد حتى عرف اكثرها على انه اعجم عليه بعض اصطلاحاتها فتلقنها عن
خاله بطرس عنموري الذي كان وقتئذ قد رجع الى دير القمر لتبديل الهواء وكان
في دير القمر ايضاً رجل اسمه كرليني ايطالي الجنس كان بارعاً في هذه الصناعة

وقد اتخذهُ امرأه حاصبياً بمساعيه طبيباً لهم فاستعان به في درس هذه الصناعة
 وسنة ١٨٢١م حضر حصار عكا مع عساكر الامير بشير ثم رافق العساكر
 المصرية الى دمشق وسار معها الى حمص وبعد ان لبث بها شهراً ونصف وطبيب
 المصابين بالريج الاصفر رجع الى دير القمر وكانت حروب ابراهيم باشا في سوريا
 على قدم وساق فلحق بالعلامة ميخائيل مشاقة اضرار كثيرة مالية حتى التزم ان
 يطيب بالاجرة بعد ان كان بطبيب مجانياً . ورجل الى دمشق واقام بها فراجع
 صناعة الطب على كلوت بك ثم نصبته الحكومة رئيساً لاطباء دمشق . وقرأ
 الايساغوجي على العلامة الخوري يوسف السداد وشرحه على العلامة الشريف
 محمود افندي حمزة مفتي دمشق حالاً وبعد رحيل ابراهيم باشا المصري من
 سوريا اتى السنيور وود قنصلاً لدولة انكلترا في دمشق مفوضاً بنظارة الحكومة
 بسوريا فاتخذ العلامة ميخائيل مشاقة ترجماً لهُ

وسنة ١٨٤٥م توجه الى مصر ولازم كلوت بك وواظب على المضور
 الى مدرسة قصر العيني لمشاهدة العمليات الجراحية والتشريحية . واخذ دبلوما
 ونال لقب دكتور . وبعد ان اقام في القطار المصري ثمانية اشهر رجع الى دمشق .
 وعند ما وصل اليها تحركت في افكاره حركة دينية فكان تارة يظن بان ما
 ذهب اليه فولتر الكافر وزعماءه صحيحاً وطوراً يتردد عن ذلك ويقول ان
 كثيرين من فحول العلماء اقرؤا بصحة الديانة المسيحية وناضلوا عنها واخيراً
 وقف على كتاب البيئة الجلية على صحة الديانة المسيحية فطالعه بامعان فاقنعه
 ادلته وقادته للاعتقاد بصحة الدين المسيحي فاخذ يراجع الكتب المقدسة مع كتب
 جدلية بين البروتستانت والكاثوليك وكانت بينه وبين البطريرك مكسيموس
 مظلوم مجادلات دينية كثيرة وكل ذلك مبين في كتاب الدكتور مشاقة المعلنون
 بالدليل الى طاعة الانجيل وفي رسالة اخرى له اسمها تبرئة المتهم

وسنة ١٨٤٨ ترك الكنيسة الكاثوليكية واتبع الكنيسة الانجيلية فصار من
 اكابر علمائها والمناضلين عنها وقد حامى عن تعاليمها بتأليفه الكثيرة

وسنة ١٨٥٩ تعين العلامة مينائيل مشاقه فيس قنصل للولايات المتحدة
الاميركانية في دمشق وفي حادثة سنة ١٨٦٠ اثخنه الثائرون بالجراح (وتنصبل
ذلك في كتابه المسمى بالجواب على اقتراح الاحباب) واخيراً وصل بمساعدة
الامير عبد القادر الجزائري الى بيت السيد محمد السوطري وظلّ به اميناً يطيب
جراحه الى ما بعد الحادثة بعشرين يوماً. سنة ١٨٧٠ اصابه فالج بجانبه الايمن
فانقطع عن اشغال وظيفته وتنازل عنها فوجهت لولده النجيب نصيف بك
وقد رزقه الله ابنة واربعة بنين افاضل وهم نصيف بك وسليم افندي
والدكتور ابراهيم والدكتور اسكندر

واللعلامة مينائيل مشاقه شهرة فائقة عند اهالي الشرق والغرب وله اعظم
اعتبار في اعين الجميع ولا ينقطع القوم من كل الاجناس والمذاهب عن زيارته
وهو طويل القامة كبير الجسم ذو ذكاء ولطف ودعة وسلامة واتضاع يترحم
بكل زائريه ويوانسهم ويكلم كل واحد بحسب طباعه ومشربه وحرفته وما اعناد
عليه وله خبرة عظيمة في اهالي البلاد ومعرفة في ترجحات اكثر العيال. ولا يزوره
زائر من اي رتبة كان الا ويصادف منه ما يسره فيخرج حامداً شاكراً اما علومه
فكثيرة منها الحساب والجبر والهندسة والانساب والمساحة والهيئة والكيمياء
والطب والجراحة والفلسفة والمنطق واللاهوت والتاريخ وغير ذلك

اما تآليفه فاربعة عشر مؤلفاً والمطبوع منها كتاب الدليل الى طاعة الانجيل
واجوبة الانجيليين ضد اباطيل التقليد بين وجواب لصديق من طائفة الروم
محمّد لا قناعه بصحة المذهب الانجيلي سنة ١٨٥٢ وكشف النقاب عن وجه
المسيح الكذاب والبراهين الانجيلية ضد الاباطيل الباباوية وتبرئة المتهم ورد على
منشور البابا بيوس التاسع. والبرهان على ضعف الانسان جواباً لصديق له
تابع تعاليم فولتير. والتي لم تطبع هي. رسالة في ترجمة البطريرك مكسيموس
مظلوم ورد على ابن الحموية لاجل طعنه في المذهب الانجيلي والرسالة الشهادية
في الاغان الموسيقية العربية والتحفة المشاقبة مطوّل في علم الحساب والمعين على

حساب الايام والاشهر والسنين مذيل بمجداول لمدة مئة سنة شمسي مطابقة
ايام الشهور الغربية والرومية والقبطية والعبرانية والاسلامية ومواقع كسوفات
الشمس والقمر لطول دمشق وعرضها من الدرجات بدايته سنة ١٨٧٠ وترجمة
عائلة مشافة وهو كتاب جميل جداً يحتوي على ترجمة العائلة المشار اليها وعلى
حوادث سوريا منذ ايام الجزار الى سنة ١٨٧٢ واسم الجواب على اقتراح الاحباب
وله رسائل وكتابات في مواضيع مختلفة غير هذه اعرضنا عن ذكرها

١ ترجمة السلطان نور الدين الشهيد

السلطان نور الدين الشهيد بن زنكي الملك العادل العالم الحنفي ولد سنة
احد عشر وخمس مئة وغزا وفتح حصوناً كثيرة وظهر العدل وقصد دمشق
مرتين وفي الثالثة ملكها وحصن سورها وبنى بها المدارس والمشاهد ونشر العلم
ووقف بها اوقافاً كثيرة قال في الاشارات وهو اول من بنى دار الحديث على
وجه الارض ووقف كتباً كثيرة . اهـ . وقد جمع مع الشيعة كثرة العبادة . وكان
عالماً فقيهاً متواضعاً يحب اهل العلم والدين ويبرهم ويجهلهم ومنع شرب الخمر
وبيعها في جميع بلادهم قضى ليلة ونهاره في عدل ينشره وجهاد يجهزه ومظلمة
يزيلها واحساناً بوليّه ولم يلبس قط ما حرّمه الشرع واذا اراد ان يصرف من
بيت المال احضر القضاة والفقهاء واستفتاهم في اخذ ما يحل له فاخذ ما افترق
بجاء وترك ما عداه ومن جملة عدائه انه ازال المكس وكان يسمع شكوى المظلوم
ويتولى كشف الظلم بنفسه وكان لا يجيد عن ميزان الشرع وبنى المدارس والجوامع
والمارستانات ومن اعظمها مارستان دمشق ووقف غلال القرية المعروفة بداريا
الكبرى للفقراء والايام والمساكين . وتوفي في دمشق سنة ٥٦٩ ودفن بقلعتها ثم
نقل الى تربته داخل المدرسة التي بناها للحنفية وهي المعروفة الى يومنا

٢ السلطان صلاح الدين الايوبي

هو السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابوالمظفر يوسف بن نجم الدين

ايوب ولد في تكريت سنة ٥٢٢ هـ وقدم به ابيه الى دمشق وهو رضيع فنشأ في حجره . ثم اتصل ابيه بخدمة نور الدين حتى استعمل على بعليك ولما شب صلاح الدين يوسف ارسله نور الدين مع امراء جيشه للحرب في مصر فظهر من الشجاعة والاقلام ما رفع مقامه في اعين الناس ورجع الى دمشق واستقر بها مدة ثم غزا الصليبيون مصر وكانت بيد الفاطميين وكادوا يستولون عليها فكتب العاضد الفاطمي الى نور الدين يستنجده (وفي رواية ان الفاطميين تردوا وعائلوا فافتى العلماء بقتالهم فارسل نور الدين وابادهم) فلباه وارسل الجنود النوريين الى مصر تحت قيادة شيركوه عم صلاح الدين وطلب من صلاح الدين المسير مع تلك الحملة فابي في بادي الامر وحاول عدم المسير وبعد الالتاح عليه ساس كرهاً ولما بلغت هذه الحملة مصر نشبت الافرنج وبعد حدوث حوادث كثيرة تمكن صلاح الدين من انكال الفاطميين وقطع خطبتهم وصار نائباً لنور الدين في مصر وكان يتظاهر بالطاعة له على ان باطنه ان يستقل بحكومة مصر ولما مات نور الدين اظهر صلاح الدين استقلاله بمصر وكان له بها عدة سنين كما قدمنا وفتح الفتوحات العظيمة وضائق الصليبيين وقصر شوكتهم وصرف ابامه في الحروب والمغازي كما ذكرنا وفي ١٦ صفر سنة ٥٨٨ كان في دمشق فصابت حتى مات بها في ٢٧ منه وعين نحو ٥٧ سنة واكرمه لم يكن عنده شيء لما مات فجعله القاضي الفضل وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو ٢٤ سنة وللشامية ١٩ سنة وخلف سبعة عشر ابناً وابنة وكل ما خلفه من المال ٤٧ درهماً وحرام واحد صوري واذا كانت هذه تركة رجل يملك الديار المصرية والشام وبلاد الشرق واليمن فليست الا برهاناً على كرمه المفرط ولم يخلف داراً ولا عقاراً وقد فرق عند محاصره عكا اثني عشر الف مطية خلا ما عوّضه على من اصبحت خيلهم ولم يكن له فرس بركبة الا وهو موهوب او موعود به وكان ديناً لا يؤخر صلوة عن وقتها ولا يفضل يوماً على يوم وكان محباً للحديث وقرأ مختصراً في الفقه وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكنه كثير الغافل عن ذنوب اصحابه طاهر المجلس واللسان

قال العماد الكاتب مات بهوت السلطان الرجال وفات بوفاته الافاضل
وغاضت الايادي وفاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادهمت الافاق
ونجى الزمان بواحد وسلطان ورزى الاسلام بهيد اركان. اه . وقد رثاه
الشعراء بالبلغ المراثي ونذب به الناس ندباً شديداً ودفنوه بقلعة دمشق وبعد ذلك
بنيت له قبة شمالي الكلاسة التي هي بجانب الجامع الاموي من الشمال وفي يوم
عاشور سنة ٥٩٢ نقل ابنه الملك الافضل عظامه اليها باحتفال عظيم وسنة
١٢٩٤ هـ في ايام ولاية ضيا باشا على دمشق اجتهد ليجد قبر السلطان صلاح
الدين وجمع لذلك مبلغاً من النقود وبنى الابواب الخارجية على شكل جميل جداً

الخاتمة

قد امتدحت دمشق من كثيرين نظماً ونثراً وبضيق ذرعاً هذا المختصر
عن ذكر كل ما قالوه فلذا اكتفينا بوضع هذه النصيحة من نظم الشيخ عبد الغني
النابلسي المشهور رحمه الله قال

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| ان سامك الخطب المول فاقلقا | انزل بارض الشام واسكن جلقا |
| تجد المرام بها وكل مناك بل | وترى بها عزاً ونفص منطقا |
| بلد سميت بين البلاد محاسنا | ونمت بها واستزادت رونقا |
| لا ينبغي حث الركاب لغيرها | هام النواد بحسنها فتعلقا |
| حسبي وآويناها فضلاً لها | قد جاء في القرآن ذاك محققا |
| هي صفوة الدنيا وشائع فضلها | بالقدس والحرمين اضحى ملحقا |
| زاد السرور بها لكل معرج | لا سيما ان كان من اهل النفي |
| ان تعشقوا وطنك فذي اولى لكم | دون البلاد بان تحب وتعشقا |
| انس الغريب وسلوة لذوي الهوى | قوم تشتت شملهم وتفرقا |
| خير الاناس اناسها يرعون اذ | واع الوداد ويحفظون الموثقا |
| لكن برائق صفوك اسات لم | مزج الغريب شرابه ولم سقي |
| فتكدرت ما بينهم احوالهم | الا الذي ترك السوى فتروقا |
| هي جنة للطائعين معدة | يتمتعون ولا يرون بها شقا |
| ظابت هواء للنفوس وماؤها | غذب زلال سائح لمن استقى |
| وبها ترى الولدان والمحور التي | وعد الاله بهن في دار البقا |

جلست محاسنها عن التعداد فلا
 يا حسن وادبها وطيب شبيبها
 وتراسلت اطياري بين الربى
 لله ايام المجموع بظله
 كيف انجبت ينثر نحوك ماؤه
 يا حبذا اشراق مرجتها التي
 عذبت جياولها فطابت موردا
 وتلاعبت فرسانها وتراكضت
 لم انس بالنيروز مخفلها الذي
 جمع الانام اكابرا واصاغرا
 والربوة الفجاء يا نسماتها
 ايام قطع النهر توصل شملنا
 بالقاسيون قست قلوب احبتي
 جبل كثير الخير كله الاله
 كم من ولي قد توسد سقمه
 وكذلك الشهداء فيه نجاهم
 ومغارة الدم والمخاريب التي
 ومغارة الجوع التي قالوا بها
 لله سنع النيريين فكم به
 ضحكتم ازاهرها على اغصانها
 قد دندنت انهارها في جربها
 والصالحية يا لها من منزل
 وفيها القصور العاليات تزخرت
 تسهر على اطراف جلق بهجة
 مستقيت دمشق الشام صوب غمامة
 كم نزهة للعب فيها قد زهت
 الجامع الاموي الا نزهة
 قد اتشنت صناعه بنيانه
 ولرأس يحيى فيه نور مهابة
 والمحائط القيلي زاد جلالة
 وانظر مكان التين فيه مبلطاً

نباتها يختار منه وينتقى
 قد فاح عرف الزهر فيه وعبقا
 سحرا فهيجت القلوب الشبقا
 كادت بايام الصبا ان تلتقا
 واليك يركع كل غصن اورقا
 اضي غني الهم فيها معلقا
 تحكي الصوارم صيقلها وتلقا
 ما بينها تعلمو الجياد السبقا
 بسرور قلب الحزين تعلقا
 وحوى الملاح مقرطقا ومهبطا
 مري علي ورفرفي عند اللقا
 باحبة النول الخلاعة مطلقا
 ولكم سرى فيه الصبا فترفقا
 الاله فجال في ذاك اللسان وانطقا
 بل من نبي حل فيه محققا
 احياء من عدم البلاء ورزقا
 للاربعة من الرجال ومن رقا
 كم من نبي مات جوعا فالتقى
 من روضة غناء طابت رونقا
 فاتي النسيم بيلمن وصفقا
 لما شدا ذاك المحام وشققا
 فيها قبور الصالحين اولو التقي
 مثل النجوم زهت بكل من ارتقى
 وطلاوة فيها السرور تحققا
 اشفى على غيظانها فندققا
 وسرت على طرف الهوم فاطرقا
 فيها تراه بالعبادة مشرقا
 فاتي المزخرف زانه وتانقا
 ما بين هاتيك السواري اشرقا
 بمقام هود من يزرة تحققا
 لا زال في الجمعات يجمع صنيقا

ونرى دروس العلم فيه دائماً
وعلى كراسيه رقت وعاطفه
من كل من لوملت مستمعاً له
يا ليلة النصف الشريفة فاز بال
هذي قباب النور تشعل في الدجى
من كل شمس نبط أوج كما لها
وثلاث هاتيك المآذن تنجلي
عقدت روادفها بمعقد خصرها
من فوقها اهل الاذان ترسلوا
من كل من لورحت تسبح صوته
والعشرة الابواب لما ان زهت
صفت بها الحلوى افانينا فمن
لم انس ليالات الصيام وانسها
تلفت الارام حول قبابه
وتبيل اعطاف الملاح خلاله
قد اوقدت تلك الخدود من الحما
يا حبذاك الصحن اشرق وانجلي
فيه الصحاب رواثعاً وغوادياً
من حول الاسواق تشرق في الدجا
فيها ترى ما تشتهي ونلده
هي شامنا اعلى الاله منارها
لم ترض عيني غيرها من منظر
الله ايام تفضت لي بها
حي الحما تلك البقاع فانها
هي منشاي لا حاجر وطوبيع
وطني واول ما وطئت بها الثرى
لذ يا فوادي بما بها من معشر

في كل فن من تداوله رقى
تتلو احاديث النبي المنتقى
شاهدت حال الناس في دار البقا
اسعاد من قد كان فيه موفقا
لا يستطيع لها امروء ان يرمقا
بقتل حتى سميت فتعلقا
مثل العرائس قد لبسن اليلما
فبدا بتعديل الزجاج مهنطقا
بترنم يشجي الفواد الشيقا
لحسبته فوق الاراك مطوقا
فتجت على المشتاق باباً مغلقا
وافي غنيا راح عنها معلقا
فيه لعبري فهي ليالات اللقا
فتزيد نورا ساطعاً ونالفا
غادرت قلبي في الغرام مهزقا
حجراً اذاب حشا المشوق واحرقا
فغدا به ماء النسيم مرققا
ما بيعة وتجمعاً وتفرقا
مثل النهار بما بها قد علقا
ويوت قهوات شذاها عبقا
وبها ادام الله عيشاً ريقا
ولذا ترى قلبي بها معلقا
ما زلت نحو ظلالها متشوقا
ارض تكاد بفضلها ان تنطقا
وتحل انسي لا الغوير ولا النقا
لازال عيشي عن حماها مطلقا
ان سامك الخطب المهول فاعلقا

هنا وقف القلم وانتهى ما رأيت لزوماً لسرده فارجو من اصحاب الفضل
معاملتي بالرفق لاني مقر بضعفي وقصوري . وكان الفراغ من تأليفه يوم الثلاثاء
ختمام سنة ١٨٧٨ وان شاء الله سارده بكتاب آخر دعوته مرآة سورية وفلسطين

تقاريط

ولما تم هذا الكتاب تكرم بتقريظه بعض من اطلع عليه من اهل الفضل والآداب
فادرجنا بعض ما جادوا به وهاك ما قالوا حفظهم الله :

قال صاحب الفضيلة العالم العامل السيد الشريف حمزوي زاده اسعد افندي

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| يم ربا جلق والثمة من امم | وول وجهك نحو المفرد العلم |
| وسرح الطرف في ازهار روضته | واذكر ولا تبغسوا للناس من حكم |
| عمت بوابها الاحياء يعضدهم | ما كان مندرسا احياء ذكرهم |
| فاق الاوائل انقانا وقد جمعت | فيه البلاغة بالايجاز في الكلم |
| نعمان اعني به ارخت الفها | يم ربا جلق والثمة من امم ١٢٩٦ |

وقال حضرة صاحب الفضيلة العالم العلامة الفاضل الشيخ عبد المجيد

افندي الخاني النقشبند في خادم العلم الشريف

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| اغصن الروضة الفنا الرطيب | له في جلق الفيحاء طيب |
| ام السحر الحلال اتيج منه | الى نعمان اسلوب غريب |
| هو الماثور صدق القول عنه | اذا ما شاء يثني او يعيب |
| توشح دائما بالفضل حتى | ترشح للعلا وهو الاديب |
| ون خطب الفضائل وهو كفؤ | فلا يسع العلا الا تجيب |
| واغرب حين اعرب عن كتاب | يطيب به التغزل والنسيب |
| كتاب غور معناه بعيد | ولكن نجد مبناه قريب |
| يورخ فيه ما ذاقتم دمشق | من الايام يكره او يطيب |
| تخطى المنكرات ولم يعول | على الاخبار تخطي او تصيب |
| فجاء مؤلفا بهوى اليه | فيبصر فيه ما بهوى الارب |
| حلا تقريظه حتى ناتي | من التاريخ تاريخ عجيب ١٢٩٦ |

وقال العالم العامل الشيخ طاهر افندي المغربي ناظر المدارس الابتدائية
احمد من جعل دمشق روضة تنفخ بالطيب ازهارها : وتصدح على غصنها
الطيب اطيافها . بل جنة تجري من تحتها الانهار . كسيت سندساً خضرا من
النبات والاشجار . محاسنها جاية للقلوب والابصار وعنوان على الفردوس لدى
الصالحية الاخيار . يقول لسان حالها قد راج سوق من سار . وجاء لمشاهدة
عروسي . واجتناء ثماري وغروسي . واصلي اشرف صلوة واسلم اذكي نحية . على
الانبياء الكرام ذوي المحاسن القمرية . خصوصاً على من هو لهم ختام . ولعقدهم نظام .
وبعد فقد سرحت بلبل الفكر في ميدان هذا الكتاب فوجدته قد نظم من اخبار
هذه المدينة التي تزهت كل عامه . درراً سلكتها في اسهل عبارته واجرى في قنوات
رياضه ماء زلالا . فاضحتي بهجته بتلالا

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| سفر حوى ما قد حوته جلق | من بهجة ونضارة وبهاء |
| فاجل جواد الطرف فيه نلق ما | تجاوز محاسنه لعين الراي |
| قد قلت لما ان حلا طبعاً وقد | شاهدت نفعاً فيه للقراء |
| هذي شقائق قد زها نعمانها | لما بدت في الروضة الغناء |

وقال جناب الفاضل ابراهيم افندي سر كيس المحترم
ان كنت ترغب في كتاب فوائد عن جلق بالحق والتبيان
فجميع ذلك ظاهر تفصيله في الروضة الغناء للنعمان

| | |
|--------------------------------|---------------------------|
| راح النفوس نفائس الافكار | وقلى العقول طوالع الاسرار |
| هيمات ان يحلو لنفس اخي النهر | كاس حلا لكن بدون عصا |
| قصر الجبال على الطبيعة والتجني | لا ما اتى من سلعة المطار |
| فاقم بربوة جلق طرباً وقل | هذا كمال الحسن جل البار |
| وادعُ القصي الى مشاهد مجدها | بالروضة الغناء دون توارى |

واثن على النعمان يا ذا منذراً من لم يفز بكتابه المعطار
 سفر القناع عن المضي بسفره وجلا حقائقه على الابصار
 وابان حال الحال دون تشيع خير المقال بصادق الاخبار
 همت يا ذا الفضل فيما نلت من شرف بانشا افضل الاسفار
 لك في دمشق فضائل خلدتها بكتابك الآتي بكل فخار
 طابت فطاب لك المقال بحقها فاسلم ودم واهنا مدى الاعصار

وقال جناب الاديب ابراهيم افندي واكد

هذا كتاب ترهة وكجته من كل فاكهة بها زوجان
 اكرم بها من روضة غناء قد غرست بذاك الفاضل النعمان

وقال جناب الاديب الملم متري قندلفت مؤرخاً نهاية تاليف الكتاب
 هذا كتاب في حوادث جلق اجلاه شهيم جل فيه ثماني
 لما تكامل قال ما تاريخنا فلقد بدا حب الروضة الفيحاء

سنة ١٨٧٨

وقال جناب العالم العلامة الفاضل منير زاده الشيخ محمد صالح افندي

خادم العلم الشريف بدمشق الشام مؤرخاً نهاية طبع الكتاب

هذا كتاب مستطاب بديع كانه خزانة للبديع
 اجلت فيه طرف الطرف اذ منه توسمت جميل الصنيع
 فسمت ما قرأ به الناظر ورق للشهم اللبيب السميع
 لا بدع فهو روضة قد حكمت بشفها الذكي زهر الربيع
 وهو لمن الله شاهد بانه البارع بين الجميع
 وبادر الفوم لتقريظهم وعندهم حل المحل الرفيع
 فقلت لما تم بالطبع ارخ م ان هذا الكتاب بديع

سنة ١٢٩٦ هجرية

فهرس الكتاب

وجه

٣

في جغرافية الشام

٥

فصل . في موقع دمشق والقائما وعدد سكانها

٩

فصل . في مذاهب المؤرخين في من بنى دمشق

١٠

فصل . في تاريخ دمشق الى يوم فتحها المسلمون

١٧

فصل . في فتوح المسلمين لدمشق الى ان قامت الدولة الاموية

٢٩

نبذة من تاريخ الدولة الاموية

٣٦

فصل . في تاريخ دمشق من حين استولى عليها العباسيون الى ان خضعت للمسلمان

٤٩

صلاح الدين الايوبي

٤٩

فصل . في تاريخ مدة استيلاء الايوبيين على دمشق

٦٦

فصل . في تاريخ دمشق بضعها للمصريين وفتح تيمورها الى استيلاء العثمانيين عليها

٧٧

فصل . في تاريخ استيلاء العثمانيين على دمشق الى وقتنا الحاضر

٩٥

فصل . في ابنية دمشق

١١١

فصل . في اقسام دمشق

١١٣

فصل . في مياه دمشق ومنزهاها

١١٦

فصل . في تربة دمشق ونباتاتها واشجارها وهوائها

١١٧

فصل . في المعارف في دمشق

١٢١

فصل . في صنائع دمشق وتجارها

١١٥

فصل . في اطوار الدماشقة وبعض عوائدهم

١٢٩

فصل . في حكومة دمشق ومتعلقاتها

١٣٠

ثريات

١٣١

فصل . في من مات بدمشق من الصحابة

١٣٣

فصل . في ذكر من مات واشتهر بدمشق من الاولياء المقربين والعلماء العاملين

١٤٣

فصل . في القديسين ومشاهير العلماء المسيحيين الذين نشأوا في دمشق

١٤٦

فصل . في مشاهير علماء المسيحيين في جيلنا الحاضر

١٥٤

تراجم

١٥٦

الخاتمة

١٥٩

تقاربط

قلادون حيثما وردت صوابها قلاوون ومكة المكرمة وجه ٢٧ سطر ٢ صوابها المدينة المنورة

